http://www.shamela.ws

تم إعداد هذا الملف آليا بواسطة المكتبة الشاملة

[زاد المسير – ابن الجوزي]

الكتاب : زاد المسير في علم التفسير

المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت

الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤

عدد الأجزاء : ٩

ثبت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحارث

وبعضهم يقول لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان فجعل النبي يقول للعباس ناد يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة يا أصحاب سورة البقرة فنادى وكان صيتا فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت إلى أولادها يقولون يا لبيك فنظر النبي صلى الله عليه و سلم إلى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس أنا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس ناولني الحصيات فناوله فقال شاهت الوجوه ورمى بها وقال انهزموا ورب الكعبة فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا وقيل أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم كفا من تراب فرماهم به فانهزموا وكانوا يقولون ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه بالتراب

ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم

قوله تعالى ثم أنزل الله سكينته أي بعد الهزيمة قال أبو عبيدة هي فعليه من السكون وأنشد

(٤١٥/٣)

لله قبر غالها ماذا يجن ... لقد أجن سكينة ووقارا ...

وكذلك قال المفسرون الأمن والطمأنينة

قوله تعالى وأنزل جنودا لم تروها قال ابن عباس يعني الملائكة وفي عددهم يومئذ ثلاثة أقوال

أحدها ستة عشر ألفا قاله الحسن والثاني خمسة آلاف قاله سعيد ابن جبير والثالث ثمانية قاله مجاهد يعني ثمانية آلاف وهل قاتلت الملائكة يومئذ أم لا فيه قولان

وفي قوله وعذب الذين كفروا أربعة أقوال
أحدها بالقتل قاله ابن عباس والسدي والثاني بالقتل والهزيمة قاله ابن أبزى ومقاتل والثالث بالخوف والحذر ذكره الماوردي والرابع بالقتل والأسر وسبي الأولاد وأخذ الأموال ذكره بعض ناقلي التفسير
قوله تعالى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء أي يوفقه للتوبة من الشرك
يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم
قوله تعالى إنما المشركون نجس قال أبو عبيدة معناه قذر قال الزجاج يقال لكل شيء مستقذر نجس وقال الفراء لا تكاد العرب تقول نجس إلا وقبلها رجس فاذا أفردوها قالوا نجس

(٣/٤١٦)

وفي المراد بكونهم نجسا ثلاثة أقوال
أحدها أنهم أنجاس الأبدان كالكلب والخنزير حكاه الماوردي عن الحسن وعمر بن عبد العزيز وروى ابن جرير عن الحسن قال من صافحهم فليتوضأ
والثاني أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة وإن لم تكن أبدانهم أنجاسا قاله قتادة
والثالث أنه لما كان علينا اجتنابهم كما تجتنب الأنجاس صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس وهذا قول الأكثرين وهو الصحيح
قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام قال أهل التفسير يريد جميع الحرم بعد عامهم هذا وهو سنة تسع من الهجرة وهي السنة التي حج فيها أبو بكر وقرئت براءة وقد أخذ أحمد رضي الله عنه بظاهر الآية وأنه يحرم عليهم دخول الحرم وهو قول مالك والشافعي واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد فروي عنه المنع أيضا إلا لحاجة كالحرم وهو قول مالك وروي عنه جواز ذلك وهو قول الشافعي وقال أبو حنيفة يجوز لهم دخول المسجد الحرام وسائر المساجد
قوله تعالى وإن خفتم عيلة وقرأ سعد بن أبي وقاص وابن مسعود والشعبي وابن السميفع عايلة قال سعيد بن جبير لما نزلت إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شق على المسلمين وقالوا من يأتينا بطعامنا وكانوا يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت وإن خفتم عيلة الآية قال الأخفش العيلة الفقر يقال عال يعيل عيلة إذا افتقر وأعال إعالة فهو

(٣/٤١٧)

يعيل إذا صار صاحب عيال وقال أبو عبيدة العيلة هاهنا مصدر عال فلان إذا افتقر وأنشد ... وما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل ...

وللمفسرين في قوله وإن قولان

أحدهما أنها للشرط وهو الأظهر

والثاني أنها بمعنى وإذ قاله عمرو بن فايد قالوا وإنما خاف المسلمون الفقر لأن المشركين كانوا يحملون التجارات إليهم ويجيئون بالطعام وغيره

وفي قوله فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ثلاثة اقوال

أحدها أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم فكثر خيرهم قاله عكرمة

والثاني أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب قاله قتادة والضحاك

والثالث أن أهل نجد وجرش وأهل صنعاء أسلموا فحملوا الطعام إلى مكة على الظهر فأغناهم الله به قاله مقاتل

قوله تعالى إن الله عليم قال ابن عباس عليم بما يصلحكم حكيم فيما حكم في المشركين

(٤١٨/٣)

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون

قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله قال المفسرون نزلت في اليهود والنصارى قال الزجاج ومعناها لا يؤمنون بالله إيمان الموحدين لأنهم أقروا بأنه خالقهم وأنه له ولد وكذلك إيمانهم بالبعث لأنهم لا يقرون بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون وقال الماوردي إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه وهم لا يقرون بها فكانوا كمن لا يقر به

قوله تعالى ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله قال سعيد بن جبير يعني الخمر والخنزير

قوله تعالى ولا يدينون دين الحق في الحق قولان

أحدهما أنه اسم الله فالمعنى دين الله قاله قتادة

والثاني أنه صفة للدين والمعنى ولا يدينون الدين الحق فاضاف الاسم إلى الصفة وفي معنى يدينون قولان

(٤١٩/٣)

أحدهما أنه بمعنى الطاعة والمعنى لا يطيعون الله طاعة حق قاله أبو عبيدة والثاني أنه من دان الرجل يدين كذا إذا التزمه ثم في جملة الكلام قولان

أحدهما أن المعنى لا يدخلون في دين محمد صلى الله عليه و سلم لأنه ناسخ لما قبله

والثاني لا يعملون بما في التوراة من اتباع محمد صلى الله عليه و سلم

قوله تعالى حتى يعطوا الجزية قال ابن الانباري الجزية الخراج المجعول عليهم سميت جزية لانها قضاء لما عليهم أخذ من قولهم جزى يجزي إذا قضى ومنه قوله تعالى لا تجزى نفس عن نفس شيئا وقوله ولا تجزي عن أحد بعدك وفي قوله عن يد ستة اقوال

أحدها عن قهر قاله قتادة والسدي وقال الزجاج عن قهر وذل

والثاني أنه النقد العاجل قاله شريك وعثمان بن مقسم

والثالث أنه إعطاء المبتدئ بالعطاء لا إعطاء المكافئ قاله ابن قتيبة

والرابع أن المعنى عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم

والخامس عن إنعام عليهم بذلك لأن قبول الجزية منهم إنعام عليهم حكاهما الزجاج

والسادس يؤدونها بأيديهم ولا ينفذونها مع رسلهم ذكره الماوردي

(٣/٤٢٠)

قوله تعالى وهم صاغرون الصاغر الذليل الحقير

وفي ما يكلفونه من الفعل الذي يوجب صغارهم خمسة أقوال

أحدها أن يمشوا بها ملببين رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني أن لا يحمدوا على إعطائهم قاله سلمان الفارسي والثالث أن يكونوا قياما والآخذ جالسا قاله عكرمة والرابع أن دفع الجزية هو الصغار والخامس أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار

فصل

واختلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار فالمشهور عن أحمد أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس وبه قال الشافعي ونقل الحسن بن ثواب عن أحمد أنه من سبي من أهل الأديان من العرب والعجم فالعرب إن أسلموا وإلا السيف وأولئك إن أسلموا وإلا الجزية فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط وهو قول أبي حنيفة ومالك

فصل

فأما صفة الذين تؤخذ منهم الجزية فهم أهل القتال فأما الزمن والأعمى والمفلوج والشيخ الفاني والنساء والصبيان والراهب الذي لا يخالط الناس فلا تؤخذ منهم

فصل

فأما مقدارها فقال أصحابنا على الموسر ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط أربعة وعشرون وعلى الفقير المعتمل اثنا عشر وهو قول أبي حنيفة وقول مالك على أهل الذهب أربعة دنانير وعلى أهل الورق أربعون درهما وسواء في ذلك الغني والفقير وقال الشافعي على الغني والفقير دينار وهل تجوز الزيادة والنقصان مما يؤخذ منهم نقل الأثرم عن أحمد أنها تزاد وتنقص على قدر طاقتهم فظاهر هذا أنها على اجتهاد الإمام ورأيه ونقل يعقوب بن بختان أنه لا يجوز للامام أن ينقص من ذلك وله أن يزيد

فصل

ووقت وجوب الجزية آخر الحول وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة تجب في أول الحول فأما إذا دخلت سنة في سنة فهل تسقط جزية السنة الماضية عندنا لا تسقط وقال أبو حنيفة تسقط فأما إذا أسلم فانها تسقط بالإسلام فأما إن مات فكان ابن حامد يقول لا تسقط وقال القاضي أبو يعلى يحتمل أن تسقط

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون

٤٢٣

قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة عزير ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب وعبد الوارث عن أبي عمرو منونا قال مكي بن أبي طالب من نون عزيرا رفعه على الابتداء وابن خبره ولا يحسن حذف التنوين على هذا من عزير لالتقاء الساكنين ولا تحذف ألف ابن من الخط ويكسر التنوين لالتقاء الساكنين ومن لم ينون عزيرا جعله أيضا مبتدأ وابن صفة له فيحذف التنوين على هذا استخفافا لالتقاء الساكنين ولأن الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد وتحذف ألف ابن من الخط والخبر مضمر تقديره عزير بن الله نبينا وصاحبنا وسبب نزولها أن سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس وقال ابن عمر وابن جريج إن القائل لذلك فنحاص فأما العزير فقال شيخنا أبو منصور اللغوي هو اسم أعجمي

معرب وإن وافق لفظ العربية فهو عبراني كذا قرأته عليه وقال مكي بن أبي طالب العزير عند كل النحويين عربي مشتق من قوله يعزروه وقال ابن عباس إنما قالوا ذلك لأنهم لما علموا بغير الحق أنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فدعا عزير الله تعالى فعاد إليه الذي نسخ من صدروهم ونزل نور من السماء فدخل جوفه فأذن في قومه فقال قد آتاني الله التوراة فقالوا ما أوتيها إلا لأنه ابن الله وفي رواية عن ابن عباس أن بختنصر

(٤٢٣/٣)

لما ظهر على بني إسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة كان عزير غلاما فتركه فلما توفي عزير ببابل ومكث مائة عام ثم بعثه الله تعالى إلى بني اسرائيل فقال أنا عزير فكذبوه وقالوا قد حدثنا آباؤنا أن عزيرا مات ببابل فان كنت عزيرا فأملل علينا التوراة فكتبها لهم فقالوا هذا ابن الله

وفي الذين قالوا هذا عن عزير ثلاثة أقوال

أحدها أنهم جميع بني اسرائيل روي عن ابن عباس والثاني طائفة من سلفهم قاله الماوردي والثالث جماعة كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم وفيهم قولان

أحدهما فنحاص وحده وقد ذكرناه عن ابن عمر وابن جريج

والثاني الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس

فان قيل إن كان قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم فعنه جوابان

أحدهما أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة تقول العرب جئت من البصرة على البغال وإن كان لم يركب إلا بغلا واحدا

والثاني أن من لم يقله لم ينكره

قوله تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله في سبب قولهم هذا قولان

أحدهما لكونه ولد من غير ذكر

والثاني لأنه أحيى الموتى وأبرأ الكمة والبرص وقد شرحنا هذا المعنى في المائدة

قوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم إن قال قائل هذا معلوم فما فائدته فالجواب أن المعنى أنه قول بالفم لا بيان فيه ولا برهان ولا تحته معنى صحيح قاله الزجاج

قوله تعالى يضاهون قرأ الجمهور من غير همز وقرأ عاصم

(٤٢٤/٣)

يضاهئون قال ثعلب لم يتابع عاصما أحد على الهمز قال الفراء وهي لغة قال الزجاج يضاهون يشابهون قول من تقدمهم من كفرتهم فانما قالوه اتباعا لمتقدميهم وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة والأكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهي التي لا ينبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض والمعنى أنها قد أشبهت الرجال قال ابن الانباري يقال ضاهيت وضاهأت إذا شبهت وفي الذين كفروا هاهنا ثلاثة أقوال

أحدها أنهم عبدة الأوثان والمعنى أن أولئك قالوا الملائكة بنات الله قاله ابن عباس

والثاني أنهم اليهود فالمعنى أن النصارى في قولهم المسيح ابن الله شابهوا اليهود في قولهم عزير ابن الله قاله قتادة والسدي

والثالث أنهم أسلافهم تابعوهم في أقوالهم تقليدا قاله الزجاج وابن قتيبة

وفي قوله قاتلهم الله ثلاثة أقوال

أحدها أن معناه لعنهم الله قاله ابن عباس والثاني قتلهم الله قاله أبو عبيدة والثالث عاداهم الله ذكره ابن الانباري

قوله تعالى أنى يؤفكون أي من أين يصرفون عن الحق

قوله تعالى اتخذوا أحبارهم قد سبق في المائدة معنى الأحبار والرهبان وقد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه سئل عن هذه الآية فقال أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه واذا حرموا عليهم شيئا حرموه فعلى هذا المعنى إنهم جعلوهم كالأرباب وإن لم يقولوا إنهم أباب

(٤٢٥/٣)

قوله تعالى والمسيح ابن مريم قال ابن عباس اتخذوه ربا

يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

قوله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله قال ابن عباس يخمدوا دين الله بتكذيبهم يعني أنهم يكذبون به ويعرضون عنه يريدون إبطاله بذلك وقال الحسن وقتادة نور الله القرآن والإسلام فأما تخصيص ذلك بالأفواه فلما ذكرناه في الآية قبلها وقيل إن الله تعالى لم يذكر قولا مقرونا بالأفواه والألسن إلا وهو زور

قوله تعالى ويأبى الله إلا أن يتم نوره قال الفراء إنما دخلت إلا هاهنا لأن في الإباء طرفا من الجحد ألا ترى أن أبيت كقولك لم أفعل ولا أفعل فكأنه بمنزلة قولك ما ذهب إلا زيد قال الشاعر ... فهل لي أم غيرها إن تركتها ... أبى الله إلا أن أكون لها ابنما ...

وقال الزجاج المعنى ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره قال مقاتل يتم نوره أي يظهر دينه

(٤٢٦/٣)

هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه و سلم بالهدى وفيه ثلاثة اقوال
أحدها أنه التوحيد والثاني القرآن والثالث تبيان الفرائض فأما دين الحق فهو الإسلام وفي قوله ليظهره قولان
أحدهما أن الهاء عائدة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فالمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها فلا يخفى عليه منها شيء قاله ابن عباس
والثاني أنها راجعة إلى الدين ثم في معنى الكلام قولان
أحدهما ليظهر هذا الدين على سائر الملل ومتى يكون ذلك

(٤٢٧/٣)

فيه قولان أحدهما عند نزول عيسى عليه السلام فانه يتبعه أهل كل دين وتصير الملل واحدة فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدوا الجزية قاله أبو هريرة والضحاك والثاني أنه عند خروج المهدي قاله السدي
والقول الثاني أن إظهار الدين إنما هو بالحجج الواضحة وإن لم يدخل الناس فيه
يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم
قوله تعالى إن كثيرا من الأحبار الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى وفي الباطل أربعة اقوال
أحدها أنه الظلم قاله ابن عباس والثاني الرشا في الحكم قاله الحسن والثالث الكذب قاله أبو سليمان والرابع أخذه من الجهة المحظورة قاله القاضي أبو يعلى والمراد أخذ الأموال وإنما ذكر الأكل لأنه معظم المقصود من المال وفي المراد بسبيل الله هاهنا قولان
أحدهما الإيمان برسول الله صلى الله عليه و سلم قاله ابن عباس والسدي
والثاني أنه الحق والحكم
قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال
أحدها أنها نزلت عامة في أهل الكتاب والمسلمين قاله أبو ذر والضحاك

(٤٢٨/٣)

والثاني أنها خاصة في أهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان
والثالث أنها في المسلمين قاله ابن عباس والسدي
وفي الكنز المستحق عليه هذا الوعيد ثلاثة اقوال
أحدها أنه مالم تؤد زكاته قال ابن عمر كل مال أديت زكاته وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا على وجه الأرض وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور فعلى هذا معنى الإنفاق إخراج الزكاة
والثاني أنه ما زاد على أربعة آلاف روي عن علي بن أبي طالب أنه قال أربعة آلاف نفقة وما فوقها كنز
والثالث ما فضل عن الحاجة وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام ثم نسخ بالزكاة
فان قيل كيف قال ينفقونها وقد ذكر شيئين فعنه جوابان
أحدهما أن المعنى يرجع إلى الكنوز والأموال
والثاني أنه يرجع إلى الفضة وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة قال الشاعر ... نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف ...
يريد نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض ذكر القولين الزجاج

(٤٢٩/٣)

وقال الفراء إن شئت اكتفيت بأحد المذكورين كقوله ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا وقوله وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وأنشد ... إني ضمنت لمن أتاني ما جنى ... وأبى وكان وكنت غير غدور ...
ولم يقل غدورين وإنما اكتفى بالواحد لاتفاق المعنى قال أبو عبيدة والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا فخبروا عن أحدهما استغناء بذلك وتحقيقا لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه ودخل معه في ذلك الخبر وأنشد ... فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فاني وقيار بها لغريب ...
والنصب في قيار أجود وقد يكون الرفع وقال حسان بن ثابت ... إن شرخ الشباب والشعر الأس ... ود مالم يعاص كان جنونا ...
ولم يقل يعاصيا
يوم يحمى عليهم في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون
قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم أي على الأموال قال ابن

(٤٣٠/٣)

مسعود والله ما من رجل يكوى بكنز فيوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته وقال ابن عباس هي حية تنطوي على جنبيه وجبهته فتقول أنا مالك الذي بخلت به

قوله تعالى هذا ما كنزتم فيه محذوف تقديره ويقال لهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون أي عذاب ذلك

فان قيل لم خص الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن

فالجواب أن هذه المواضع مجوفة فيصل الحر إلى أجوافها بخلاف اليد والرجل وكان أبو ذر يقول بشر الكنازين بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم وجواب آخر وهو أن الغني إذا رأى الفقير انقبض وإذا ضمه وإياه مجلس ازور عنه وولاه ظهره قاله أبو بكر الوراق

(٤٣١/٣)

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين

قوله تعالى إن عدة الشهور عند الله قال المفسرون نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله فربما وقع حجهم في رمضان وربما وقع في شوال إلى غير ذلك وكانوا يستحلوا المحرم عاما ويحرمون مكانه صفر وتارة يحرمون المحرم ويستحلون صفر قال الزجاج أعلم الله عز و جل أن عدد شهور المسلمين التي تعبدوا بأن يجعلوه لسنتهم اثنا عشر شهرا على منازل القمر فجعل حجهم وأعيادهم على هذا العدد فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء وتارة في الصيف بخلاف ما يعتمده أهل الكتاب فانهم يعلمون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوما وبعض يوم وجمهور القراء على فتح عين اثنا عشر وقرأ أبو جعفر اثنا عشر وأحد عشر وتسعة عشر بسكون العين فيهن

قوله تعالى في كتاب الله أي في اللوح المحفوظ قال ابن عباس في الإمام الذي عند الله كتبه يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم وفيها قولان

أحدهما أنها رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قاله الأكثرون وقال القاضي أبو يعلى إنما سماها حرما لمعنيين أحدهما تحريم القتال فيها وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضا والثاني لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشد من تعظيمه في غيرها وكذلك تعظيم الطاعات فيها

(٤٣٢/٣)

والثاني انها الأشهر التي أجل المشركون فيها للسياحة ذكره ابن قتيبة
قوله تعالى ذلك الدين القيم فيه قولان
أحدهما ذلك القضاء المستقيم قاله ابن عباس
والثاني ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي قاله ابن قتيبة
قوله تعالى فلا تظلموا فيهن أنفسكم اختلفوا في كناية فيهن على قولين
أحدهما أنها تعود على الاثني عشر شهرا قاله ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كفعل أهل النسيء
والثاني أنها ترجع إلى الأربعة الحرم وهو قول قتادة والفراء واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة لثلاث ليال خلون وأيام خلون فاذا جزت العشرة قالوا خلت ومضت ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة هن وهؤلاء فاذا جزت العشرة قالوا هي وهذه إرادة أن تعرف سمة القليل من الكثير وقال ابن الانباري العرب تعيد الهاء والنون على القليل من العدد والهاء والألف على الكثير منه والقلة ما بين الثلاثة إلى العشرة والكثرة ما جاوز العشرة يقولون وجهت إليك أكبشا فاذبحهن وكباشا فاذبحها فلهذا قال منها أربعة حرم وقال فلا تظلموا فيهن لأنه يعني بقوله فيهن الأربعة ومن قال من المفسرين إنه يعني بقوله فيهن الاثني عشر فانه ممكن لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير وعلامة الكثير للقليل وعلى قول من قال ترجع فيهن إلى الأربعة يخرج في معنى الظلم فيهن أربعة اقوال

(٤٣٣/٣)

أحدها أنه المعاصي فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر أن شأن المعاصي يعظم فيها أشد من تعظيمه في غيرها وذلك لفضلها على ما سواها كقوله وجبريل وميكال وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة وقوله فاكهة ونخل ورمان وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة وقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وإن كان منهيا عنه في غير الحج وكما أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وإن كان مأمورا بالمحافظة على غيرها هذا قول الأكثرين
والثاني أن المراد بالظلم فيهن فعل النسيء وهو تحليل شهر محرم وتحريم شهر حلال قاله ابن اسحاق
والثالث أنه البداية بالقتال فيهن فيكون المعنى فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن تبدؤوا بالقتال قاله مقاتل
والرابع أنه ترك القتال فيهن فيكون المعنى فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوكم قاله ابن بحر

وهو عكس قول مقاتل والسر في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض ليكون الكف عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريجا للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعا

إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

قوله تعالى إنما النسيء زيادة في الكفر الجمهور على همز النسيء ومده وكسر سينه وروى شبل عن ابن كثير النسء على وزن النسع وفي

(٤٣٤/٣)

رواية أخرى عن شبل النسي مشددة الياء من غير همز وهي قراءة أبي جعفر والمراد بالكلمة التأخير قال اللغويون النسيء تأخير الشيء وكانت العرب تحرم الأشهر الأربعة وكن هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضا إلى الشهر الذي بعده ثم تتدافع الشهور شهرا بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها فكأنهم يستنسؤون الشهر الحرام ويستقرضونه فأعلم الله عز و جل أن ذلك زيادة في كفرهم لأنهم أحلوا الحرام وحرموا الحلال ليواطؤوا أي ليوافقوا عدة ما حرم الله فلا يخرجون من تحريم أربعة ويقولون هذه بمنزلة الأربعة الحرم ولا يبالون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم قال الفراء كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصدر عن منى قام رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول أنا الذي لا أعاب ولا أجاب ولا يرد لي قضاء فيقولون أنسئنا شهرا يريدون أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر فيفعل ذلك وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حرم لا يغيرون فيها وإنما كان معاشهم من الإغارة فتستدير الشهور كما بينا وقيل إنما كانوا يستحلون المحرم عاما فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه قال أبو عبيد والتفسير الأول أحب إلي لأن هذا القول ليس فيه استدارة وقال مجاهد كان أول من أظهر النسيء جنادة بن عوف الكناني فوافقت حجة أبي بكر ذا القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه و سلم في العام القابل في ذي الحجة فذلك حين قال ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

(٤٣٥/٣)

والأرض وقال الكلبي أول من فعل ذلك نعيم بن ثعلبة
قوله تعالى يضل به الذين كفروا وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم يضل بفتح الياء وكسر الضاد والمعنى أنهم يكتسبون الضلال به وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم يضل بضم الياء وفتح الضاد على مالم يسم فاعله وقرأ الحسن البصري ويعقوب إلا الوليد يضل بضم الياء وكسر الضاد وفيه ثلاثة أوجه
أحدها يضل الله به والثاني يضل الشيطان به ذكرهما ابن القاسم والثالث يضل به الذين كفروا الناس لأنهم الذين سنوه لهم قال أبو علي التقدير يضل به الذين كفروا تابعيهم وقال ابن القاسم الهاء في به راجعة إلى النسيء وأصل النسيء المنسوء أي المؤخر فينصرف عن مفعول إلى فعيل كما قيل مطبوخ وطبيخ ومقدور وقدير قال وقيل الهاء راجعة إلى الظلم لأن النسيء كشف تأويل الظلم فجرى مجرى المظهر والأول اختيارنا
يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل
قوله تعالى مالكم إذا قيل لكم انفروا قال المفسرون لما امر رسول الله صلى الله عليه و سلم بغزوة تبوك وكان في زمن عسرة وجدب وحر شديد وقد طابت الثمار

(٤٣٦/٣)

عظم ذلك على الناس وأحبوا المقام فنزلت هذه الآية وقوله مالكم استفهام معناه التوبيخ وقوله انفروا معناه اخرجوا وأصل النفر مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر هاج إلى ذلك وقوله اثاقلتم قال ابن قتيبة أراد تثاقلتم فأدغم التاء في الثاء وأحدثت الألف ليسكن ما بعدها وأراد قعدتم وفي قراءة ابن مسعود والأعمش تثاقلتم
وفي معنى إلى الأرض ثلاثة أقوال
أحدها تثاقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها قاله مجاهد
والثاني اطمأننتم إلى الدنيا قاله الضحاك
والثالث تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم قاله الزجاج
قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا أي بنعيمها من نعيم الآخرة فما يتمتع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يتمتع به الأولياء في الجنة
إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير
قوله تعالى إلا تنفروا يعذبكم سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما حثهم

على غزو الروم تثاقلوا فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس وقال قوم هذه خاصة فيمن استنفره رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم ينفر قال ابن عباس استنفر رسول الله صلى الله عليه و سلم حيا من العرب فتثاقلوا عنه فأمسك عنهم المطر فكان عذابهم وفي قوله ويستبدل قوما غيركم وعيد شديد في التخلف عن الجهاد وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قوما غير متثاقلين ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضروه كما لم يضرره ذلك إذ كان بمكة وفي هاء تضروه قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الله والمعنى لا تضروا الله بترك النفير قاله الحسن

والثاني أنها ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فالمعنى لا تضروه بترك نصره قاله الزجاج

فصل

وقد روي عن ابن عباس والحسن وعكرمة قاله نسخ قوله إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال أبو سليمان الدمشقي ليس هذا من المنسوخ إذ لا تنافي بين الآيتين وإنما حكم كل آية قائم في موضعها وذكر القاضي ابو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا ليس هاهنا نسخ ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو ففرض على الناس النفير إليهم ومتى استغنوا عن إعانة من وراءهم عذر القاعدون عنهم وقال قوم هذا في غزوة تبوك ففرض على الناس النفير مع رسول الله صلى الله عليه و سلم

إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم

قوله تعالى إلا تنصروه أي بالنفير معه فقد نصره الله إعانة على أعدائه إذ أخرجه الذين كفروا حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا فأعلمهم أن نصره ليس بهم

قوله تعالى ثاني اثنين العرب تقول هو ثاني اثنين أي أحد الاثنين وثالث ثلاثة أي أحد الثلاثة قال الزجاج وقوله ثاني اثنين منصوب على الحال المعنى فد نصره الله أحد اثنين أي نصره منفردا إلا من أبي بكر وهذا معنى قول الشعبي عاتب الله أهل الأرض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال ابن جرير المعنى أخرجوه وهو أحد الاثنين وهما رسول الله صلى الله عليه و سلم وأبو بكر فأما الغار فهو ثقب في الجبل وقال ابن فارس الغار الكهف والغار نبت طيب الريح والغار الجماعة من الناس والغاران البطن والفرج

وهما الأجوفان يقال إنما هو عبد غاريه قال الشاعر ... ألم تر أن الدهر يوم وليلة ... وأن الفتى يسعى لغاريه دائبا ...

قال قتادة وهذا الغار في جبل بمكة يقال له ثور قال مجاهد مكثا فيه ثلاثا وقد ذكرت حديث الهجرة في كتاب الحدائق قال أنس بن مالك

(٣/٤٣٩)

أمر الله عز و جل شجرة فنبتت في وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم فسترته وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه وأمر حمامتين وحشيتين فوقعتا في فم الغار فلما دنوا من الغار عجل بعضهم لينظر فرأى حمامتين فرجع فقال رأيت حمامتين على فم الغار فعلمت أنه ليس فيه أحد وقال مقاتل جاء القائف فنظر إلى الأقدام فقال هذه قدم ابن أبي قحافة والأخرى لا أعرفها إلا أنها تشبه القدم التي في المقام وصاحبه في هذه الآية أبو بكر وكان أبو بكر قد بكى لما مر المشركون على باب الغار فقال له النبي صلى الله عليه و سلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما

وفي السكينة ثلاثة أقوال

أحدها أنها الرحمة قاله ابن عباس والثاني الوقار قاله قتادة والثالث السكون والطمأنينة قاله ابن قتيبة وهو اصح

وفي هاء عليه ثلاثة أقوال

أحدها أنها ترجع إلى أبي بكر وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس وحبيب بن أبي ثابت واحتج من نصر هذا القول بأن النبي صلى الله عليه و سلم كان مطمئنا

والثاني أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم قاله مقاتل

(٣/٤٤٠)

والثالث أن الهاء هاهنا في معنى تثنية والتقدير فأنزل الله سكينته عليهما فاكتفى باعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ذكره ابن الانباري

قوله تعالى وأيده أي قواه يعني النبي صلى الله عليه و سلم بلا خلاف بجنود لم تروها وهم الملائكة ومتى كان ذلك فيه قولان

أحدهما يوم بدر ويوم الأحزاب ويوم حنين قاله ابن عباس

والثاني لما كان في الغار صرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته قاله الزجاج

فان قيل إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في أيده ترجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم فكيف تفارقها هاء عليه وهما متفقتان في نظم الكلام

فالجواب أن كل حرف يرد إلى الأليق به والسكينة إنما يحتاج إليها المنزعج ولم يكن النبي صلى الله عليه و سلم منزعجا فأما التأييد بالملائكة فلم يكن إلا للنبي صلى الله عليه و سلم ونظير هذا قوله لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه يعني النبي صلى الله عليه و سلم وتسبحوه يعني الله عز و جل

قوله تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى فيها قولان

أحدهما أن كلمة الكافرين الشرك جعلها الله السفلى لأنها مقهورة وكلمة الله وهي التوحيد هي العليا لأنها ظهرت هذا قول الأكثرين

والثاني أن كلمة الكافرين ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه وكلمة الله أنه ناصره رواه عطاء عن ابن عباس وقرأ ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة والضحاك ويعقوب وكلمة الله بالنصب

(٣/٤٤١)

قوله تعالى والله عزيز أي في انتقامه من الكافرين حكيم في تدبيره

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون

قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا سبب نزولها أن المقداد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وكان عظيما سمينا فشكا إليه وسأله أن يأذن له فنزلت هذه الآية قاله السدي وفي معنى خفافا وثقالا أحد عشر قولا

أحدها شيوخا وشبابا رواه أنس عن أبي طلحة وبه قال الحسن والشعبي وعكرمة ومجاهد وأبو صالح وشمر بن عطية وابن زيد في آخرين

والثاني رجالة وركبانا رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال الأوزاعي

والثالث نشاطا وغير نشاط رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة ومقاتل

والرابع أغنياء وفقراء روي عن ابن عباس ثم في معنى هذا الوجه قولان أحدهما أن الخفاف ذوو العسرة وقلة العيال والثقال ذوو العيال والميسرة قاله الفراء والثاني أن الخفاف أهل الميسرة والثقال أهل العسرة حكي عن الزجاج

والخامس ذوي عيال وغير عيال قاله زيد بن أسلم

والسادس ذوي ضياع وغير ذوي ضياع قاله ابن زيد

والسابع ذوي أشغال وغير ذوي أشغال قاله الحكم

(٣/٤٤٢)

والثامن أصحاء ومرضى قاله مرة الهمداني وجويبر
والتاسع عزابا ومتأهلين قاله يمان بن رياب
والعاشر خفافا إلى الطاعة وثقالا عن المخالفة ذكره الماوردي
والحادي عشر خفافا من السلاح وثقالا بالاستكثار منه ذكره الثعلبي
فصل
روى عطاء الخراساني عن ابن عباس ان هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى
قوله تعالى وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم قال القاضي أبو يعلى أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعا فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال فعليه الجهاد بماله بأن يعطيه غيره فيغزو به كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قويا وإن كان له مال وقوة فعليه الجهاد بالنفس والمال ومن كان معدما عاجزا فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله لقوله ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله

(٤٤٣/٣)

قوله تعالى ذلكم خير لكم فيه قولان
أحدهما ذلكم خير لكم من تركه والتثاقل عنه
والثاني ذلكم الجهاد خير حاصل لكم إن كنتم تعلمون مالكم من الثواب
لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون
قوله تعالى لو كان عرضا قريبا قال المفسرون نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ومعنى الآية لو كان ما دعوا إليه عرضا قريبا والعرض كل ما عرض لك من منافع الدنيا فالمعنى لو كانت غنيمة قريبة أو كان سفرا قاصدا أي سهلا قريبا لاتبعوك طمعا في المال ولكن بعدت عليهم الشقة قال ابن قتيبة الشقة السفر وقال الزجاج الشقة الغاية التي تقصد وقال ابن فارس الشقة مصير إلى أرض بعيدة تقول شق شاقة
قوله تعالى وسيحلفون بالله يعني المنافقين إذا رجعتم إليهم لو استطعنا وقرأ زائدة عن الأعمش والأصمعي عن نافع لو استطعنا بضم الوا وكذا أين وقع مثل لو اطلعت عليهم كأه لما احتيج إلى حركة الواو حركت بالضم لأنها أخت الواو والمعنى لو قدرنا وكان لنا سعة في المال يهلكون أنفسهم بالكذب

والنفاق والله يعلم إنهم لكاذبون لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا
عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم كان صلى الله عليه و سلم قد أذن لقوم من

(٤٤٤/٣)

المنافقين في التخلف لما خرج إلى تبوك قال ابن عباس ولم يكن يومئذ يعرف المنافقين قال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه و سلم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الأسارى فعاتبه الله كما تسمعون قال مورق عاتبه ربه بهذا وقال سفيان بن عيينة انظر إلى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب وقال ابن الانباري لم يخاطب بهذا لجرم أجرمه لكن الله وقره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله عفا الله عنك كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريما عليه عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي ورضي الله عنهاك هلا زرتني
قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا فيه قولان
أحدهما أن معناه حتى تعرف ذوي العذر في التخلف ممن لا عذر له
والثاني لو لم تأذن لهم لقعدوا وبان لك كذبهم في اعتذارهم قال قتادة ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقوله فائذن لمن شئت منهم
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله قال ابن عباس هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود قال الزجاج أعلم الله عز و جل نبيه صلى الله عليه و سلم أن علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان

(٤٤٥/٣)

فصل
وروي عن ابن عباس أنه قال نسخت هذه الآية بقوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه إلى آخر الآية قال أبو سليمان الدمشقي وليس للنسخ هاهنا مدخل لإمكان العمل بالآيتين وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة ذهبوا من غير استئذانه
ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا

فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين
قوله تعالى ولو أرادوا الخروج يعني المستأذنين له في القعود
وفي المراد بالعدة قولان
أحدهما النية قاله الضحاك عن ابن عباس
والثاني السلاح والمركوب وما يصلح للخروج قاله أبو صالح عن ابن عباس والانبعاث الانطلاق والتثبط ردك الإنسان عن الشيء يفعله
قوله تعالى وقيل اقعدوا في القائل لهم ثلاثة أقوال
أحدها أنهم ألهموا ذلك خذلانا لهم قاله مقاتل والثاني أن النبي صلى الله عليه و سلم قاله غضبا عليهم والثالث أنه قول بعضهم لبعض ذكرهما الماوردي

(٣/٤٤٦)

وفي المراد بالقاعدين قولان
أحدهما أنهم القاعدون بغير عذر قاله ابن السائب
والثاني أنهم القاعدون بعذر كالنساء والصبيان ذكره علي بن عيسى
وقال الزجاج ثم أعلم الله عز و جل لم كره خروجهم فقال لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا والخبال الفساد وذهاب الشيء وقال ابن قتيبة الخبال الشر
فان قيل كأن الصحابة كان فيها خبال حتى قيل ما زادوكم إلا خبالا فالجواب أنه من الاستثناء المنقطع والمعنى ما زادوكم قوة لكن أوقعوا بينكم خبالا وقيل سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه و سلم لما خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع وخرج عبد الله بن أبي فضرب عسكره على أسفل من ذلك فلما سار رسول الله صلى الله عليه و سلم تخلف ابن أبي فيمن تخلف من المنافقين فنزلت هذه الآية
قوله تعالى ولأوضعوا خلالكم قال الفراء الإيضاع السير بين القوم وقال أبو عبيدة لأسرعوا بينكم وأصله من التخلل قال الزجاج يقال أوضعت في السير أسرعت
قوله تعالى يبغونكم الفتنة قال الفراء يبغونها لكم وفي الفتنة قولان
أحدهما الكفر قاله الضحاك ومقاتل وابن قتيبة

(٣/٤٤٧)

والثاني تفريق الجماعة وشتات الكلمة قال الحسن لأوضعوا خلالكم بالنميمية لإفساد ذات بينكم

قوله تعالى وفيكم سماعون لهم فيه قولان

أحدهما عيون ينقلون إليهم أخباركم قاله مجاهد وابن زيد

والثاني من يسمع كلامهم ويطيعهم قاله قتادة وابن إسحاق

لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون

قوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة في الفتنة قولان

أحدهما الشر قاله ابن عباس والثاني الشرك قاله مقاتل

قوله تعالى من قبل أي من قبل غزوة تبوك

وفي قوله وقلبوا لك الأمور خمسة أقوال

أحدها بغوا لك الغوائل قاله ابن عباس وقيل إن اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على طريقه ليلا ليفتكوا به فسلمه الله منهم

والثاني احتالوا في تشتت أمرك وإبطال دينك قاله ابو سليمان الدمشقي قال ابن جرير وذلك كانصراف ابن أبي يوم أحد بأصحابه

والثالث أنه قولهم ما ليس في قلوبهم

والرابع أنه ميلهم إليك في الظاهر ومماألأة المشركين في الباطن

والخامس أنه حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي

قوله تعالى حتى جاء الحق يعني النصر وظهر أمر الله يعني الإسلام

(٤٤٨/٣)

ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين

قوله تعالى ومنهم من قول ائذن لي سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال للجد بن قيس يا جد هل لك في جلاد بني الأصفر لعلك أن تغنم بعض بنات الأصفر فقال يا رسول الله ائذن لي فأقيم ولا تفتني ببنات الأصفر فأعرض عنه وقال قد أذنت لك ونزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس وهذه الآية وما بعدها إلى قوله إنما الصدقات في المنافقين

قوله تعالى ومنهم يعني المنافقين من يقول ائذن لي أي في القعود عن الجهاد وهو الجد بن قيس وفي قوله ولا تفتني أربعة أقوال

أحدها لا تفتني بالنساء قاله ابن عباس ومجاهد وابن زيد

والثاني لا تكسبني الإثم بأمرك إياي بالخروج وهو غير متيسر لي فآثم بالمخالفة قاله الحسن وقتادة

والزجاج
والثالث لا تكفرني بإلزامك إياي الخروج قاله الضحاك
والرابع لا تصرفني عن شغلى قاله ابن بحر
قوله تعالى ألا في الفتنة سقطوا في هذه الفتنة أربعة اقوال
أحدها أنها الكفر قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني الحرج قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
والثالث الإثم قاله قتادة والزجاج والرابع العذاب في جهنم ذكره الماوردي

(٤٤٩/٣)

إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
قوله تعالى إن تصبك حسنة أي نصر وغنيمة والمصيبة القتل والهزيمة يقولوا قد أخذنا أمرنا أي عملنا بالحزم فلم نخرج ويتولوا وهم فرحون بمصابك وسلامتهم
قوله تعالى إلا ما كتب الله لنا فيه ثلاثة أقوال
أحدها ما قضى علينا قاله ابن عباس
والثاني ما بين لنا في كتبه من أنا نظفر فيكون ذلك حسنى لنا أو نقتل فتكون الشهادة حسنى لنا أيضا قاله الزجاج
والثالث لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وعدنا ذكره الماوردي
قوله تعالى هو مولانا أي ناصرنا
قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون
قوله تعالى قل هل تربصون بنا أي تنتظرون والحسنيان النصر والشهادة ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده في هذا العذاب قولان

(٤٥٠/٣)

أحدهما الصواعق قاله ابن عباس والثاني الموت قاله ابن جريج
قوله تعالى أو بأيدينا يعني القتل
قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين

قوله تعالى أنفقوا طوعا أو كرها سبب نزولها أن الجد بن قيس قال للنبي صلى الله عليه و سلم لما عرض عليه غزو الروم إذا رأيت النسا افتتنت ولكن هذا مالي أعينك به فنزلت هذه الآية قال ابن عباس قال الزجاج وهذا لفظ أمر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم ومثله في الشعر قول كثير ... أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت ... لم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها قال الفراء ومثله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم

وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلواة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون

قوله تعالى وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر تقبل بالتاء وقرأ حمزة والكسائي يقبل

(٤٥١/٣)

بالياء قال أبو علي من أنث فلأن الفعل مسند إلى مؤنث في اللفظ ومن قرأ بالياء فلأنه ليس بتأنيث حقيقي فجاز تذكريه كقوله فمن جاءه موعظة من ربه وقرأ الجحدري أن يقبل بياء مفتوحة نفقاتهم بكسر التاء وقرأ الأعمش نفقتهم بغير ألف مرفوعة التاء وقرأ أبو مجلز وأبو رجاء أن يقبل بالياء نفقتهم بنصب التاء على التوحيد

قوله تعالى إلا أنهم كفروا بالله قال ابن الانباري أن هاهنا مفتوحة لأنها بتأويل المصدر مرتفعة ب منعهم والتقدير وما منعهم قبول النفقة منهم إلا كفرهم بالله

قوله تعالى إلا وهم كسالى قد شرحناه في سورة النساء

قوله تعالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم يعدون الإنفاق مغرما

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون

قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم أي لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد وفي معنى الآية اربعة اقوال

أحدها فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة فعلى هذا في الآية تقديم وتأخير ويكون تعذيبهم في الآخرة بما صنعوا في كسب الأموال وإنفاقها

والثاني أنها على نظمها والمعنى ليعذبهم بها في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد فهي لهم عذاب وللمؤمنين أجر قاله ابن زيد

(٤٥٢/٣)

والثالث أن المعنى ليعذبهم بأخذ الزكاة من أموالهم والنفقة في سبيل الله قاله الحسن فعلى هذا ترجع الكناية إلى الأموال وحدها

والرابع ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم ذكره الماوردي فعلى هذا تكون في المشركين

قوله تعالى وتزهق أنفسهم أي تخرج يقال زهق السهم إذا جاوز الهدف

ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون

قوله تعالى ويحلفون بالله إنهم لمنكم أي مؤمنون و يفرقون بمعنى يخافون فأما الملجأ فقال الزجاج الملجأ واللجأ مقصور مهموز وهو المكان الذي يتحصن فيه والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان أي يستتر فيه وقرأ سعيد بن جبير وابن أبي عبلة أو مغارات بضم الميم لأنه يقال أغرت وغرت إذا دخلت الغور واصل مدخل مدتخل ولكن التاء تبدل بعد الدال دالا لأن التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد أخف وقرأ أبي وأبو المتوكل وأبو الجوزاء أو متدخلا برفع الميم وبتاء ودال مفتوحتين مشددة الخاء وقرأ ابن مسعود وأبو عمران مندخلا بنون بعد الميم المضمومة وقرأ الحسن وابن يعمر ويعقوب مدخلا بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها قال الزجاج من قال مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قال مدخلا فهو من أدخلته مدخلا قال الشاعر

(٤٥٣/٣)

الحمد لله ممسانا ومصبحنا ... بالخير صبحنا ربي ومسانا ...

ومعنى مدخل ومدخل أنهم لو وجدوا قوما يدخلون في جملتهم لولوا إليه أي إلى أحد هذه الأشياء وهم يجمحون أي يسرعون إسراعا لا يرد فيه وجوههم شيء يقال جمح وطمح إذا أسرع ولم يرد وجهه شيء ومنه قيل فرس جموح للذي إذا حمل لم يرده اللجام

ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون

قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فيمن نزلت فيه قولان

أحدهما أنه ذو الخويصرة التميمي قال للنبي صلى الله عليه و سلم يوما اعدل يا رسول الله فنزلت هذه الآية ويقال أبو الخواصر ويقال ابن ذي الخويصرة

والثاني أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول إنما يعطي محمد من يشاء فنزلت هذه الآية قال ابن قتيبة يلمزك

يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته إذا اغتبته وعبته والأكثرون على كسر ميم يلمزك وقرأ يعقوب ونظيف عن قنبل وأبان عن عاصم والقزاز عن عبد الوارث يلمزون ويلمزك ولا تلمزوا بضم الميم فيهن وقرأ ابن السميفع يلامزك مثل يفاعلك وقد رواها حماد بن سلمة عن ابن كثير قال أبو علي الفارسي وينبغي أن تكون فاعلت في هذا من احد ونحو طارقت النعل وعافاه الله لأن هذا لا يكون من النبي صلى الله عليه و سلم وقرأ الأعمش يلمزك بتشديد الميم من

(٤٥٤/٣)

غير ألف مثل يفعلك قال الزجاج يقال لمزت الرجل ألمزه وألمزه بكسر الميم وضمها إذا عبته وكذلك همزته أهمزه قال الشاعر ... إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة ... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزه ...

ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون

إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

قوله تعالى ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله أي قنعوا بما أعطوا إنا إلى الله راغبون في الزيادة أي لكان خيرا لهم وهذا جواب لو وهو محذوف في اللفظ

ثم بين المستحق للصدقات بقوله إنما الصدقات للفقراء والمساكين اختلفوا في صفة الفقير والمسكين على ستة أقوال

أحدها ان الفقير المتعفف عن السؤال والمسكين الذي يسأل وبه رمق قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وجابر بن زيد والزهري والحكم وابن زيد ومقاتل

والثاني أن الفقير المحتاج الذي به زمانة والمسكين المحتاج الذي لا زمانة به قاله قتادة

(٤٥٥/٣)

والثالث الفقير المهاجر والمسكين الذي لم يهاجر قاله الضحاك بن مزاحم والنخعي

والرابع الفقير فقير المسلمين والمسكين من أهل الكتاب قاله عكرمة

والخامس أن الفقير من له البلغة من الشيء والمسكين الذي ليس له شيء قاله أبو حنيفة ويونس بن حبيب ويعقوب بن السكيت وابن قتيبة واحتجوا بقول الراعي ... أما الفقير الذي كانت حلوبته ... وفق العيال فلم يترك له سبد ...

فسماه فقيرا وله حلوبة تكفيه وعياله وقال يونس قلت لأعرابي أفقير أنت قال لا والله بل مسكين يريد

أنه أسوأ حالا من الفقير

والسادس أن الفقير أمس حاجة من المسكين وهذا مذهب أحمد لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفقار والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع وذلك أبلغ قال ابن الانباري ويروى عن الأصمعي أنه قال المسكين أحسن حالا من الفقير وقال أحمد بن عبيد المسكين أحسن حالا من الفقير لأن الفقير أصله في اللغة المفقور الذي نزعت فقره من فقر ظهره فكأنه انقطع ظهره من شدة الفقر فصره عن مفقور إلى فقير كما قيل مجروح وجريح ومطبوخ وطبيخ قال الشاعر

(٤٥٦/٣)

لما رأى لبد النسور تطايرت ... رفع القوادم كالفقير الأعزل ...

قال ومن الحجة لهذا القول قوله وأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مالا قال وهو الصحيح عندنا

قوله تعالى والعاملين عليها وهم السعاة لجباية الصدقة يعطون منها بقدر أجور أمثالهم وليس ما يأخذونه بزكاة

قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتألفهم على الإسلام بما يعطيهم وكانوا ذوي شرف وهم صنفان مسلمون وكافرون فأما المسلمون فصنفان صنف كانت نياتهم في الإسلام ضعيفة فتألفهم تقوية لنياتهم كعيينة بن حصن والأقرع وصنف كانت نياتهم حسنة فأعطوا تألفا لعشائرهم من المشركين مثل عدي بن حاتم وأما المشركون فصنفان صنف يقصدون المسلمين بالأذى فتألفهم دفعا لأذاهم مثل عامر بن الطفيل وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام تألفهم بالعطية ليؤمنوا كصفوان بن أمية وقد ذكرت عدد المؤلفة في كتاب التلقيح وحكمهم باق عند أحمد في رواية وقال أبو حنيفة والشافعي حكمهم منسوخ قال الزهري لا أعلم شيئا نسخ حكم المؤلفة قلوبهم

قوله تعالى وفي الرقاب قد ذكرناه في سورة البقرة

(٤٥٧/٣)

قوله تعالى والغارمين وهم الذين لزمهم الدين ولا يجدون القضاء قال قتادة هم ناس عليهم دين من غير فساد ولا إسراف ولا تبذير وإنما قال هذا لأنه لا يؤمن في حق المفسد إذا قضي دينه أن يعود إلى الاستدانة لذلك ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية

قوله تعالى وفي سبيل الله يعني الغزاة والمرابطين ويجوز عندنا ان نعطي الأغنياء منهم والفقراء وهو قول

الشافعي وقال أبو حنيفة لا يعطى إلا الفقير منهم وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج أم لا فيه عن أحمد روايتان

قوله تعالى وابن السبيل هو المسافر المنقطع به وإن كان له مال في بلده قاله مجاهد وقتادة وأبو حنيفة وأحمد فأما إذا أراد أن ينشئ سفرا فهل يجوز أن يعطى قال الشافعي يجوز وعن أحمد مثله وقد ذكرنا في سورة البقرة فيه أقوالا عن المفسرين

قوله تعالى فريضة من الله يعني أن الله افترض هذا

فصل

وحد الغني الذي يمنع أخذ الزكاة عند أصحابنا بأحد شيئين أن يكون مالكا لخمسين درهما أو عدلها من الذهب سواء كان ذلك يقوم بكفايته أو لا يقوم والثاني أن يكون له كفاية إما من صناعة أو أجرة عقار أو عروض

للتجارة يقوم ربحها بكفايته وقال أبو حنيفة الاعتبار في ذلك أن يكون مالكا لنصاب تجب عليه فيه الزكاة فأما ذوو القربى الذين تحرم عليه الصدقة فهم بنو هاشم وبنو المطلب وقال أبو حنيفة تحرم على ولد هاشم ولا تحرم على ولد المطلب ويجوز أن يعمل على الصدقة من بني هاشم وبني المطلب ويأخذ عمالته منها خلافا لأبي حنيفة فأما موالي بني هاشم وبني المطلب فتحرم عليهم الصدقة خلافا لمالك ولا يجوز أن يعطي صدقته من تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطي والدا وإن علا ولا ولدا وإن سفل ولا زوجه ويعطي من عداهم فأما الذمي فالأكثرون على أنه لا يجوز إعطاؤه وقال عبيد الله بن الحسن إذا لم يجد مسلما أعطي الذمي ولا يجب استيعاب الأصناف ولا اعتبار عدد من كل صنف وهو قول أبي حنيفة ومالك وقال الشافعي يجب الاستيعاب من كل صنف ثلاثة

فأما إذا أراد نقل الصدقة من بلد المال إلى موضع تقصر فيه الصلاة فلا يجوز له ذلك فان نقلها لم يجزئه وهو قول مالك والشافعي وقال أبو حنيفة يكره نقلها وتجزئه قال أحمد ولا يعطي الفقير أكثر من خمسين درهما وقال أبو حنيفة أكره أن يعطي رجل واحد من الزكاة مائتي درهم وإن أعطيته أجزأك فأما الشافعي فاعتبر ما يدفع الحاجة من غير حد فان أعطي من يظنه فقيرا فبان أنه غني فهل يجزئ فيه عن أحمد روايتان

ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين

آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم
قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي في سبب نزولها ثلاثة أقوال

(٣/٤٥٩)

أحدها أن خذام بن خالد والجلاس بن سويد وعبيد بن هلال في آخرين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعضهم لبعض لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا فانما محمد أذن سامعة ثم نأتيه فيصدقنا فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أن رجلا من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث كان ينم حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال إنما محمد أذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحله له فيصدقنا فنزلت هذه الآية قاله محمد بن إسحاق
والثالث أن ناسا من المنافقين منهم جلاس بن سويد ووديعة بن ثابت اجتمعوا فأرادوا أن يقعوا في النبي صلى الله عليه و سلم وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا لئن كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله إن ما يقوله محمد حق وإنكم لشر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا أن عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبوا وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق وكذب الكاذب فنزلت هذه الآية ونزل قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم قاله السدي فأما الأذى فهو عيبه ونقل حديثه ومعنى أذن يقبل كل ما قيل

(٣/٤٦٠)

له قال ابن قتيبة الأصل في هذا ان الأذن هي السامعة فقيل لكل من صدق بكل خبر يسمعه أذن وجمهور القراء يقرؤون هو أذن قل أذن بالتثقيل وقرأ نافع هو أذن قل أذن خير باسكان الذال فيهما ومعنى أذن خير لكم أي أذن خير لا أذن شر يسمع الخير فيعمل به ولا يعمل بالشر إذا سمعه وقرأ ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن يعمر وابن أبي عبلة أذن بالتنوين خير بالرفع والمعنى إن كان كما قلتك يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم قال أبو علي يجوز أن تطلق الأذن على الجملة كما قال الخليل إنما سميت الناب من الإبل لمكان الناب البازل فسميت الجملة كلها به فأجروا على الجملة اسم الجارحة لإرادتهم كثرة استعماله لها في الإصغاء بها
ثم بين ممن يقبل فقال يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين قال ابن قتيبة الباء واللام زائدتان والمعنى يصدق الله

ويصدق المؤمنين وقال الزجاج يسمع ما ينزله الله عليه فيصدق به ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه به ورحمة أي وهو رحمة لأنه كان سبب إيمان المؤمنين وقرأ حمزة ورحمة بالخفض قال أبو علي المعنى أذن خير ورحمة والمعنى مستمع خير ورحمة

يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين

قوله تعالى يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال ابن السائب نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع النبي صلى الله عليه و سلم أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم ويحلفون ويعتلون وقال مقاتل منهم عبد الله بن أبي حلف لا يتخلف

(٤٦١/٣)

عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وليكونن معه على عدوه وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا بالعيب وحكى الزجاج عن بعض النحويين أنه قال اللام في ليرضوكم بمعنى القسم والمعنى يحلفون بالله لكم لنرضينكم قال وهذا خطأ لأنهم إنما حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليرضوا باليمين ولم يحلفوا أنهم يرضون في المستقبل قلت وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزجاج وقد مال إليه الأخفش

قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه فيه قولان

أحدهما بالتوبة والإنابة والثاني بترك الطعن والعيب

فان قيل لم قال يرضوه ولم يقل يرضوهما فقد شرحنا هذا عند قوله ولا ينفقونها في سبيل الله

ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم

قوله تعالى الم يعلموا روى أبو زيد عن المفضل ألم تعلموا بالتاء أنه من يحادد الله فيه قولان

أحدهما من يخالف الله قاله ابن عباس

والثاني من يعادي الله كقولك من يجانب الله ورسوله أي يكون في حد والله ورسوله في حد

قوله تعالى فإن له نار جهنم قرأ الجمهور فأن بفتح الهمزة وقرأ أبو رزين وأبو عمران وابن أبي عبلة بكسرها فمن كسر فعلى الاستئناف بعد الفاء كما تقول فله نار جهنم ودخلت إن مؤكدة ومن قال

(٤٦٢/٣)

فإن له فانما أعاد أن الأولى توكيدا لأنه لما طال الكلام كان إعادتها أوكد

يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون

قوله تعالى يحذر المنافقون في سبب نزولها ثلاثة أقوال
أحدها أن المنافقين كانوا يعيبون رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما بينهم ويقولون عسى الله أن لا يفشي سرنا فنزلت هذه الآية قاله مجاهد
والثاني أن بعض المنافقين قال لوددت أني جلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فنزلت هذه الآية قاله السدي
والثالث أن جماعة من المنافقين وقفوا للنبي صلى الله عليه و سلم في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به فأخبره جبريل عليه السلام ونزلت هذه الآية قاله ابن كيسان
وفي قوله يحذر المنافقون قولان
أحدهما أنه إخبار من الله عز و جل عن حالهم قاله الحسن وقتادة واختاره ابن القاسم
والثاني أنه أمر من الله عز و جل لهم بالحذر فتقديره ليحذر المنافقون قاله الزجاج قال ابن الانباري والعرب ربما أخرجت الأمر على لفظ الخبر فيقولون يرحم الله المؤمن ويعذب الكافر يريدون ليرحم وليعذب فيسقطون اللام ويجرونه مجرى الخبر في الرفع وهم لا ينوون إلا الدعاء والدعاء مضارع للأمر

(٣/٤٦٣)

قوله تعالى قل استهزؤوا هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديدا
وفي قوله إن الله مخرج ما تحذرون وجهان
أحدهما مظهر ما تسرون والثاني ناصر من تخذلون ذكرهما الماوردي
ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين
قوله تعالى لئن سألتهم في سبب نزولها ستة أقوال
أحدها أن جد بن قيس ووديعة بن خذام والجهير بن خمير كانوا يسيرون بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم مرجعه من تبوك فجعل رجلان منهم يستهزآن برسول الله صلى الله عليه و سلم والثالث يضحك مما يقولان ولا يتكلم بشيء فنزل جبريل فأخبره بما يستهزؤون به ويضحكون فقال لعمار بن ياسر اذهب فسلهم عما كانوا يضحكون منه وقل لهم أحرقكم الله فلما سألهم وقال أحرقكم الله علموا أنه قد نزل فيهم قرآن فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم وقال الجهير والله ما تكلمت بشيء وإنما ضحكت تعجبا من قولهم فنزل قوله لا تعتذروا يعني جد بن قيس ووديعة إن يعف عن طائفة منكم يعني الجهير نعذب طائفة يعني الجد ووديعة هذا قول أبي صالح عن ابن عباس
والثاني أن رجلا من المنافقين قال ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء ولا أرغب بطونا ولا أكذب ولا أجبن عند

اللقاء يعني رسول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت لكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه و سلم

(٣/٤٦٤)

فذهب ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب هذا قول ابن عمر وزيد بن أسلم والقرظي

والثالث أن قوما من المنافقين كانوا يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا إن كان ما يقول هذا حقا لنحن شر من الحمير فأعلم الله نبيه ما قالوا ونزلت ولئن سألتهم قاله سعيد بن جبير

والرابع أن رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت هذه الآية قاله مجاهد

والخامس أن ناسا من المنافقين قالوا يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه و سلم احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا إنما كنا نخوض ونلعب فنزلت هذه الآية قاله قتادة

والسادس أن عبد الله بن أبي ورهطا معه كانوا يقولون في رسول الله وأصحابه مالا ينبغي فاذا بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم قالوا إنما كنا نخوض ونلعب فقال الله تعالى قل لهم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون قاله الضحاك فقوله ولئن سألتهم أي عما كانوا فيه من الاستهزاء ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب أي نلهو بالحديث وقوله قد كفرتم أي قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان وهذا يدل على أن الجد واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء

قوله تعالى إن يعف عن طائفة منكم قرأ الأكثرون إن يعف

(٣/٤٦٥)

بالياء تعذب بالتاء وقرأ عاصم غير أبان إن نعف نعذب بالنون فيهما ونصب طائفة والمعنى إن نعف عن طائفة منكم بالتوفيق للتوبة نعذب طائفة بترك التوبة وقيل الطائفتان هاهنا ثلاثة فاستهزأ اثنان وضحك واحد ثم أنكر عليهم بعض ما سمع وقد ذكرنا عن ابن عباس أسماء الثلاثة وأن الضاحك اسمه الجهير وقال غيره هو مخشي بن خمير وقال ابن عباس ومجاهد الطائفة الواحد فما فوقه وقال الزجاج أصل الطائفة في اللغة الجماعة ويجوز أن يقال للواحد طائفة يراد به نفس طائفة قال ابن الانباري إذا أريد بالطائفة الواحد كان اصلها طائفا على مثال قائم وقاعد فتدخل الهاء للمبالغة في الوصف كما يقال رواية

علامة نسابة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما فرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد إلا ينزل فيه شيء

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم

(٤٦٦/٣)

رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض قاله ابن عباس بعضهم على دين بعض وقال مقاتل بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمنكر وهو الكفر وينهون عن المعروف وهو الإيمان

وفي قوله ويقبضون أيديهم أربعة أقوال

أحدها يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والثاني عن كل خير قاله قتادة والثالث عن الجهاد في سبيل الله والرابع عن رفعها في الدعاء إلى الله تعالى ذكرهما الماوردي

قوله تعالى نسوا الله فنسيهم قال الزجاج تركوا أمره فتركهم من رحمته وتوفيقه قال وقوله هي حسبهم أي هي كفاية ذنوبهم كما تقول عذبتك حسب فعلك وحسب فلان ما نزل به أي ذلك على قدر فعله وموضع الكاف في قوله كالذين من قبلكم نصب أي وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم وقال غيره رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم وشبههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية

قوله تعالى فاستمتعوا بخلاقهم قال ابن عباس استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا وقال الزجاج بحظهم من الدنيا

قوله تعالى وخضتم أي في الطعن على الدين وتكذيب نبيكم كما خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا لأنها لم تقبل منهم وفي الآخرة لأنهم لا يثابون عليها وأولئك هم الخاسرون بفوت الثواب وحصول العقاب

(٤٦٧/٣)

قوله تعالى وقوم إبراهيم قال ابن عباس يريد نمرود بن كنعان وأصحاب مدين يعني قوم شعيب والمؤتفكات قرى لوط قال الزجاج وهم جمع مؤتفكة ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت قال ويقال إنهم جميع من أهلك كما يقال للهالك انقلبت عليه الدنيا

قوله تعالى أتتهم يعني هذه الأمم رسلهم بالبينات فكذبوا بها فما كان الله ليظلمهم قال ابن عباس ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبيا ينذرهم والمعنى أنهم أهلكوا باستحقاقهم

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم

قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي بعضهم يوالي بعضا فهم يد واحدة يأمرون بالإيمان وينهون عن الكفر

قوله تعالى في جنات عدن قال أبو عبيدة في جنات خلد يقال عدن فلان بأرض كذا أي أقام ومنه المعدن وهو في معدن صدق أي في أصل ثابت قال الأعشى ... وإن تستضيفوا إلى حلمه ... تضافوا إلى راجح قد عدن

(٤٦٨/٣)

أي رزين لا يستخف قال ابن عباس جنات عدن هي بطنان الجنة وبطنانها وسطها وهي أعلى درجة في الجنة وهي دار الرحمن عز و جل وسقفها عرشه خلقها بيده وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها

قوله تعالى ورضوان من الله أكبر قال ابن عباس أكبر مما يوصف وقال الزجاج أكبر مما هم فيه من النعيم

فان قيل لم يكن الرضوان أكبر من النعيم فعنه جوابان

أحدهما أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه و سلم قال يقول الله عز و جل لأهل الجنة يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون ربنا ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أفلا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدا

والثاني أن الموجب للنعيم الرضوان والموجب ثمرة الموجب فهو الأصل

يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير
قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين أما جهاد الكفار فبالسيف وفي جهاد المنافقين قولان
أحدهما أنه باللسان قاله ابن عباس والحسن والضحاك والربيع بن أنس
والثاني جهادهم باقامة الحدود عليهم روي عن الحسن وقتادة

(٤٦٩/٣)

فان قيل إذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد أمر بجهادهم وهو يعلم أعيانهم فكيف تركهم بين أظهر أصحابه فلم يقتلهم
فالجواب أنه إنما أمر بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام عليها فأما من إذا أطلع على كفره أنكر وحلف وقال إني مسلم فانه أمر أن يأخذه بظاهر أمره ولا يبحث عن سره
قوله تعالى واغلظ عليهم قال ابن عباس يريد شدة الانتهار لهم والنظر بالبغضة والمقت وفي الهاء والميم من عليهم قولان
أحدهما أنه يرجع إلى الفريقين قاله ابن عباس
والثاني إلى المنافقين قاله مقاتل
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا إليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير
قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا في سبب نزولها ثلاثة أقوال
أحدها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ذكر المنافقين فعابهم فقال الجلاس بن سويد إن كان ما يقول على إخواننا حقا لنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس والله إنه لصادق ولأنتم شر من الحمير وأخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك فأتى الجلاس فقال ما قلت شيئا فحلفا عند المنبر فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس وذهب إلى نحوه الحسن ومجاهد وابن سيرين

(٤٧٠/٣)

والثاني أن عبد الله بن ابي قال والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسمعه رجل من المسلمين فأخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم فأرسل إليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت هذه الآية قاله قتادة

والثالث أن المنافقين كانوا إذا خلوا سبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه وطعنوا في الدين فنقل حذيفة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعض ذلك فحلفوا ما قالوا شيئا فنزلت هذه الآية قاله الضحاك فأما كلمة الكفر فهي سبهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وطعنهم في الدين وفي سبب قوله وهموا بمالم ينالوا أربعة أقوال

أحدها أنها نزلت في ابن أبي حين قال لئن رجعنا إلى المدينة رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال قتادة

والثاني أنها نزلت فيهم حين هموا بقتل رسول الله رواه مجاهد عن ابن عباس قال والذي هم رجل يقال له الأسود وقال مقاتل هم خسة عشر رجلا هموا بقتله ليلة العقبة

والثالث أنه لما قال بعض المنافقين إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وقال له رجل من المؤمنين لأنتم شر من الحمير هم المنافق بقتله فذلك قوله وهموا بمالم ينالوا هذا قول مجاهد

والرابع أنهم قالوا في غزوة تبوك إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي تاجا نباهي به رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم ينالوا ما هموا به

قوله تعالى وما نقموا إلا أن أغناهم الله قال ابن قتيبة أي ليس ينقمون شيئا ولا يتعرفون من الله إلا الصنع ومثله قول الشاعر ... ما نقم الناس من أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

(٤٧١/٣)

وأنهم سادة الملوك ولا ... تصلح إلا عليهم العرب ...

وهذا ليس مما ينقم وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئا وكقول النابغة ... ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب ...

أي ليس فيهم عيب قال ابن عباس كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه و سلم المدينة في ضنك من معاشهم فلما قدم عليهم غنموا وصارت لهم الأموال فعلى هذا يكون الكلام عاما وقال قتادة هذا في عبد الله بن أبي وقال عروة هو الجلاس بن سويد قتل له مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بديته فاستغنى فلما نزلت فان يتوبوا يك خيرا لهم قال الجلاس أنا أتوب إلى الله

قوله تعالى وإن يتولوا أي يعرضوا عن الإيمان قال ابن عباس كما تولى عبد الله بن أبي يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار

ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين

قوله تعالى ومنهم من عاهد الله في سبب نزولها أربعة أقوال

أحدها أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله ادع الله أن

يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال

(٤٧٢/٣)

ذهبا وفضة لسارت فقال والذي بعثك بالخق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت حتى ترك الصلوات إلى الجمعة ثم نمت فترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبر خبره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وأنزل الله تعالى خذ من أموالهم صدقة وأنزل فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم رجلين على الصدقة وكتب لهما كتابا يأخذان الصدقة وقال مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال ما هذا إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي فانطلقا فأخبر السلمي فاستقبلهما بخيار ماله فقالا لا يجب هذا عليك فقال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فأخذا منه فلما فرغا من صدقتهما مرا بثعلبة فقال أروني كتابكما فقال ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه و سلم بما كان فنزلت هذه الآية إلى قوله بما كانوا يكذبون وكان عند رسول الله صلى الله عليه و سلم رجل من أقارب ثعلبة فخرج إلى ثعلبة فأخبره فأتى رسول الله وسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فرجع إلى منزله وقبض رسول الله ولم يقبل منه شيئا فلما ولي أبو بكر سأله أن يقبل منه فأبى فلما ولي عمر سأله أن يقبل منه فأبى فلما ولي عثمان سأله أن يقبلها فقال لم يقبلها رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر فلم يقبلها

(٤٧٣/٣)

وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه روى هذا الحديث القاسم عن أبي أمامة الباهلي وقال ابن عباس مر ثعلبة على مجلس فأشهدهم على نفسه لئن آتاني الله من فضله آتيت كل ذي حق حقه وفعلت كذا وكذا فآتاه الله من فضله فأخلف ما وعد فقص الله علينا شأنه

والثاني أن رجلا من بني عمرو بن عوف كان له مال بالشام فأبطأ عنه فجهد له جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتانا من فضله أي من ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن فأتاه ذلك المال فلم يفعل فنزلت هذه

الآية قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس قال ابن السائب والرجل حاطب بن أبي بلتعة
والثالث أن ثعلبة ومعتب بن قشير خرجا على ملأ فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهما بخلا به فنزلت هذه الآية قاله الحسن ومجاهد
والرابع أن نبتل بن الحارث وجد بن قيس وثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير قالوا لئن آتانا الله من فضله لنصدقن فلما آتاهم من فضله بخلوا به فنزلت هذه الآية قاله الضحاك
فأما التفسير فقوله ومنهم يعني المنافقين من عاهد الله أي قال علي عهد الله لنصدقن الأصل لنتصدقن فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها

(٤٧٤/٣)

ولنكونن من الصالحين أي لنعملن ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والإنفاق في الخير
وقد روى كهمس عن معبد بن ثابت أنه قال إنما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع إلى قوله ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
قوله تعالى فلما آتاهم من فضله أي ما طلبوا من المال بخلوا به ولم يفوا بما عاهدوا وتولوا وهم معرضون عن عهدهم
فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب
قوله تعالى فأعقبهم أي صير عاقبة أمرهم النفاق
وفي الضمير في أعقبهم قولان
أحدهما أنها ترجع إلى الله فالمعنى جازاهم الله بالنفاق وهذا قول ابن عباس ومجاهد
والثاني أنها ترجع إلى البخل فالمعنى أعقبهم بخلهم بما نذروا نفاقا قاله الحسن
قوله تعالى الم يعلموا يعني المنافقين أن الله يعلم سرهم وهو ما في نفوسهم ونجواهم حديثهم بينهم
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم

(٤٧٥/٣)

قوله تعالى الذين يلمزون المطوعين في سبب نزولها قولان
أحدهما أنه لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت هذه الآية قاله أبو مسعود
والثاني أن عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية من ذهب وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء به عبد الرحمن بما جاء به إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع قاله ابن عباس
وفي هذا الأنصاري قولان
أحدهما أنه أبو خيثمة قاله كعب بن مالك والثاني أنه أبو عقيل
وفي اسم أبي عقيل ثلاثة أقوال
أحدها عبد الرحمن بن بيجان رواه أبو صالح عن ابن عباس ويقال ابن بيحان ويقال سيحان وقال مقاتل هو أبو عقيل بن قيس
والثاني أن اسمه الحبحاب قاله قتادة
والثالث الحباب قال قتادة جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف وجاء عاصم

(٤٧٦/٣)

ابن عدي بن العجلان بمائة وسق من تمر و يلمزون بمعنى يعيبون و المطوعين أي المتطوعين قال الفراء أدغمت التاء في الطاء فصارت طاء مشددة والجهد لغة أهل الحجاز ولغة غيرهم الجهد قال أبو عبيدة الجهد بالفتح والضم سواء ومجازه طاقتهم وقال ابن قتيبة الجهد الطاقة والجهد المشقة قال المفسرون عني بالمطوعين عبد الرحمن وعاصم وبالذين لا يجدون إلا جهدهم أبو عقيل وقوله سخر الله منهم أي جازاهم على فعلهم وقد سبق هذا المعنى
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم سبب نزولها أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فنزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم سوف أستغفر لهم أكثر من سبعين لعل الله يغفر لهم فنزل قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم قاله أبو صالح عن ابن عباس وظاهر قوله استغفر لهم الأمر وليس كذلك إنما المعنى إن استغفرت وإن لم تستغفر لا يغفر لهم فهو كقوله أنفقوا طوعا أو كرها وقد سبق شرح هذا المعنى هناك هذا قول المحققين وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على السبعين رجي لهم الغفران ثم نسخت بقوله سواء عليهم أستغفرت

لهم أم لم تستغفر لهم

فان قيل كيف جاز أن يستغفر لهم وقد أخبر بأنهم كفروا

فالجواب أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام ولا يجوز أن يقال علم كفرهم ثم استغفر

(٤٧٧/٣)

فان قيل ما معنى حصر العدد بسبعين

فالجواب أن العرب تستكثر في الآحاد من سبعة وفي العشرات من سبعين

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون

قوله تعالى فرح المخلفون بمقعدهم يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك والمخلف المتروك خلف من مضى بمقعدهم أي بقعودهم وفي قوله خلاف رسول الله قولان

أحدهما أن معناه بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله أبو عبيدة

والثاني أن معناه مخالفة رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو منصوب لأنه مفعول له فالمعنى بأن قعدوا لمخالفة رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله الزجاج وقرأ ابن مسعود وابن يعمر والأعمش وابن أبي عبلة خلف رسول الله ومعناها أنهم تأخروا عن الجهاد

وفي قوله لا تنفروا في الحر قولان

أحدهما أنه قول بعضهم لبعض قاله ابن اسحاق ومقاتل

والثاني أنهم قالوه للمؤمنين ذكره الماوردي وإنما قالوا هذا لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر قل نار جهنم أشد حرا لمن خالف أمر الله

وقوله يفقهون معناه يعلمون قال ابن فارس الفقه العلم بالشيء تقول فقهت الحديث أفقهه وكل علم بشيء فقه ثم اختص به علم الشريعة فقيل لكل عالم بها فقيه قال المصنف وقال شيخنا علي بن عبيد الله الفقه في إطلاق اللغة الفهم وفي عرف الشريعة عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال

(٤٧٨/٣)

المكلفين بنحو التحليل والتحريم والإيجاب والإجزاء والصحة والفساد والغرم والضمان وغير ذلك
وبعضهم يختار أن يقال الفقه فهم الشيء وبعضهم يختار أن يقال علم الشيء
فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون
قوله تعالى فليضحكوا قليلا لفظه لفظ الأمر ومعناه التهديد
وفي قلة ضحكهم وجهان
أحدهما أن الضحك في الدنيا لكثرة حزنها وهمومها قليل وضحكهم فيه أقل لما يتوجه إليهم من الوعيد
والثاني أنهم إنما يضحكون في الدنيا وبقاؤها قليل وليبكوا كثيرا في الآخرة قال أبو موسى الأشعري إن أهل النار ليبكون الدموع في النار حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع فلمثل ما هم فيه فليبكي
قوله تعالى جزاء بما كانوا يكسبون أي من النفاق والمعاصي
فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين
قوله تعالى فان رجعك الله أي ردك من غزوة تبوك إلى المدينة إلى طائفة من المنافقين الذين تخلفوا بغير عذر وإنما قال إلى طائفة لأنه ليس كل من تخلف عن تبوك كان منافقا فاستأذنوك للخروج معك إلى الغزو

فقل لن تخرجوا معي أبدا إلى غزاة إنكم رضيتم بالقعود عني أول مرة حين لم تخرجوا إلى تبوك وذكر الماوردي في قوله أول مرة قولين
أحدهما أول مرة دعيتم والثاني قبل استئذانكم
فأما الخالفون فقال أبو عبيدة الخالف الذي خلف بعد شاخص فقعد في رحله وهو الذي يتخلف عن القوم
وفي المراد بالخالفين قولان
أحدهما أنهم الرجال الذين تخلفوا لأعذار قاله ابن عباس
والثاني أنهم النساء والصبيان قاله الحسن وقتادة
ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون
قوله تعالى ولا تصل على أحد منهم سبب نزولها أنه لما توفي عبد الله ابن أبي جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فأعطاه قميصه فقال

آذني أصلي عليه فآذنه فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر بن الخطاب وقال أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال أنا بين خيرتين استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فصلى عليه فنزلت هذه الآية رواه نافع عن ابن عمر قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه و سلم كان يقول ما يغني عنه قميصي من عذاب الله تعالى والله إني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه قال الزجاج فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج

(٣/٤٨٠)

لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه و سلم وأراد الصلاة عليه فأما قوله منهم فانه يعني المنافقين وقوله ولا تقم على قبره قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فنهي عن ذلك في حق المنافقين وقال ابن جرير معناه لا تتول دفنه وهو من قولك قام فلان بأمر فلان وقد تقدم تفسيره

ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم

قوله تعالى ولا تعجبك أموالهم سبق تفسيره

قوله تعالى وإذا أنزلت سورة هذا عام في كل سورة وقال مقاتل المراد بها سورة براءة

(٣/٤٨١)

قوله تعالى أن آمنوا أي بأن آمنوا وفيه ثلاثة أوجه

أحدها استديموا الإيمان والثاني افعلوا فعل من آمن والثالث آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين

قوله تعالى استأذنك أي في التخلف أولو الطول يعني الغني وهم الذين لا عذر لهم في التخلف وفي الخوالف قولان

أحدهما أنهم النساء قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وشمر بن عطية وابن زيد والفراء وقال أبو عبيدة يجوز أن تكون الخوالف هاهنا النساء ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل غير أنهم قد قالوا

فارس والجميع فوارس وهالك في قوم هوالك قال ابن الانباري الخوالف لا يقع إلا على النساء إذ العرب تجمع فاعلة فواعل فيقولون ضاربة وضوارب وشاتمة وشواتم ولا يجمعون فاعلا فواعل إلا في حرفين فوارس وهوالك فيجوز أن يكون مع الخوالف المتخلفات في المنازل ويجوز أن يكون مع المخالفات العاصيات ويجوز أن يكون مع النساء العجزة اللاتي لا مدافعة عندهن

والقول الثاني أن الخوالف خساس الناس وأدنياؤهم يقال فلان خالفة أهله إذا كان دونهم ذكره ابن قتيبة فأما طبع فقال أبو عبيدة معناه ختم والخيرات جمع خيرة وللمفسرين في المراد بالخيرات ثلاثة أقوال أحدها أنها الفاضلات من كل شيء قاله أبو عبيدة والثاني الجواري الفاضلات قاله المبرد والثالث غنائم الدنيا ومنافع الجهاد ذكره الماوردي

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم

قوله تعالى وجاء المعذرون وقرأ ابن مسعود المعتذرون وقرأ ابن

(٤٨٢/٣)

عباس ومجاهد وقتادة وابن يعمر ويعقوب المعذرون بسكون العين وتخفيف الذال وقرأ ابن السميفع المعاذرون بألف قال أبو عبيدة المعذرون من يعذر وليس بجاد وإنما يعرض بما لا يفعله أو يظهر غير ما في نفسه وقال ابن قتيبة يقال عذرت في الأمر إذا قصرت وأعذرت جددت وقال الزجاج من قرأ المعذرون بتشديد الذال فتأويله المعتذرون الذين يعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن وهو هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر وأنشدوا ... إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ... أي فقد جاء بعذر ويجوز أن يكون المعذرون الذين يعذرون يوهمون أن لهم عذرا ولا عذر لهم ويجوز في النحو المعذرون بكسر العين والمعذرون بضم العين غير أنه لم يقرأ بهما لأن اللفظ بهما يثقل ومن قرأ المعذرون بتسكين العين فتأويله الذين أعذروا وجاؤوا بعذر وقال ابن الانباري المعذرون هاهنا المعتذرون بالعذر الصحيح وأصل الكلمة عند أهل النحو المعتذرون فحولت فتحة التاء إلى العين وأبدلت الذال من التاء وأدغمت في الذال التي بعدها فصارتا ذالا مشددة ويقال في كلام العرب اعتذر إذا جاء بعذر صحيح وإذا لم يأت بعذر قال الله تعالى قل لا تعتذروا فدل على فساد العذر وقال لبيد ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

(٤٨٣/٣)

اي فقد جاء بعذر صحيح وكان ابن عباس يقرأ المعذرون ويقول لعن الله المعذرين يريد لعن الله المقصرين من المنافقين وغيرهم والمعذرون الذين يأتون بالعذر الصحيح فبان من هذا الكلام أن لهم عذرا على قراءة من خفف وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدد فيه قولان

قال المفسرون جاء هؤلاء ليؤذن لهم في التخلف عن تبوك فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة جرأة على الله تعالى

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

قوله تعالى ليس على الضعفاء اختلفوا فيهن نزلت على قولين

أحدهما أنها نزلت في عائذ بن عمرو وغيره من أهل العذر قاله قتادة

والثاني في ابن مكتوم قاله الضحاك

وفي المراد بالضعفاء ثلاثة اقوال

أحدها أنهم الزمنى والمشايخ الكبار قاله ابن عباس ومقاتل

والثاني أنهم الصغار

(٣/٤٨٤)

والثالث المجانين سموا ضعافا لضعف عقولهم ذكر القولين الماوردي والصحيح انهم الذين يضعفون لزمانة أو عمى أو سن أو ضعف في الجسم والمرضى الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال و الذين لا يجدون هم المقلون والحرج الضيق في القعود عن الغزو بشرط النصح لله ولرسوله وفيه وجهان أحدهما أن المعنى إذا برئوا من النفاق

والثاني إذا قاموا بحفظ الذراري والمنازل

فان قيل بالوجه الأول فهو يعم جميع المذكورين وإن قيل بالثاني فهو يخص المقلين وإنما شرط النصح لأن من تخلف بقصد السعي بالفساد فهو مذموم ومن النصح لله حث المسلمين على الجهاد والسعي في إصلاح ذات بينهم وسائر ما يعود باستقامة الدين

قوله تعالى ما على المحسنين من سبيل أي من طريق بالعقوبة لأن المحسن قد سد باحسانه باب العقاب

قوله تعالى ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم نزلت في البكائين واختلف في عددهم وأسمائهم فروى

أبو صالح عن ابن عباس قال هم ستة عبد الله بن مغفل وصخر بن سلمان وعبد الله بن كعب الأنصاري وعلية بن زيد الانصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ليحملهم فقال لا أجد ما أحملكم عليه فانصرفوا باكين وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي مكان صخر بن سلمان سلمة بن صخر ومكان ثعلبة بن عنمة

(٤٨٥/٣)

عمرو بن عنمة قال وقيل منهم معقل بن يسار وروى أبو إسحاق عن أشياخ له أن البكائين سبعة من الأنصار سالم بن عمير وعلية بن زيد وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب وعمرو بن الحمام بن الجموح وعبد الله بن مغفل وبعض الناس يقول بل عبد الله بن عمرو المزني وعرباض بن سارية وهرمي ابن عبد الله أخو بني واقف وقال مجاهد نزلت في بني مقرن وهم سبعة وقد ذكرهم محمد بن سعد فقال النعمان بن عمرو بن مقرن وقال أبو خيثمة هو النعمان بن مقرن وسويد بن مقرن ومعقل بن مقرن وسنان بن مقرن وعقيل بن مقرن وعبد الرحمن بن مقرن وعبد الرحمن بن عقيل بن مقرن وقال الحسن البصري نزلت في أبي موسى وأصحابه

وفي الذي طلبوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يحملهم عليه ثلاثة أقوال

أحدها أنه الدواب قاله ابن عباس والثاني الزاد قاله أنس بن مالك والثالث النعال قاله الحسن

يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

قوله تعالى يعتذرون إليكم قال ابن عباس نزلت في المنافقين يعتذرون إليكم إذا رجعتم من غزوة تبوك فلا تعذروهم فليس لهم عذر فلما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم أتوه يعتذرون فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نصدقكم قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عذر وسيرى الله عملكم ورسوله إن عملتم خيرا وتبتم من

(٤٨٦/٣)

تخلفكم ثم تردون بعد الموت إلى عالم الغيب والشهادة فيخبركم بما كنتم تعملون في السر والعلانية سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون

قوله تعالى سيحلفون بالله لكم قال مقاتل حلف منهم بضعة وثمانون رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن

قشير
قوله تعالى لتعرضوا عنهم فيه قولان
أحدهما لتصفحوا عن ذنبهم
والثاني لأجل إعراضكم وقد شرحنا في المائدة معنى الرجس
يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
قوله تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم قال مقاتل حلف عبد الله بن أبي للنبي صلى الله عليه و سلم لا أتخلف عنك ولأكونن معك على عدوك وطلب منه أن يرضى عنه وحلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعمر بن الخطاب وجعلوا يترضون النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لما قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم
الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم

(٤٨٧/٣)

قوله تعالى الأعراب أشد كفرا قال ابن عباس نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة أخبر الله أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضر
قوله تعالى وأجدر ألا يعلموا قال الزجاج أن في موضع نصب لأن الباء محذوفة من أن المعنى أجدر بترك العلم تقول جدير أن تفعل وجدير بأن تفعل كما تقول أنت خليق بأن تفعل أي هذا الفعل ميسر فيك فاذا حذفت الباء لم يصلح إلا ب أن وإن أتيت بالباء صلح ب أن وغيرها فنقول أنت جدير بأن تقوم وجدير بالقيام فاذا قلت أنت جدير القيام كان خطأ وإنما صلح مع أن لأن أن تدل على الاستقبال فكأنها عوض من المحذوف فأما قوله حدود ما أنزل الله فيعني به الحلال والحرام والفرائض وقيل المراد بالآية أن الأعم في العرب هذا
ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم
قوله تعالى ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق إذا خرج في الغزو وقيل ما يدفعه من الصدقة مغرما لأنه لا يرجو له ثوابا قال ابن قتيبة المغرم هو الغرم والخسر وقال ابن فارس الغرم ما يلزم أداؤه والغرام اللازم وسمي الغريم لإلحاحه وقال غيره الغرم التزام مالا يلزم
قوله تعالى ويتربص أي وينتظر بكم الدوائر أي دوائر الزمان بالمكروه بالموت أو القتل أو الهزيمة وقيل ينتظر موت الرسول صلى الله عليه و سلم وظهور المشركين
قوله تعالى عليهم دائرة السوء قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين

(٤٨٨/٣)

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي السوء بفتح السين وكذلك قرؤوا في سورة الفتح والمعنى عليهم يعود ما ينتظرونه لك من البلاء قال الفراء وفتح السين من السوء هو وجه الكلام فمن فتح أراد المصدر من سؤته سوءا ومساءة ومن رفع السين جعله اسما كقولك عليهم دائرة البلاء والعذاب ولا يجوز ضم السين في قوله ما كان أبوك امرأ سوء ولا في قوله وظننتم ظن السوء لأنه ضد لقولك رجل صدق وليس للسوء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء فيضم

ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم

قوله تعالى ومن الأعراب من يؤمن بالله قال ابن عباس وهم من أسلم من الأعراب مثل جهينة وأسلم وغفار

وفي قوله ويتخذ ما ينفق قولان

أحدهما في الجهاد والثاني في الصدقة فأما القربات فجمع قربة وهي ما يقرب العبد من رضى الله ومحبته قال الزجاج وفي القربات ثلاثة أوجه ضم الراء وفتحها وإسكانها وفي المراد بصلوات الرسول قولان

أحدهما استغفاره قاله ابن عباس

والثاني دعاؤه قاله قتادة وابن قتيبة والزجاج وأنشد الزجاج ... عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوما فان لجنب المرء مضطجعا

(٣/٤٨٩)

قال إن شئت قلت مثل الذي ومثل الذي فالأمر أمر لها بالدعاء كأنه قال ادعي لي مثل الذي دعوت والثاني بمعنى عليك مثل هذا الدعاء

قوله تعالى ألا إنها قربة لهم قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عمر وحمزة والكسائي قربة لهم خفيفة وروى ورش وإسماعيل ابن جعفر عن نافع وأبان والمفضل عن عاصم قربة لهم بضم الراء وفي المشار إليها وجهان

أحدهما أن الهاء ترجع إلى نفقتهم وإيمانهم والثاني إلى صلوات الرسول

قوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته قال ابن عباس في جنته

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم

قوله تعالى والسابقون الأولون فيهم ستة أقوال
أحدها أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله أبو موسى الأشعري وسعيد بن المسيب وابن سيرين وقتادة
والثاني أنهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم بيعة الرضوان وهي الحديبية قاله الشعبي
والثالث أنهم أهل بدر قاله عطاء بن أبي رباح
والرابع أنهم جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم حصل لهم السبق بصحبته
قال محمد بن كعب القرظي إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله والسابقون الأولون
والخامس أنهم السابقون بالموت والشهادة سبقوا إلى ثواب الله تعالى وذكره الماوردي

(٣/٤٩٠)

والسادس أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة ذكره القاضي أبو يعلى
قوله تعالى من المهاجرين والأنصار قرأ يعقوب والأنصار برفع الراء
قوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان من قال إن السابقين جميع الصحابة جعل هؤلاء تابعي الصحابة وهم الذين لم يصحبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد روي عن ابن عباس أنه قال والذين اتبعوهم باحسان إلى أن تقوم الساعة ومن قال هم المتقدمون من الصحابة قال هؤلاء تبعوهم في طريقهم واقتدوا بهم في أفعالهم ففضل أولئك بالسبق وإن كانت الصحبة حاصلة للكل وقال عطاء اتباعهم إياهم باحسان أنهم يذكرون محاسنهم ويترحمون عليهم
قوله تعالى تجري تحتها الأنهار قرأ ابن كثير من تحتها فزاد من وكسر التاء الثانية
قوله تعالى رضي الله عنهم يعم الكل قال الزجاج رضي الله أفعالهم ورضوا ما جازاهم به
وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم
قوله تعالى وممن حولكم من الأعراف منافقون قال ابن عباس مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع كان فيهم بعد إسلامهم منافقون قال مقاتل وكانت منازلهم حول المدينة
قوله تعالى ومن أهل المدينة مردوا على النفاق قال ابن عباس مرنوا عليه وثبتوا منهم عبد الله بن أبي وجد بن قيس والجلاس ومعتب

(٣/٤٩١)

ووحوح وأبو عامر الراهب وقال أبو عبيدة عتوا ومرنوا عليه وهو من قولهم تمرد فلان ومنه شيطان مريد فان قيل كيف قال ومن أهل المدينة مردوا وليس يجوز في الكلام من القوم قعدوا فعنه ثلاثة أجوبة أحدهن أن تكون من الثانية مردودة على الأولى والتقدير وممن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون ثم استأنف مردوا

والثاني أن يكون في الكلام من مضمر تقديره ومن أهل المدينة من مردوا فاضمرت من لدلالة من عليها كقوله وما منا إلا له مقام معلوم يريد إلا من له مقام معلوم وعلى هذا ينقطع الكلام عند قوله منافقون

والثالث أن مردوا متعلق بمنافقين تقديره ومن أهل المدينة منافقون مردوا ذكر هذه الأجوبة ابن الأنباري

قوله تعالى لا تعلمهم فيه وجهان

أحدهما لا تعلمهم أنت حتى نعلمك بهم والثاني لا تعلم عواقبهم

قوله تعالى سنعذبهم مرتين فيه عشرة أقوال

أحدها أن العذاب الأول في الدنيا وهو فضيحتهم بالنفاق والعذاب الثاني عذاب القبر قاله ابن عباس قال وقام رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم جمعة خطيبا فقال يا فلان اخرج فانك منافق ويا فلان اخرج ففضحهم

(٤٩٢/٣)

والثاني أن العذاب الأول إقامة الحدود عليهم والثاني عذاب القبر وهذا مروي عن ابن عباس أيضا

والثالث أن أحد العذابين الزكاة التي تؤخذ منهم والآخر الجهاد الذي يؤمرون به قاله الحسن

والرابع الجوع وعذاب القبر رواه شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال أبو مالك

والخامس الجوع والقتل رواه سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

والسادس القتل والسبي رواه معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقال ابن قتيبة القتل والأسر

والسابع أنهم عذبوا بالجوع مرتين رواه خصيف عن مجاهد

والثامن أن عذابهم في الدنيا بالمصائب في الأموال والأولاد وفي الآخرة بالنار قاله ابن زيد

والتاسع أن الأول عند الموت تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم والثاني في القبر بمنكر ونكير قاله مقاتل بن سليمان

والعاشر أن الأول بالسيف والثاني عند الموت قاله مقاتل بن حيان

قوله تعالى ثم يردون إلى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم

قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم اختلفوا فيمن نزلت على قولين
أحدهما أنهم عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في غزوة تبوك فلما

(٤٩٣/٣)

دنا رجوع رسول الله صلى الله عليه و سلم أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه و سلم قال من هؤلاء قالوا هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك فأقسموا بالله لا يطلقون أنفسهم حتى تطلقهم أنت وتعذرهم فقال وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فنزلت هذه الآية فأرسل إليهم فأطلقهم وعذرهم رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وروى العوفي عن ابن عباس أن الذين تخلفوا كانوا ستة فأوثق أبو لبابة نفسه ورجلان معه وبقي ثلاثة لم يوثقوا أنفسهم فلما نزلت هذه الآية أطلقهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وعذرهم وروى أبو صالح عن ابن عباس أنهم كانوا ثلاثة أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس ابن ثعلبة ووديعة بن خذام الأنصاري وقال سعيد بن جبير ومجاهد وزيد ابن أسلم كانوا ثمانية وقال قتادة ذكر لنا أنهم كانوا سبعة
والثاني أنها نزلت في ابي لبانه وحده واختلفوا في ذنبه على قولين
أحدهما أنه خان الله ورسوله باشارته إلى بني قريظة حين شاوروه في النزول على حكم سعد أنه الذبح وهذا قول مجاهد وقد شرحناه في الأنفال

(٤٩٤/٣)

والثاني أنه تخلفه عن تبوك قاله الزهري فأما الاعتراف فهو الاقرار بالشيء عن معرفة والاعتراف بالذنب أدعى إلى صدق التوبة والقبول
قوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا قال ابن جرير وضع الواو مكان الباء والمعنى بآخر سيء كما تقول خلطت الماء واللبن
وفي ذلك العمل قولان
أحدهما أن العمل الصالح ما سبق من جهادهم والسيء التأخر عن الجهاد قاله السدي
والثاني أن العمل الصالح توبتهم والسيء تخلفهم ذكره الفراء وفي قوله عسى قولان
أحدهما أنه واجب من الله تعالى قاله ابن عباس
والثاني أنه ترديد لهم بين الطمع والإشفاق وذلك يصد عن اللهو والإهمال

خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم
قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة قال المفسرون لما تاب الله عز و جل على أبي لبابة وأصحابه قالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا فقال

(٤٩٥/٣)

ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت هذه الآية
وفي هذه الصدقة قولان
أحدهما أنها الصدقة التي بذلوها تطوعا قاله ابن زيد والجمهور والثاني الزكاة قاله عكرمة
قوله تعالى تطهرهم وقرأ الحسن تطهرهم بها بجزم الراء قال الزجاج يصلح أن يكون قوله تطهرهم نعتا للصدقة كأنه قال خذ من أموالهم صدقة مطهرة والأجود أن يكون للنبي صلى الله عليه و سلم المعنى فانك تطهرهم بها ف تطهرهم بالجزم على جواب الأمر المعنى إن تأخذ من أموالهم تطهرهم ولا يجوز في تزكيهم إلا إثبات الياء اتباعا للمصحف قال ابن عباس تطهرهم من الذنوب وتزكيهم تصلحهم وفي قوله وصل عليهم قولان
أحدهما استغفر لهم قاله ابن عباس والثاني ادع لهم قاله السدي
قوله تعالى إن صلواتك قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم إن صلواتك على الجمع وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم إن صلاتك على التوحيد وفي قوله سكن لهم خمسة أقوال
أحدها طمأنينة لهم أن الله قد قبل منهم قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال أبو عبيدة تثبيت وسكون والثاني رحمة لهم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والثالث قربة لهم رواه الضحاك عن ابن عباس والرابع وقار لهم قاله قتادة والخامس تزكية لهم حكاه الثعلبي قال الحسن وقتادة وهؤلاء سوى الثلاثة الذين خلفوا

(٤٩٦/٣)

الم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
قوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة قرأ الجمهور يعلموا بالياء وروى عبد الوارث تعلموا بالتاء وقوله يقبل التوبة عن عباده قال أبو عبيدة أي من عبيده تقول أخذته منك وأخذته عنك

قوله تعالى ويأخذ الصدقات قال ابن قتيبة أي يقبلها ومثله خذ العفو أي اقبله
قوله تعالى وقل اعملوا قال ابن زيد هذا خطاب للذين تابوا
وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم
قوله تعالى وآخرون مرجؤن وقرأ نافع وحمزة والكسائي مرجون بغير همز والآية نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانوا فيمن تخلف عن تبوك من غير عذر ثم لم يبالغوا في الاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه ولم يوثقوا أنفسهم بالسواري فوقف رسول الله صلى الله عليه و سلم أمرهم ونهى الناس عن كلامهم ومخالطتهم حتى نزل قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال الزجاج وآخرون عطف على قوله ومن أهل المدينة فالمعنى منهم منافقون ومنهم آخرون مرجون أي مؤخرون وإما

(٤٩٧/٣)

لوقوع أحد الشيئين والله تعالى عالم بما يصير إليه أمرهم لكنه خاطب العباد بما يعلمون فالمعنى ليكن أمرهم عندكم على الخوف والرجاء
قوله تعالى والله عليم حكيم أي عليم بما يؤول إليه حالهم حكيم بما يفعله بهم
والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون
قوله تعالى والذين اتخذوا مسجدا قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي والذين بواو وكذلك هي في مصاحفهم وقرأ نافع وابن عامر الذين بغير واو وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام قال أبو علي من قرأ بالواو فهو معطوف على ما قبله نحو قوله ومنهم من عاهد الله ومنهم من يلمزك ومنهم الذين يؤذون النبي والمعنى ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ومن حذف الواو فعلى وجهين
أحدهما أن يضمر ومنهم الذين اتخذوا كقوله أكفرتم المعنى فيقال لهم أكفرتم
والثاني أن يضمر الخبر بعد كما أضمر في قوله إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام المعنى ينتقم منهم ويعذبون قال أهل التفسير لما اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأتاهم فصلى فيه حسدهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وكانوا من منافقي الأنصار فقالوا نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله فيصلي

(٤٩٨/٣)

فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة عاداه فخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن أعدوا من استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا هذا المسجد إلى جنب مسجد قباء وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا خذام بن خالد ومن داره أخرج المسجد ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف ووديعة بن ثابت وأبو حبيبة بن الأزعر وجارية بن عامر وابناه يزيد ومجمع وكان مجمع إمامهم فيه ثم صلحت حاله وبحزج جد عبد الله بن حنيف وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أردت بما أرى فقال والله ما أردت إلا الحسنى وهو كاذب وقال مقاتل الذي حلف مجمع وقيل كانوا سبعة عشر فلما فرغوا منه أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا إنا قد ابتنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة وإنا نحب أن تأتينا فتصلي فيه فدعى بقميصه ليلبسه فنزل عليه القرآن وأخبره الله خبرهم فدعا معن بن عدي ومالك بن الدخشم في آخرين وقال انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه وأمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف ومات أبو عامر بالشام وحيدا غريبا

فأما التفسير فقال الزجاج الذين في موضع رفع المعنى ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وضرارا انتصب مفعولا له المعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد فلما حذفت اللام أفضى الفعل فنصب قال المفسرون

والضرار بمعنى المضارة لمسجد قباء وكفرا بالله ورسوله وتفريقا بين المؤمنين لأنهم كانوا يصلون في مسجد قباء جميعا فأرادوا تفريق جماعتهم والإرصاد الانتظار فانتظروا به مجيء أبي عامر وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد الضرار وليحلفن إن أردنا أي ما أردنا إلا الحسنى أي ما أردنا بابتنائه إلا الحسنى وفيها ثلاثة أوجه

أحدها طاعة الله والثاني الجنة والثالث فعل التي هي أحسن من إقامة الدين والاجتماع للصلاة وقد ذكرنا اسم الحالف

لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين

قوله تعالى لا تقم فيه أي لا تصل فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى أي بني على الطاعة وبناه المتقون من أول يوم أي منذ أول يوم قال الزجاج من في الزمان والأصل منذ ومذ وهو الأكثر في الاستعمال

وجائز دخول من لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض ومثله قول زهير ... لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين من حجج ومن شهر ...

وقيل معناه من مر حجج ومن مر شهر وفي هذا المسجد ثلاثة اقوال

أحدها أنه مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة الذي فيه منبره وقبره روى سهل بن سعد أن رجلين اختلفا في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم في المسجد الذي أسس على

(٥٠٠/٣)

التقوى فقال أحدهما هو مسجد الرسول وقال الآخر هو مسجد قباء فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه و سلم فقال هو مسجدي هذا وبه قال ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وسعيد بن المسيب

والثاني أنه مسجد قباء رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وقتادة وعروة وأبو سلمة بن عبد الرحمن والضحاك ومقاتل

والثالث أنه كل مسجد بني في المدينة قاله محمد بن كعب

قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا سبب نزولها أن رجالا من أهل قباء كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية قاله الشعبي قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية أتاهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال ما الذي أثنى الله به عليكم فقالوا إنا نستنجي بالماء فعلى هذا المراد به الطهارة بالماء وقال أبو العالية أن يتطهروا من الذنوب

أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين

قوله تعالى أفمن أسس بنيانه قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة

(٥٠١/٣)

والكسائي أسس بفتح الألف في الحرفين جميعا وفتح النون فيهما وقرأ نافع وابن عامر أسس بضم الألف بنيانه برفع النون والبنيان مصدر يراد به المبني والتأسيس إحكام اس البناء وهو أصله والمعنى المؤسس بنيانه متقيا يخاف الله ويرجو رضوانه خير أم المؤسس بنيانه غير متق قال الزجاج وشفا الشيء حرفه وحده والشفا مقصور يكتب بالألف ويثنى شفوان

قوله تعالى جرف قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي جرف مثقلا وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر عن عاصم جرف ساكنة الراء قال أبو علي فالضم الأصل والإسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل قال

ابن قتيبة المعنى على حرف جرف هائر والجرف ما يتجرف بالسيول من الأودية والهائر الساقط ومنه تهور البناء وانهار إذا سقط وقرأ ابن كثير وحمزة هار بفتح الهاء وأمال الهاء نافع وأبو عمرو وعن عاصم كالقراءتين

قوله تعالى فانهار به أي بالباني في نار جهنم قال الزجاج وهذا مثل والمعنى أن بناء هذا المسجد كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها وقال قتادة ذكر لنا أنهم حفروا فيه حفرة فرؤي فيها الدخان قال جابر رأيت المسجد الذي بني ضرارا يخرج منه الدخان

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم

قوله تعالى لا يزال بنيانهم يعني مسجد الضرار الذي بنوا ريبة في قلوبهم وفيها ثلاثة أقوال

(٥٠٢/٣)

أحدها شكا ونفاقا لأنهم كانوا يحسبون أنهم محسنون في بنائه قاله ابن عباس وابن زيد

والثاني حسرة وندامة لأنهم ندموا على بنائه قاله ابن السائب ومقاتل

والثالث أن المعنى لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم قاله السدي والمبرد

قوله تعالى إلا أن تقطع قلوبهم قرأ الأكثرون إلا وهو حرف استثناء وقرأ يعقوب إلى أن فجعله حرف جر وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وأبو بكر عن عاصم تقطع بضم التاء وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم تقطع بفتح التاء ثم في المعنى قولان

أحدهما إلا أن يموتوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة في آخرين

والثاني إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم ذكره الزجاج

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم

قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم سبب نزولها أن الانصار لما بايعت رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا

(٥٠٣/٣)

فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت إن الله اشترى الآية قاله محمد بن كعب القرظي فأما اشتراء النفس فبالجهاد

وفي اشتراء الأموال وجهان بالإنفاق في الجهاد والثاني بالصدقات وذكر الشراء هاهنا مجاز لأن المشتري حقيقة هو الذي لا يملك المشترى فهو كقوله من ذا الذي يقرض الله والمراد من الكلام أن الله أمرهم بالجهاد بأنفسهم وأموالهم ليجازيهم عن ذلك بالجنة فعبر عنه بالشراء لما تضمن من عوض ومعوض وكان الحسن يقول لا والله إن في الدنيا مؤمن إلا وقد أخذت بيعته وقال قتادة ثامنهم والله فأغلى لهم

قوله تعالى فيقتلون ويقتلون قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم فيقتلون ويقتلون فاعل ومفعول وقرأ حمزة والكسائي فيقتلون ويقتلون مفعول وفاعل قال أبو علي القراءة الأولى بمعنى أنهم يقتلون أولا ويقتلون والأخرى يجوز أن تكون في المعنى كالأولى لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم فان لم يقدر فيه التقديم فالمعنى يقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل كما أن قوله فما وهنوا لما أصابهم ما وهن من بقي بقتل من قتل ومعنى الكلام إن الجنة عوض عن جهادهم قتلوا أو قتلوا وعدا عليه قال الزجاج نصب وعدا بالمعنى لأن معنى قوله بأن لهم الجنة وعدا عليه حقا قال وقوله في التوراة والإنجيل يدل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة

(٥٠٤/٣)

قوله تعالى ومن أوفى أي لا أحد أوفى بما وعد من الله فاستبشروا أي فافرحوا بهذا البيع

التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

قوله تعالى التائبون سبب نزولها أنه لما نزلت التي قبلها قال رجل يا رسول الله وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس قال الزجاج يصلح الرفع هاهنا على وجوه أحدها المدح كأنه قال هؤلاء التائبون أو هم التائبون ويجوز أن يكون على البدل والمعنى يقاتل التائبون فهذا مذهب أهل اللغة والذي عندي أنه رفع بالابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون ومن ذكر معهم لهم الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا إذا لم يقصدوا ترك الجهاد ولا العناد لأن بعض المسلمين يجزئ عن بعض في الجهاد وللمفسرين في قوله التائبون قولان أحدهما الراجعون عن الشرك والنفاق والمعاصي والثاني الراجعون إلى الله في فعل ما أمر واجتناب ما حظر

وفي قوله العابدون ثلاثة أقوال أحدها المطيعون لله بالعبادة قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني المقيمون الصلاة قاله الضحاك عن ابن عباس

والثالث الموحدون قاله سعيد بن جبير
قوله تعالى الحامدون قال قتادة يحمدون الله على كل حال
وفي السائحين أربعة أقوال

(٥٠٥/٣)

أحدها الصائمون قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة في آخرين قال الفراء ويرى أهل النظر أن الصائم إنما سمي سائحا تشبيها بالسائح لأن السائح لا زاد معه والعرب تقول للفرس إذا كان قائما لا علف بين يديه صائم وذلك أن له قوتين غدوة وعشية فشبه به صيام الآدمي لتسحره وإفطاره والثاني أنهم الغزاة قاله عطاء والثالث طلاب العلم قاله عكرمة والرابع المهاجرون قاله ابن زيد
قوله تعالى الراكعون الساجدون يعني في الصلاة الآمرون بالمعروف وهو طاعة الله والناهون عن المنكر وهو معصية الله
فان قيل ما وجه دخول الواو في قوله والناهون فعنه جوابان
أحدهما أن الواو إنما دخلت هاهنا لأنها الصفة الثامنة والعرب تعطف بالواو على السبعة كقوله وثامنهم كلبهم وقوله في صفة الجنة وفتحت أبوابها ذكره جماعة من المفسرين
والثاني أن الواو إنما دخلت على الناهين لأن الآمر بالمعروف ناه عن المنكر في حال أمره فكان دخول الواو دلالة على أن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر كما ينفرد الحامدون بالحمد دون السائحين والسائحون بالسياحة دون الحامدين في بعض الأحوال والأوقات
قوله تعالى والحافظون لحدود الله قال الحسن القائمون بأمر الله
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم

(٥٠٦/٣)

قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين في سبب نزولها أربعة أقوال
أحدها أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال أي عم قل معي لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وابن أبي أمية

يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به أنا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلى الله عليه و سلم لأستغفرن لك مالم أنه عنك فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا الآية ونزلت إنك لا تهدي من أحببت أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه وقيل إنه لما مات أبو طالب جعل النبي صلى الله عليه و سلم يستغفر له فقال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوي قراباتنا وقد استغفر ابراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت هذه الآية قال أبو الحسين بن المنادي هذا لا يصح إنما قال النبي صلى الله عليه و سلم لعمه لأستغفرن لك مالم أنه عنك قبل أن يموت

(٥٠٧/٣)

وهو في السياق فأما أن يكون استغفر له بعد الموت فلا فانقلب ذلك على الرواة وبقي على انقلابه

والثاني أن النبي صلى الله عليه و سلم مر بقبر أمه آمنة فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف إليهم فقالوا ما الذي أبكاك فقال مررت بقبر امي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا فأبكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار إلا هنيأة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا والأية التي بعدها رواه بريدة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم

والثالث أن رجلا استغفر لأبويه وكانا مشركين فقال له علي بن أبي طالب أتستغفر لهما وهما مشركان فقال أولم يستغفر إبراهيم لأبيه فذكر ذلك علي للنبي صلى الله عليه و سلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها رواه أبو الخليل عن علي عليه السلام

والرابع أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قالوا يا نبي الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا

(٥٠٨/٣)

نستغفر لهم فقال بلى والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فنزلت هذه الآية وبين عذر إبراهيم قاله قتادة ومعنى قوله من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم أي من بعد ما بان أنهم ماتوا كفارا قوله تعالى إلا عن موعدة وعدها إياه فيه قولان

أحدهما أن إبراهيم وعد أباه الاستغفار وذلك قوله سأستغفر لك ربي وما كان يعلم أن الاستغفار للمشركين محظور حتى أخبره الله بذلك

والثاني أن أباه وعده أنه إن استغفر له آمن فلما تبين لإبراهيم عداوة أبيه لله تعالى بموته على الكفر ترك الدعاء له فعلى الأول تكون هاء الكناية في إياه عائدة على آزر وعلى الثاني تعود على إبراهيم وقرأ ابن السميفع ومعاذ القارئ وأبو نهيك وعدها أباه بالباء

وفي الأواه ثمانية أقوال

أحدها أنه الخاشع الدعاء المتضرع رواه عبد الله بن شداد بن الهاد عن النبي صلى الله عليه و سلم

والثاني أنه الدعاء رواه زر عن عبد الله وبه قال عبيد بن عمير

والثالث الرحيم رواه أبو العبيد بن العامري عن ابن مسعود وبه قال الحسن وقتادة وأبو ميسرة

والرابع أنه الموقن رواه أبو ظبيان عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعطاء وعكرمة والضحاك

والخامس أنه المؤمن رواه العوفي ومجاهد وابن أبي طلحة عن ابن عباس

(٥٠٩/٣)

والسادس أنه المسبح رواه أبو إسحاق عن أبي ميسرة وبه قال سعيد ابن المسيب وابن جبير

والسابع أنه المتأوه لذكر عذاب الله قاله الشعبي قال أبو عبيدة مجاز أواه مجاز فعال من التأوه ومعناه متضرع شفقا وفرقا ولزوما لطاعة ربه قال المثقب ... إذا ما قمت أرحلها بليل ... تأوه آهة الرجل الحزين ...

والثامن أنه الفقيه رواه ابن جريج عن مجاهد فأما الحليم فهو الصفوح عن الذنوب

وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما الآية سبب نزولها أنه لما نزلت آية الفرائض وجاء النسخ وقد غاب قوم وهم يعلمون بالأمر الأول مثل أمر القبلة والخمر ومات أقوام على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال قوم المعنى أنه بين أنه لم يكن ليأخذهم بالاستغفار للمشركين قبل تحريمه فاذا حرمه ولم يمتنعوا عنه فقد ضلوا وقال ابن الانباري في الآية حذف واختصار والتأويل حتى

(٥١٠/٣)

يتبين لهم ما يتقون فلا يتقونه فعند ذلك يستحقون الضلال فحذف ما حذف لبيان معناه كما تقول العرب أمرتك بالتجارة فكسبت الأموال يريدون فتجرت فكسبت

لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤف رحيم

قوله تعالى لقد تاب الله على النبي قال المفسرون تاب عليه من إذنه للمنافقين في التخلف وقال أهل المعاني هو مفتاح كلام وذلك أنه لما كان سبب توبة التائبين ذكر معهم كقوله فإن لله خمسه وللرسول

قوله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة قال الزجاج هم الذين اتبعوه في غزوة تبوك والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل الزمان وكان في ذلك الوقت حر شديد والقوم في ضيقة شديدة كان الجمل بين جماعة يعتقبون عليه وكانوا في فقر فربما اقتسم التمرة اثنان وربما مص التمرة الجماعة ليشربوا عليها الماء وربما نحروا الإبل فشربوا من ماء كروشها من الحر وقيل لعمر بن الخطاب حدثنا عن ساعة العسرة فقال خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع حتى إن الرجل ليذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر يا رسول الله إن الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع لنا قال تحب

(٥١١/٣)

ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فملؤوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر

قوله تعالى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم قرأ حمزة وحفص عن عاصم كاد يزيغ بالياء وقرأ الباقون بالتاء وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال

أحدها تميل إلى التخلف عنه وهم ناس من المسلمين هموا بذلك ثم لحقوه قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها ولم تزغ عن الإيمان قاله الزجاج

والثالث أن القلوب كادت تزيغ تلفا بالجهد والشدة ذكره الماوردي

قوله تعالى ثم تاب عليهم كرر ذكر التوبة لأنه ليس في ابتداء الآية ذكر ذنبهم فقدم ذكر التوبة فضلا منه ثم ذكر ذنبه ثم أعاد ذكر التوبة

وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم

قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وقرأ أبو رزين وأبو مجلز والشعبي وابن يعمر خالفوا بألف وقرأ معاذ القارئ وعكرمة وحميد

خلفوا بفتح الخاء واللام المخففة وقرأ أبو الجوزاء وأبو العالية خلفوا بفتح الخاء واللام مع تشديدها وهؤلاء هم المرادون بقوله وآخرون مرجون وقد تقدمت أسماؤهم وفي معنى خلفوا قولان

أحدهما خلفوا عن التوبة قاله ابن عباس ومجاهد فيكون المعنى خلفوا عن توبة الله على أبي لبابة واصحابه إذ لم يخضعوا كما خضع أولئك

والثاني خلفوا عن غزوة تبوك قاله قتادة وحديثهم مندرج في توبة كعب بن مالك وقد رويتها في كتاب الحدائق

قوله تعالى حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي ضاقت مع سعتها وذلك أن المسلمين منعوا من معاملتهم وكلامهم وأمروا باعتزال أزواجهم وكان النبي صلى الله عليه و سلم معرضا عنهم وضاقت عليهم أنفسهم بالهم والغم وظنوا أي أيقنوا أن لا ملجأ أي لا معتصم من الله ومن عذابه إلا هو ثم تاب عليهم أعاد التوبة تأكيدا ليتوبوا قال ابن عباس ليستقيموا وقال غيره وفقهم للتوبة ليدوموا عليها ولا يرجعوا إلى ما يبطلها وسئل بعضهم عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الارض وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب وصاحبيه

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونا مع الصادقين

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا الله وكونوا مع الصادقين في سبب نزولها قولان

أحدهما أنها نزلت في قصة الثلاثة المتخلفين

والثاني أنها في أهل الكتاب والمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد صلى الله عليه و سلم وكونوا مع الصادقين

وفي المراد بالصادقين خمسة أقوال

أحدها أنه النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه قاله ابن عمر

والثاني أبو بكر وعمر قاله سعيد بن جبير والضحاك وقد قرأ ابن السميفع وأبو المتوكل ومعاذ القارئ مع الصادقين بفتح القاف وكسر النون على التثنية

والثالث أنهم الثلاثة الذين خلفوا صدقوا النبي صلى الله عليه و سلم عن تأخرهم قاله السدي

والرابع أنهم المهاجرون لأنهم لم يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في الجهاد قاله ابن جريج قال أبو سليمان الدمشقي وقيل إن أبا بكر الصديق احتج بهذه الآية يوم السقيفة فقال يا معشر

الأنصار إن الله يقول في كتابه للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا إلى قوله أولئك هم الصادقون من هم قالت الأنصار أنتم هم قال فان الله تعالى يقول اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء

والخامس أنه عام قاله قتادة ومع بمعنى من وكذلك هي في قراءة ابن مسعود وكونوا من الصادقين

ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا

(٣/٥١٤)

إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبير ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون

قوله تعالى ما كان لأهل المدينة ومن حولها من الاعراب قال ابن عباس يعني مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار أن يتخلفوا عن رسول الله في غزوة غزاها ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحر والمشقة يقال رغبت بنفسي عن الشيء إذا ترفعت عنه

قوله تعالى ذلك أي ذلك النهي عن التخلف بأنهم لا يصيبهم ظمأ وهو العطش ولا نصب وهو التعب ولا مخمصة وهو المجاعة ولا ينالون من عدو نيلا أسرا أو قتلا أو هزيمة فأعلمهم الله أن يجازيهم على جميع ذلك

قوله تعالى ولا ينفقون نفقة صغيرة قال ابن عباس تمرة فما فوقها ولا يقطعون واديا مقبلين أو مدبرين إلا كتب لهم أي أثبت لهم أجر ذلك ليجزيهم الله أحسن أي بأحسن ما كانوا يعملون

فصل

قال شيخنا علي بن عبيد الله اختلف المفسرون في هذه الآية فقالت طائفة كان في أول الأمر لا يجوز التخلف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حين كان الجهاد يلزم الكل ثم نسخ ذلك بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة

(٣/٥١٥)

وقالت طائفة فرض الله تعالى على جميع المؤمنين في زمان النبي صلى الله عليه و سلم ممن لا عذر له الخروج معه لشيئين

أحدهما أنه من الواجب عليهم أن يقوه بأنفسهم
والثاني أنه إذا خرج الرسول فقد خرج الدين كله فأمروا بالتظاهر لئلا يقل العدد وهذا الحكم باق إلى وقتنا فلو خرج أمير المؤمنين إلى الجهاد وجب على عامة المسلمين متابعته لما ذكرنا فعلى هذا الآية محكمة قال أبو سليمان لكل آية وجهها وليس للنسخ على إهدى الآيتين طريق
وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون
قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة في سبب نزولها أربعة اقوال
أحدها أنه لما أنزل الله عز و جل عيوب المنافقين في غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزوة يغزوها رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا سرية أبدا فلما أرسل السرايا بعد تبوك نفر المسلمون جميعا وتركوا رسول الله وحده فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما دعا على مضر أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل بأسرها إلى المدينة من الجهد ويظهرون الإسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فنزلت هذه الآية رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس
والثالث أن ناسا أسلموا وخرجوا إلى البوادي يعلمون قومهم فنزلت

(٣/٥١٦)

إلا تنفروا يعذبكم فقال ناس من المنافقين هلك من لم ينفر من أهل البوادي فنزلت هذه الآية قاله عكرمة
والرابع أن ناسا خرجوا إلى البوادي يعلمون الناس ويهدونهم ويصيبون من الحطب ما ينتفعون به فقال لهم الناس ما نراكم إلا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فأقبلوا من البادية كلهم فنزلت هذه الآية قاله مجاهد قال الزجاج ولفظ الآية لفظ الخبر ومعناها الأمر كقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين والمعنى ينبغي أن ينفر بعضهم ويبقى البعض قال الفراء ينفر وينفر بكسر الفاء وضمها لغتان واختلف المفسرون في المراد بهذا النفير على قولين
أحدهما أنه النفير إلى العدو فالمعنى ما كان لهم أن ينفروا بأجمعهم بل تنفر طائفة وتبقى مع النبي صلى الله عليه و سلم طائفة ليتفقهوا في الدين يعني الفرقة القاعدين فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن أو تجدد أمر أعلموهم به وأنذروهم به إذا رجعوا إليهم وهذا المعنى مروي عن ابن عباس
والثاني أنه النفير إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بل تنفر منهم طائفة ليتفقه هؤلاء الذين ينفرون ولينذروا قومهم المتخلفين هذا قول الحسن وهو أشبه بظاهر الآية فعلى القول الأول يكون نفير هذه

الطائفة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم إن خرج إلى غزاة أو مع سراياه وعلى القول الثاني يكون نفير الطائفة إلى رسول الله لاقتباس العلم
يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين

(٥١٧/٣)

آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون
قوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قد أمر بقتال الكفار على العموم وإنما يبتدأ بالأقرب فالأقرب وفي المراد بمن يليهم خمسة أقوال
أحدها أنهم الروم قاله ابن عمر والثاني قريظة والنضير وخيبر وفدك قاله ابن عباس والثالث الديلم قاله الحسن والرابع العرب قاله ابن زيد والخامس أنه عام في قتال الاقرب فالأقرب قاله قتادة وقال الزجاج في هذه الآية دليل على أنه ينبغي أن يقاتل أهل كل ثغر الذين يلونهم قال وقيل كان النبي صلى الله عليه و سلم ربما تخطى في حربه الذين يلونه من الأعداء ليكون ذلك أهيب له فأمر بقتال من يليه ليستن بذلك وفي الغلظة ثلاث لغات غلظة بكسر الغين وبها قرأ الأكثرون وغلظة بفتح الغين رواها جبلة عن عاصم وغلظة بضم الغين رواها المفضل عن عاصم ومثلها جذوة وجذوة وجذوة ووجنة ووجنة ووجنة ورغوة ورغوة ورغوة وربوة وربوة وربوة وقسوة وقسوة وقسوة وإلوة وإلوة وإلوة في اليمين وشاة لجبة ولجبة ولجبة قد ولى لبنها قال ابن عباس في قوله غلظة شجاعة وقال مجاهد شدة
قوله تعالى فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا هذا قول المنافقين بعضهم لبعض استهزاء بقول الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا لأنهم

(٥١٨/٣)

إذا صدقوا بها وعملوا بما فيها زادتهم إيمانا وهم يستبشرون أي يفرحون بنزولها وأما الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق
وفي المراد بالرجس ثلاثة أقوال
أحدها الشك قاله ابن عباس والثاني الإثم قاله مقاتل والثالث الكفر لأنهم كلما كفروا بسورة زاد كفرهم قاله الزجاج

قوله تعالى أولا يرون يعني المنافقين وقرأ حمزة أولا ترون بالتاء على الخطاب للمؤمنين وفي معنى يفتنون ثمانية أقوال

أحدها يكذبون كذبة أو كذبتين يضلون بها قاله حذيفة بن اليمان

والثاني ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثالث يبتلون بالغزو في سبيل الله قاله الحسن وقتادة

والرابع يفتنون بالسنة والجوع قاله مجاهد

والخامس بالأوجاع والأمراض قاله عطية

والسادس ينقضون عهدهم مرة أو مرتين قاله يمان

والسابع يكفرون وذلك أنهم كانوا إذا أخبرهم النبي صلى الله عليه و سلم بما تكلموا به إذ خلوا علموا أنه نبي ثم يأتيهم الشيطان فيقول إنما بلغه هذا عنكم فيشركون قاله مقاتل بن سليمان

والثامن يفضحون باظهار نفاقهم قاله مقاتل بن حيان

قوله تعالى ثم لا يتوبون أي من نفاقهم ولا هم يذكرون أي يعتبرون ويتعظون

(٥١٩/٣)

وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون

قوله تعالى وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض قال ابن عباس كانت إذا أنزلت سورة فيها عيب المنافقين وخطبهم رسول الله صلى الله عليه و سلم وعرض بهم في خطبته شق ذلك عليهم ونظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب يقولون هل يراكم من أحد من المؤمنين إن قمتم فان لم يرهم أحد خرجوا من المسجد قال الزجاج كأنهم يقولون ذلك إيماء لئلا يعلم بهم أحد ثم انصرفوا عن المكان وجائز عن العمل بما يسمعون وقال الحسن ثم انصرفوا على عزم التكذيب بمحمد صلى الله عليه و سلم وبما جاء به

قوله تعالى صرف الله قلوبهم قال ابن عباس عن الإيمان وقال الزجاج أضلهم مجازاة على فعلهم

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم

قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قرأ الجمهور بضم الفاء وقرأ ابن عباس وأبو العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو بفتحها وفي المضمونة أربعة أقوال

أحدها من جميع العرب قاله ابن عباس وقال ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسوله الله صلى الله عليه و سلم

والثاني ممن تعرفون قاله قتادة
والثالث من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قاله جعفر الصادق

(٣/٥٢٠)

الرابع بشر مثلكم فهو آكد للحجة لأنكم تفقهون عمن هو مثلكم قاله الزجاج وفي المفتوحة ثلاثة أقوال
أحدها أفضلكم خلقا والثاني أشرفكم نسبا والثالث أكثركم طاعة لله عز و جل
قوله تعالى عزيز عليه ما عنتم فيه قولان
أحدهما شديد عليه ما شق عليكم رواه الضحاك عن ابن عباس قال الزجاج شديد عليه عنتكم والعنت لقاء الشدة
والثاني شديد عليه ما آثمكم رواه أبو صالح عن ابن عباس
قوله تعالى حريص عليكم قال الحسن حريص عليكم أن تؤمنوا
قوله تعالى بالمؤمنين رؤوف رحيم قال ابن عباس سماه باسمين من أسمائه وقال أبو عبيدة رؤوف فعول من الرأفة وهي أرق من الرحمة ويقال رؤف وأنشد ... ترى للمؤمنين عليك حقا ... كفعل الوالد الرؤف الرحيم ...
وقيل رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين
فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
قوله تعالى فان تولوا أي أعرضوا عن الإيمان فقل حسبي الله أي يكفيني رب العرش العظيم وقرأ ابن محيصن العظيم برفع

(٣/٥٢١)

الميم وإنما خص العرش بالذكر لأنه الأعظم فيدخل فيه الأصغر قال أبي بن كعب آخر آية أنزلت لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة تم بعون الله تبارك وتعالى الجزء الثالث من زاد المسير في علم التفسير ويليه الجزء الرابع وأوله تفسير سورة يونس

(٣/٥٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم سورة يونس

فصل في نزولها

روى عطية وابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية وبه قال الحسن وعكرمة وروى أبو صالح عن ابن عباس أن فيها من المدني قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به يونس ٤٠ وفي رواية عن ابن عباس فيها ثلاث آيات من المدني أولها قوله فإن كنت في شك يونس ٩٤ إلى رأس ثلاث آيات وبه قال قتادة وقال مقاتل هي مكية غير آيتين قوله فإن كنت في شك والتي تليها يونس ٩٤ ٩٥ وقال بعضهم هي مكية إلا آيتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها يونس ٥٨ ٥٩

آلر تلك آيات الكتاب الحكيم

فأما قوله الر قرأ ابن كثير الر بفتح الراء وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي الر على الهجاء مكسورة وقد ذكرنا في أول سورة البقرة ما يشتمل على بيان هذا الجنس وقد خصت هذه الكلمة

بستة أقوال أحدها أن معناها أنا الله أرى رواه الضحاك عن ابن عباس والثاني أنا الله الرحمن رواه عطاء عن ابن عباس والثالث أنه بعض اسم من أسماء الله روى عكرمة عن ابن عباس قال الر و حم و نون حروف الرحمن والرابع أنه قسم أقسم الله به رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والخامس أنه اسم من أسماء القرآن قاله مجاهد وقتادة والسادس أنه اسم للسورة قاله ابن زيد وفي قوله تلك قولان أحدهما أنه بمعنى هذه قاله أبو صالح عن ابن عباس واختاره أبو عبيدة والثاني أنه على أصله ثم فيه ثلاثة أقوال أحدها أن الإشارة إلى الكتب المتقدمة من التوراة والإنجيل قاله مجاهد وقتادة فيكون المعنى هذه الأقاصيص التي تسمعونها تلك الآيات التي وصفت في التوراة والإنجيل والثاني أن الإشارة إلى الآيات التي جرى ذكرها من القرآن قاله الزجاج والثالث أن تلك إشارة إلى الر وأخواتها من حروف المعجم أي تلك الحروف المفتتحة بها السور هي آيات الكتاب لأن الكتاب بها يتلى وألفاظه إليها ترجع ذكره ابن الأنباري قال أبو عبيدة الحكيم بمعنى المحكم المبين الموضح والعرب قد تضع فعيلا في معنى مفعل قال الله تعالى مالدي عتيد ق٢٣ ١٨ أي معد

أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون

قوله تعالى أكان للناس عجبا سبب نزولها أن الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه و سلم أنكرت الكفار ذلك وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد فنزلت هذه الآية والمراد بالناس هاهنا أهل مكة والمراد بالرجل محمد صلى الله عليه و سلم ومعنى منهم يعرفون نسبه قاله ابن عباس فأما الألف فهي للتوبيخ والإنكار قال ابن الأنباري والاحتجاج عليهم في كونهم عجبوا من إرسال محمد محذوف هاهنا وهو مبين في قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم الزخرف ٣٢ أي فكما وضح لكم هذا التفاضل بالمشاهدة فلا تنكروا تفضيل الله من شاء بالنبوة وإنما حذفه هاهنا اعتمادا على ما بينه في موضع آخر قال وقيل إنما عجبوا من ذكر البعث والنشور لأن الإنذار والتبشير يتصلان بهما فكان جوابهم في مواضع كثيرة تدل على كون ذلك مثل قوله وهو أهون عليه الروم ٢٧ وقوله يحيها الذي أنشأها أول مرة يس ٧٩

وفي المراد بقوله قدم صدق سبعة أقوال

أحدها أنه الثواب الحسن بما قدموا من أعمالهم رواه العوفي عن ابن عباس وروى عنه أبو صالح قال عمل صالح يقدمون عليه

والثاني أنه ما سبق لهم من السعادة في الذكر الأول رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال أبو عبيدة سابقة صدق

والثالث شفيع صدق وهو محمد صلى الله عليه و سلم يشفع لهم يوم القيامة قاله الحسن

والرابع سلف صدق تقدموهم بالإيمان قاله مجاهد وقتادة

والخامس مقام صدق لا زوال عنه قاله عطاء

والسادس أن قدم الصدق المنزلة الرفيعة قاله الزجاج

والسابع أن القدم هاهنا مصيبة المسلمين بنبيهم صلى الله عليه و سلم وما يلحقهم من ثواب الله عند أسفهم على فقده ومحبتهم لمشاهدته ذكره ابن الأنباري

فإن قيل لم آثر القدم هاهنا على اليد والعرب تستعمل اليد في موضع الإحسان

فالجواب أن القدم ذكرت هاهنا للتقدم لأن العادة جارية بتقدم الساعي على قدميه والعرب تجعلها كناية عن العمل الذي يتقدم فيه ولا يقع فيه تأخر قال ذو الرمة ... لكم قدم لا ينكر الناس أنها ... مع الحسب العادي طمت على البحر ...

فإن قيل ما وجه إضافة القدم إلى الصدق

فالجواب أن ذلك مدح للقدم وكل شيء أضفته إلى الصدق فقد مدحته ومثله أدخلني مدخل صدق

وأخرجني مخرج صدق وقوله في مقعد صدق وفي الكلام محذوف تقديره أوحينا إلى رجل منهم فلما اتاهم الوحي قال الكافرون إن هذا لسحر مبين قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي لسحار بألف وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر لسحر بغير ألف قال أبو علي قد تقدم قوله أن أوحينا إلى رجل منهم فمن قال ساحر أراد الرجل ومن قال سحر أراد الذي أوحي سحر أي الذي تقولون أنتم فيه إنه وحي سحر قال الزجاج

لما أنذرهم بالبعث والنشور فقالوا هذا سحر أخبرهم أن الذي خلق السموات والأرض قادر على بعثهم بقوله إن ربكم الله وقد سبق تفسيره في الأعراف ٥٤

قوله تعالى يدبر الأمر قال مجاهد يقضيه وقال غيره يأمر به ويمضيه

قوله تعالى مامن شفيع إلى من بعد إذنه فيه قولان

أحدهما لا يشفع أحد إلا أن يأذن له قاله ابن عباس قال الزجاج لم يجر للشفيع ذكر قبل هذا ولكن الذين خوطبوا كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا

والثاني أن المعنى لا ثاني معه مأخوذ من الشفع لأنه لم يكن معه أحد ثم خلق الأشياء فقوله إلا من بعد إذنه أي من بعد أمره أن يكون الخلق فكان ذكره الماوردي

قوله تعالى فاعبدوه قال مقاتل وحدوه وقال الزجاج المعنى فاعبدوه وحده وقوله تذكرون معناه تتعظون

إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون

قوله تعالى إليه مرجعكم جميعا أي مصيركم يوم القيامة وعد الله حقا قال الزجاج وعد الله منصوب على معنى وعدكم الله وعدا لأن قوله إليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع و حقا منصوب على أحق ذلك حقا

قوله تعالى إنه يبدأ الخلق قرأه الأكثرون بكسر الألف وقرأت

عائشة وأبو رزين وعكرمة وأبو العالية والأعمش بفتحها قال الزجاج من كسر فعلى الاستئناف ومن فتح فالمعنى إليه مرجعكم لأنه يبدأ الخلق قال مقاتل يبدأ الخلق ولم يكن شيئا ثم يعيده بعد الموت وأما القسط فهو العدل

فإن قيل كيف خص جزاء المؤمنين بالعدل وهو في جزاء الكافرين عادل أيضا

فالجواب أنه لو جمع الفريقين في القسط لم يتبين في حال اجتماعهما ما يقع بالكافرين من العذاب الأليم والشرب من الحميم ففصلهم من المؤمنين ليبين ما يجزيهم به مما هو عدل أيضا ذكره ابن الأنباري فأما الحميم فهو الماء الحار وقال أبو عبيدة كل حار فهو حميم هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم أن الحمد لله رب العالمين
قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء قرأ الأكثرون ضياء بهمزة

(٨/٤)

واحدة وقرأ ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرآن أي ذات ضياء والقمر نورا أي ذات نور وقدره منازل أي قدر له فحذف الجار والمعنى هيأ ويسر له منازل قال الزجاج الهاء ترجع إلى القمر لأنه المقدر لعلم السنين والحساب وقد يجوز أن يعود إلى الشمس والقمر فحذف أحدهما اختصارا وقال الفراء إن شئت جعلت تقدير المنازل للقمر خاصة لأن به تعلم الشهور وإن شئت جعلت التقدير لهما فاكتفي بذكر أحدهما من صاحبه كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه التوبة ٦٢ قال ابن قتيبة منازل القمر ثمانية وعشرون منزلا من أول الشهر إلى ثماني وعشرين ليلة ثم يستسر وهذه المنازل هي النجوم التي كانت العرب تنسب إليها الأنواء وأسماؤها عندهم الشرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزباني والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفزغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والرشاء وهو الحوت
قوله تعالى ما خلق الله ذلك إلا بالحق أي للحق من إظهار صنعه وقدرته والدليل على وحدانيته يفصل الآيات قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم يفصل بالياء وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم نفصل الآيات بالنون والمعنى نبينها لقوم يعلمون يستدلون بالأمارات على قدرته
قوله تعالى لآيات لقوم يتقون فيه قولان أحدهما يتقون الشرك

(٩/٤)

والثاني عقوبة الله فيكون المعنى إن الآيات لمن لم يحمله هواه على خلاف ما وضح له من الحق
قوله تعالى لا يرجون لقاءنا قال ابن عباس لا يخافون البعث ورضوا بالحياة الدنيا اختاروا ما فيها على الآخرة واطمأنوا بها آثروها وقال غيره ركنوا إليها لأنهم لا يؤمنون بالآخرة والذين هم عن آياتنا غافلون فيها قولان أحدهما أنها آيات القرآن ومحمد قاله ابن عباس والثاني ما ذكره في أول السورة من صنعه قاله مقاتل فأما قوله غافلون فقال ابن عباس مكذبون وقال غيره معرضون قال ابن زيد وهؤلاء هم الكفار
قوله تعالى بما كانوا يكسبون قال مقاتل من الكفر والتكذيب
قوله تعالى يهديهم ربهم بأيمانهم فيه أربعة أقوال أحدها يهديهم إلى الجنة ثوابا بإيمانهم والثاني يجعل لهم نورا يمشون به بإيمانهم والثالث يزيدهم هدى بإيمانهم والرابع يثيبهم بإيمانهم فأما الهداية فقد سبقت لهم
قوله تعالى تجري من تحتهم الأنهار أي تجري بين أيديهم وهم يرونها من علو
قوله تعالى دعواهم فيها أي دعاؤهم وقد شرحنا ذلك في أول الأعراف ٥
وفي المراد بهذا الدعاء قولان
أحدهما أنه استدعاؤهم ما يشتهون قال ابن عباس كلما اشتهى أهل الجنة شيئا قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم ما يشتهون فإذا طعموا قالوا الحمد لله رب العالمين فذلك آخر دعواهم وقال ابن جريج إذا مر بهم الطير يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم

فيردون عليه فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام فإذا أكلوا حمدوا ربهم فذلك قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين
والثاني أنهم إذا أرادوا الرغبة إلى الله تعالى في دعاء يدعونه به قالوا سبحانك اللهم قاله قتادة
قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام فيه ثلاثة أقوال أحدها أنها تحية بعضهم لبعض وتحية الملائكة لهم قاله ابن عباس والثاني أن الله تعالى يحييهم بالسلام والثالث أن التحية الملك فالمعنى ملكهم فيها سالم ذكرهما الماوردي
قوله تعالى وآخر دعواهم أي دعاؤهم وقولهم أن الحمد لله رب العالمين قرأ أبو مجلز وعكرمة ومجاهد وابن يعمر وقتادة ويعقوب أن الحمد لله بتشديد النون ونصب الدال قال الزجاج أعلم الله أنهم يبتدؤون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقال ابن كيسان يفتتحون كلامهم بالتوحيد ويختمونه بالتوحيد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون

قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر ذكر بعضهم أنها نزلت في النضر بن الحارث حيث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الأنفال ٨ والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته وفي المراد بالآية قولان أحدهما ولو يعجل الله للناس الشر إذا دعوا على أنفسهم عند الغضب وعلى أهليهم واستعجلوا به كما يعجل لهم الخير لهلكوا هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة

والثاني ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل لهم قضاء آجالهم ليتعجلوا عذاب الآخرة حكاه الماوردي ويقوي هذا تمام الآية وسبب نزولها وقد قرأ الجمهور لقضي إليهم بضم القاف أجلهم بضم اللام وقرأ ابن عامر لقضى بفتح القاف أجلهم بنصب اللام وقد ذكرنا في أول سورة البقر ١٥ معنى الطغيان والعمة وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون

قوله تعالى وإذا مس الإنسان الضر اختلفوا فيمن نزلت على قولين أحدهما أنها نزلت في أبي حذيفة واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي قاله ابن عباس ومقاتل والثاني أنهانزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة قاله عطاء و الضر الجهد والشدة واللام في قوله لجنبه بمعنى على وفي معنى الآية قولان أحدهما إذا مسه الضر دعا على جنبه أو دعا قاعدا أو دعا قائما قاله ابن عباس والثاني إذا مسه الضر في هذه الأحوال دعا ذكره الماوردي

قوله تعالى فلما كشفنا عنه ضره مر فيه ثلاثة أقوال

أحدها أعرض عن الدعاء قاله مقاتل والثاني مر في العافية على ما كان عليه قبل أن يبتلى ولم يتعظ بما يناله قاله الزجاج والثالث مر طاغيا على ترك الشكر

قوله تعالى كأن لم يدعنا قال الزجاج كأن هذه مخففة من الثقيلة المعنى كأنه لم يدعنا قالت الخنساء

كأن لم يكونوا حمى يتقى ... إذ الناس إذ ذاك من عز بزا ...

قوله تعالى كذلك زين للمسرفين المعنى كما زين لهذا الكافر الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء كذلك زين للمسرفين وهم المجاوزون الحد في الكفر والمعصية عملهم ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين

قوله تعالى ولقد أهلكنا القرون من قبلكم قال مقاتل هذا تخويف لكفار مكة والظلم هاهنا بمعنى الشرك وفي قوله وما كانوا ليؤمنوا قولان أحدهما أنه عائد على أهل مكة قاله مقاتل والثاني على القرون المتقدمة قاله أبو سليمان قال ابن الأنباري ألزمهم الله ترك الإيمان لمعاندتهم الحق وإيثارهم الباطل وقال الزجاج جائز أن يكون جعل جزاءهم الطبع على قلوبهم وجائز أن يكون أعلم ما قد علم منهم قوله تعالى كذلك نجزي أي نعاقب ونهلك القوم المجرمين يعني المشركين من قومك ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون

قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف قال ابن عباس جعلناكم يا أمة محمد خلائف أي استخلفناكم في الأرض وقال قتادة ما جعلنا الله خلائف إلا لينظر إلى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيرا بالليل والنهار

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقائي نفسي أن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم

قوله تعالى وإذا تتلى عليهم آياتنا اختلفوا فيمن نزلت على قولين أحدهما أنها نزلت في المستهزئين بالقرآن من أهل مكة قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني أنها نزلت في مشركي مكة قاله مجاهد وقتادة والمراد بالآيات القرآن و يرجون بمعنى يخافون وفي علة طلبهم سوى هذا القرآن أو تبديله قولان أحدهما أنهم أرادوا تغيير آية العذاب بالرحمة وآية الرحمة بالعذاب قاله ابن عباس والثاني أنهم كرهوا منه ذكر البعث والنشور لأنهم لا يؤمنون به وكرهوا عيب آلهتهم فطلبوا ما يخلوا من ذلك قاله الزجاج والفرق بين تبديله والإتيان بغيره أن تبديله لا يجوز أن يكون معه والإتيان بغيره قد يجوز أن يكون معه

قوله تعالى ما يكون لي حرك هذه الياء ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأسكنها الباقون من تلقاء نفسي حركها نافع وأبو عمرو وأسكنها الباقون والمعنى من عند نفسي فالمعنى أن الذي أتيت به من عند الله لا من عندي فأبدله إني أخاف فتح هذه الياء ابن كثير ونافع وابو عمرو إن عصيت ربي أي في تبديله أو تغييره عذاب يوم عظيم يعني في القيامة

فصل

وقد تكلم علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية على ما بينا في نظيرتها في

الأنعام ١٥ ومقصود الآيتين تهديد المخالفين وأضيف ذلك إلى الرسول ليصعب الأمر فيه قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون

قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني القرآن وذلك أنه كان لا ينزله علي فيأمرني بتلاوته عليكم ولا أدراكم به أي ولا أعلمكم الله به قرأ ابن كثير ولأدراكم بلام التوكيد من غير ألف بعدها يجعلها لاما دخلت على أدراكم وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم أدراكم بالإمالة وقرأ الحسن وابن أبي عبلة وشيبة بن نصاح ولا أدرأتكم بتاء بين الألف والكاف فقد لبثت فيكم عمرا وقرأ الحسن والأعمش عمرا بسكون الميم قال أبو عبيدة وفي العمر ثلاث لغات عمر وعمر وعمر قال ابن عباس أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم بشيء من القرآن أفلا تعقلون أنه ليس من قبلي فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يريد إني لم أفتر على الله ولم أكذب عليه وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكا والمجرمون هاهنا المشركون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون

قوله تعالى ويعبدون من دون الله مالا يضرهم أي لا يضرهم إن لم يعبدوه ولا ينفعهم إن عبدوه قاله مقاتل والزجاج

قوله تعالى ويقولون يعني المشركين هؤلاء يعنون الأصنام قال أبو عبيدة خرجت كنايتها على لفظ كناية الآدميين وقد ذكرنا هذا المعنى في الأعراف ١٩١ عند قوله وهم يخلقون وفي قوله شفعاؤنا عند الله قولان أحدهما شفعاؤنا في الآخرة قاله أبو صالح عن ابن عباس ومقاتل والثاني شفعاؤنا في إصلاح معايشنا في الدنيا لأنهم لا يقرون بالبعث قاله الحسن

قوله تعالى قل أتنبئون الله بمالا يعلم قال الضحاك أتخبرون الله أن له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الأرض وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون

قوله تعالى وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا قد شرحنا هذا في سورة البقرة ٢١٣ وأحسن الأقوال أنهم كانوا على دين واحد موحدين فاختلفوا وعبدوا الأصنام فكان أول من بعث إليهم نوح عليه السلام

قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك فيه ثلاثة أقوال

أحدها ولولا كلمة سبقت بتأخير هذه الأمة أنه لا يهلكهم بالعذاب كما أهلك الذين من قبلهم لقضي

بينهم بنزول العذاب فكان ذلك فصلا بينهم فيما فيه يختلفون من الدين
والثاني أن الكلمة أن لكل أمة أجلا وللدنيا مدة لا يتقدم ذلك على وقته

(١٦/٤)

والثالث أن الكلمة أنه لا يأخذ أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه
وفي قوله لقضي بينهم قولان أحدهما لقضي بينهم بإقامة الساعة والثاني بنزول العذاب على المكذبين
ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين
قوله تعالى ويقولون يعني المشركين لولا أي هلا أنزل عليه آية من ربه مثل العصا واليد وآيات الأنبياء
فقل إنما الغيب لله فيه قولان أحدهما أن سؤالكم لم لم تنزل الآية غيب ولا يعلم علة امتناعها إلا الله
والثاني أن نزول الآية متى يكون غيب ولا يعلمه إلى الله
قوله تعالى فانتظروا فيه قولان أحدهما انتظروا نزول الآية والثاني قضاء الله بيننا باظهار المحق على
المبطل وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا
يكتبون ما تمكرون
قوله تعالى وإذا أذقنا الناس رحمة سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه و سلم لما دعا على أهل مكة
بالجذب فقحطوا سبع سنين أتاه أبو سفيان فقال ادع لنا بالخصب فإن أخصبنا صدقناك فدعا لهم
فسقوا ولم يؤمنوا ذكره الماوردي قال المفسرون المراد بالناس هاهنا الكفار وفي المراد بالرحمة والضراء
ثلاثة أقوال
أحدها أن الرحمة العافية والسرور والضراء الفقر والبلاء قاله ابن عباس

(١٧/٤)

والثاني الرحمة الإسلام والضراء الكفر وهذا في حق المنافقين قاله الحسن
والثالث الرحمة الخصب والضراء الجدب قاله الضحاك
وفي المراد بالمكر هاهنا أربعة أقوال أحدها أنه الاستهزاء والتكذيب قاله مجاهد ومقاتل
والثاني أنه الجحود والرد قاله أبو عبيدة
والثالث أنه إضافة النعم إلى غير الله فيقولون سقينا بنوء كذا قاله مقاتل بن حيان
والرابع أن المكر النفاق لأنه إظهار الإيمان وإبطان الكفر ذكره الماوردي
قوله تعالى قل الله أسرع مكرا أي جزاء على المكر إن رسلنا يعني الحفظة يكتبون ما تمكرون أي

يحفظون ذلك لمجازاتكم عليه وقرأ يعقوب إلا رويسا وأبا حاتم وأبان عن عاصم يمكرون بالياء هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجيناهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون

(١٨/٤)

قوله تعالى هو الذي يسيركم أي الله الذي هو أسرع مكرا هو الذي يسيركم في البر على الدواب وفي البحر على السفن فلو شاء انتقم منكم في البر أو في البحر وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ينشركم بالنون والشين من النشر وهو في المعنى مثل قوله وبث منهما رجالا كثيرا النساء ٢ والفلك السفن قال الفراء الفلك تذكر وتؤنث وتكون واحدة وتكون جمعا قال تعالى هاهنا جاءتها فأنث وقال في يس ٤١ في الفلك المشحون فذكر

قوله تعالى وجرين بهم عاد بعد المخاطبة لهم إلى الإخبار عنهم قال الزجاج كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز أن يرده إلى الغائب قال الشاعر ... شطت مزار العاشقين فأصبحت ... عسرا علي طلابك ابنة مخرم ...

قوله تعالى بريح طيبة أي لينة وفرحوا بها للينها جاءتها يعني الفلك قال الفراء وإن شئت جعلتها للريح كأنك قلت جاءت الريح الطيبة ريح عاصف والعرب تقول عاصف وعاصفة وقد عصفت الريح وأعصفت والألف لغة لبني أسد قال ابن عباس الريح العاصف الشديدة قال الزجاج يقال عصفت الريح فهي عاصف وعاصفة وأعصفت فهي معصف ومعصفة وجاءهم الموج من كل مكان أي من كل أمكنة الموج

قوله تعالى وظنوا فيه قولان أحدهما أنه بمعنى اليقين والثاني أنه التوهم وفي قوله أحيط بهم قولان أحدهما دنوا من الهلكة قال ابن قتيبة وأصل هذا أن العدو إذا أحاط

(١٩/٤)

ببلد فقد دنا أهله من الهلكة وقال الزجاج يقال لكل من وقع في بلاء قد أحيط بفلان أي أحاط به البلاء

والثاني أحاطت بهم الملائكة ذكره الزجاج

قوله تعالى دعوا الله مخلصين له الدين دون أوثانهم قال ابن عباس تركوا الشرك وأخلصوا لله الربوبية وقالوا لئن أنجيتنا من هذه الريح العاصف لنكونن من الشاكرين أي الموحدين

قوله تعالى يبغون في الأرض البغي الترامي في الفساد قال الأصمعي يقال بغى الجرح إذا ترامى إلى فساد قال ابن عباس يبغون في الأرض بالدعاء إلى عبادة غير الله والعمل بالمعاصي والفساد

يا أيها الناس يعني أهل مكة إنما بغيكم على أنفسكم أي جناية مظالمكم بينكم على أنفسكم وقال الزجاج عملكم بالظلم عليكم يرجع

قوله تعالى متاع الحياة الدنيا قرأ ابن عباس وأبو رزين وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن وحفص وأبان عن عاصم متاع الحياة الدنيا بنصب المتاع قال الزجاج من رفع المتاع فالمعنى أن ما تنالونه بهذا البغي إنما تنتفعون به في الدنيا ومن نصب المتاع فعلى المصدر فالمعنى تمتعون متاع الحياة الدنيا وقرأ أبو المتوكل واليزيدي في اختياره وهارون العتكي عن عاصم متاع الحياة بكسر العين قال ابن عباس متاع الحياة الدنيا أي منفعة في الدنيا إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت

الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها آتها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون

قوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء هذا مثل ضربه الله للدنيا الفانية فشبهها بمطر نزل من السماء فاختلط به نبات الأرض يعني التف النبات بالمطر وكثر مما يأكل الناس من الحبوب وغيرها والأنعام من المرعى حتى إذا أخذت الأرض زخرفها قال ابن قتيبة زينتها بالنبات وأصل الزخرف الذهب ثم يقال للنقش والنور والزهر وكل شيء زين زخرف وقال الزجاج الزخرف كمال حسن الشيء

قوله تعالى وازينت قرأه الجمهور وازينت بالتشديد وقرأ سعد ابن أبي وقاص وابو عبد الرحمن والحسن وابن يعمر بفتح الهمزة وقطعها ساكنة الزاي على وزن وأفعلت قال الزجاج من قرأ وازينت بالتشديد فالمعنى وتزينت فادغمت التاء في الزاي وأسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل ومن قرأ وأزينت بالتخفيف على أفعلت فالمعنى جاءت بالزينة وقرأ أبي وابن مسعود وتزينت

قوله تعالى وظن أهلها أي أيقن أهل الأرض أنهم قادرون عليها أي على ما انبتته فأخبر عن الأرض والمراد النبات لأن المعنى مفهوم أتاها أمرنا أي فضاءنا باهلاكها فجعلناها حصيدا أي محصودا لا شيء فيها والحصيد المقطوع المستأصل كأن لم تغن بالأمس قال الزجاج لم تعمر والمغاني المنازل التي

يعمرها الناس بالنزول فيها يقال غنينا بالمكان إذا نزلوا به وقرأ الحسن كأن لم يغن بالياء يعني الحصيد قال بعض المفسرين

(٢١/٤)

تأويل الآية أن الحياة في الدنيا سبب لاجتماع المال وما يروق من زهرة الدنيا ويعجب حتى إذا استتم ذلك عند صاحبه وظن أنه ممتع بذلك سلب عنه بموته أو بحادثة تهلكه كما أن الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته فإذا تزينت به الأرض وظن الناس أنهم مستمتعون بذلك أهلكه الله فعاد ما كان فيها كأن لم يكن والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

قوله تعالى والله يدعوا إلى دار السلام يعني الجنة وقد ذكرنا معنى تسميتها بذلك عند قوله لهم دار السلام عند ربهم الأنعام ١٢٧ واعلم أن الله عم بالدعوة وخص الهداية من شاء لأن الحكم له في خلقه

وفي المراد بالصراط المستقيم أربعة أقوال

أحدها كتاب الله رواه علي عن النبي صلى الله عليه و سلم والثاني الإسلام رواه النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه و سلم والثالث الحق قاله مجاهد وقتادة والرابع المخرج من الضلالات والشبه قاله أبو العالية

(٢٢/٤)

قوله تعالى للذين أحسنوا قال ابن عباس قالوا لا إله إلا الله قال ابن الأنباري الحسنى كلمة مستغنى عن وصفها ونعتها لأن العرب توقعها على الخلة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرف من جهتها يدل على هذا قول امرئ القيس ... فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال ... ... فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أي إذلال ...

أي إلى الأمر المحبوب وهصرت بمعنى مددت والغصن كناية عن المرأة والباء مؤكدة للكلام كما تقول العرب ألفى بيده إلى الهلاك يريدون ألقى يده والشماريخ كناية عن الذوائب ورضت معناه أذللت ومن أجل هذا قال أي إذلال ولم يقل أي رياضة

وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال
أحدها أنها الجنة روي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وبه قال الأكثرون والثاني أنها الواحدة من الحسنات بواحدة قاله ابن عباس والثالث النصرة قاله عبد الرحمن بن سابط والرابع الجزاء في الآخرة قاله ابن زيد والخامس الأمنية ذكره ابن الأنباري وفي الزيادة ستة أقوال
أحدها أنها النظر إلى الله عز و جل روى مسلم في صحيحة من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال الزيادة النظر إلى وجه الله عز و جل وبهذا القول قال أبو بكر الصديق وابو موسى الأشعري وحذيفة وابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك وعبد الرحمن بن أبي ليلى والسدي ومقاتل
والثاني أن الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب رواه الحكم عن علي ولا يصح

والثالث أن الزيادة مضاعفة الحسنة إلى عشر أمثالها قاله ابن عباس والحسن
والرابع أن الزيادة مغفرة روضوان قاله مجاهد
والخامس أن الزيادة أن ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به في القيامة قاله ابن زيد
والسادس أن الزيادة ما يشتهونه ذكره الماوردي
قوله تعالى ولا يرهق أي لا يغشى وجوههم قتر وقرأ الحسن وقتادة والأعمش قتر باسكان التاء وفيه أربعة أقوال
أحدها أنه السواد قال ابن عباس سواد الوجوه من الكآبة وقال الزجاج القتر الغبرة التي معها سواد
والثاني أنه دخان جهنم قاله عطاء والثالث الخزي قاله مجاهد والرابع الغبار قاله أبو عبيدة
وفي الذلة قولان
أحدهما الكآبة قاله ابن عباس والثاني الهوان قاله أبو سليمان والذين كسبوا السيئآت جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من اليل مظلما اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
قوله تعالى والذين كسبوا السيئات قال ابن عباس عملوا الشرك جزاء سيئة بمثلها في الآية محذوف وفي تقديره قولان
أحدهما أن فيها إضمار لهم المعنى لهم جزاء سيئة بمثلها وأنشد ثعلب ... فإن سأل الواشون عنه فقل لهم ... وذاك عطاء للوشاة جزيل

(٢٥/٤)

ملم بليلى لمة ثم إنه ... لهاجر ليلى بعدها فمطيل ...

أراد هو ملم وهذا قول الفراء

والثاني أن فيها إضمار منهم المعنى جزاء سيئة منهم بمثلها تقول العرب رأيت القوم صائم وقائم أي منهم صائم وقائم أنشد الفراء ... حتى إذا ما أضاء الصبح في غلس ... وغودر البقل ملوي ومحصود ... أي منه ملوي وهذا قول ابن الأنباري وقال بعضهم الباء زائدة هاهنا و من في قوله من عاصم صلة والعاصم المانع كأنما أغشيت وجوههم أي ألبست قطعا قرأ نافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو وحمزة قطعا مفتوحة الطاء وهي جمع قطعة وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بتسكين الطاء قال ابن قتيبة وهو اسم ما قطع قال ابن جرير وإنما قال مظلما ولم يقل مظلمة لأن المعنى قطعا من الليل المظلم ثم حذفت الألف واللام من المظلم فلما صار نكره وهو من نعت الليل نصب على القطع وقوم يسمون ما كان كذلك حالا وقوم قطعا ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا قال ابن عباس يجمع الكفار وآلهتهم ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم أي آلهتكم قال الزجاج

(٢٦/٤)

مكانكم منصوب على الأمر كأنهم قيل لهم انتظروا مكانكم حتى نفصل بينكم والعرب تتوعد فتقول مكانك أي انتظر مكانك فهي كلمة جرت على الوعيد

قوله تعالى فزيلنا بينهم وقرأ ابن أبي عبلة فزايلنا بألف قال ابن عباس فرقنا بينهم وبين آلهتهم وقال ابن قتيبة هو من زال يزول وأزلته وقال ابن جرير إنما قال فزيلنا ولم يقل فزلنا لا راده تكرير الفعل وتكثيره فإن قيل كيف تقع الفرقة بينهم وهم معهم في النار لقوله إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الأنبياء ٩٨

فالجواب أن الفرقة وقعت بتبري كل معبود ممن عبده وهو قوله وقال شركاؤهم قال ابن عباس آلهتهم ينطق الله الأوثان فتقول ماكنتم إيانا تعبدون أي لا نعلم بعبادتكم لنا لأنه ما كان فينا روح فيقول العابدون بلى قد عبدناكم فتقول الآلهة فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين لا نعلم بها قال الزجاج إن كنا معناه ما كنا إلا غافلين

فإن قيل ما وجه دخول الباء في قوله فكفى بالله شهيدا

فعنه جوابان أحدهما أنها دخلت للمبالغة في المدح كما قالوا أظرف بعبد الله وأنبل بعبد الرحمن وناهيك بأخينا وحسبك بصديقنا هذا قول الفراء وأصحابه والثاني أنها دخلت توكيدا للكلام إذ سقوطها ممكن كما يقال خذ بالخطام وخذ الخطام قاله ابن الأنباري هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله موليهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون

قوله تعالى هنالك تبلو قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر تبلو بالباء وقرأ حمزة والكسائي وخلف وزيد عن يعقوب

(٢٧/٤)

تتلو بالتاء قال الزجاج هنالك ظرف والمعنى في ذلك الوقت تبلو وهو منصوب بتبلو إلا أنه غير متمكن والام زائدة والأصل هناك وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف والكاف للمخاطبة و تبلو تختبر أي تعلم ومن قرأ تتلو بتاءين فقد فسرها الأخفش وغيره تتلو من التلاوة أي تقرأ وفسروه ايضا تتبع كل نفس ما أسلفت ومثله قول الشاعر ... قد جعلت دلوي تستتليني ... ولا أريد تبع القرين ...

أي تستتبعني أي من ثقلها تستدعي اتباعي إياها

قوله تعالى وردوا أي في الآخرة إلى الله مولاهم الحق الذي يملك أمرهم حقا لا من جعلوا معه من الشركاء وضل عنهم أي زال وبطل ما كانوا يفترون من الآلهة قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون

قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء المطر ومن الأرض النبات أم من يملك السمع أي خلق السمع والأبصار وقد سبق معنى إخراج الحي من الميت والميت من الحي آل عمران ٢٧

قوله تعالى ومن يدبر الأمر أي أمر الدنيا والآخرة فسيقولون الله لأنهم خوطبوا بما لا يقدر عليه إلا الله فكان في ذلك دليل توحيده

وفي قوله أفلا تتقون قولان أحدهما أفلا تتعظون قاله ابن عباس والثاني تتقون الشرك قاله مقاتل

(٢٨/٤)

فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون

قوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق قال الخطابي الحق هو المتحقق وجوده وكل شيء صح وجوده وكونه فهو حق

قوله تعالى فأنى تصرفون قال ابن عباس كيف تصرف عقولكم إلى عبادة من لا يرزق ولا يحيى ولا يميت كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون

قوله تعالى كذلك حقت كلمة ربك قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي كلمة ربك آخر السورة كذلك وقرأ نافع وابن عامر الحرفين كلمات على الجمع

قال الزجاج الكاف في موضع نصب أي مثل أفعالهم جازاهم ربك والمعنى حق عليهم أنهم لا يؤمنون وقوله أنهم لا يؤمنون بدل من كلمة ربك وجائز أن تكون الكلمة حقت عليهم لأنهم لا يؤمنون وتكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب

وذكر ابن الأنباري في كذلك قولين

أحدهما أنها إشارة إلى مصدر تصرفون والمعنى مثل ذلك الصرف حقت كلمة ربك

والثاني أنه بمعنى هكذا

وفي معنى حقت قولان أحدهما وجبت والثاني سبقت

وفي كلمته قولان أحدهما أنها بمعنى وعده والثاني بمعنى قضائه ومن قرأ كلمات جعل كل واحدة من الكلم التي توعدوا بها كلمة وقد شرحنا معنى الكلمة في الأعراف ١٣٧ و ١٥٨

قوله تعالى قل الله يهدي للحق أي إلى الحق

قوله تعالى أم من لا يهدي قرأ ابن كثير وابن عامر وورش عن نافع يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال قال الزجاج الأصل يهتدي فأدغمت التاء في الدال فطرحت فتحتها على الهاء وقرأ نافع إلى ورشا وأبو عمرو يهدي بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال غير أن أبا عمرو كان يشم الهاء شيئا من الفتح وقرأ حمزة والكسائي يهدي بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال قال أبو علي والمعنى لا يهدي غيره إلا أن يهدى هو ولو هدي الصم لم يهتد ولكن لما جعلوها كمن يعقل أجريت مجراه وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم يهدي بكسر الياء والهاء وتشديد الدال وكذلك روى أبان وجبلة عن المفضل وعبد الوارث قال الزجاج أتبعوا الكسرة الكسرة وهي رديئة لثقل الكسرة في الياء وروى حفص عن عاصم والكسائي عن أبي بكر عنه يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال قال الزجاج وهذه في الجودة كالمفتوحة الهاء إلا أن الهاء كسرت لالتقاء الساكنين وقرأ ابن السميفع يهتدي بزيادة تاء والمراد بقوله أم من لا يهدي الصم

إلا أن يهدى وظاهر الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت وليست كذلك لأنها حجارة لا تهتدى إلا أنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت صفة من يعقل وإن لم تكن في الحقيقة كذلك ولهذا المعنى قال في صفتها أمن لأنهم جعلوها كمن يعقل ولما أعطاها حقها في أصل وضعها قال يا أبت لم تعبد مالا يسمع مريم ٤٢ وقال الفراء أمن لا يهدي أي أتعبدون مالا يقدر أن ينتقل من مكانه إلا أن يحول وقد صرف بعضهم الكلام إلى الرؤساء والمضلين والأول أصح

قوله تعالى فما لكم قال الزجاج هو كلام تام كأنه قيل لهم أي شيء لكم في عبادة الأوثان ثم قيل لهم كيف تحكمون أي على أي حال تحكمون وقال ابن عباس كيف تقضون لأنفسكم وقال مقاتل كيف تقضون بالجور وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون

قوله تعالى وما يتبع أكثرهم أي كلهم إلا ظنا أي ما يستيقنون أنها آلهة بل يظنون شيئا فيتبعونه إن الظن لا يغني من الحق شيئا أي ليس هو كاليقين ولا يقوم مقام الحق وقال مقاتل ظنهم بأنها آلهة لا يدفع عنهم من العذاب شيئا وقال غيره ظنهم أنها تشفع لهم لا يغني عنهم وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين

قوله تعالى وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله قال الزجاج هذا جواب قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله يونس ١٥ وجواب قولهم افتراه الفرقان ٤ قال الفراء ومعنى الآية ما ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى من دون الله فجاءت أن على معنى ينبغي وقال ابن الأنباري يجوز أن تكون مع يفترى مصدرا وتقديره وما كان هذا القرآن افتراء ويجوز أن تكون كان تامة فيكون المعنى ما نزل هذا القرآن وما ظهر هذا القرآن لأن يفترى وبأن يفترى فتنصب أن بفقد الخافض في قول الفراء وتخفض باضمار الخافض في قول الكسائي وقال ابن قتيبة معنى أن يفترى أي يضاف إلى غير الله أو يختلق

قوله تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه تصديق الكتب المتقدمة قاله ابن عباس فعلى هذا إنما قال الذي لأنه يريد الوحي

والثاني ما بين يديه من البعث والنشور ذكره الزجاج

والثالث تصديق النبي صلى الله عليه و سلم الذي بين يدي القرآن لأنهم شاهدوا النبي صلى الله عليه و سلم وعرفوه قبل سماعهم القرآن ذكره ابن الأنباري

قوله تعالى وتفصيل الكتاب أي وبيان الكتاب الذي كتبه الله على أمة محمد صلى الله عليه و سلم

الفرائض التي فرضها عليهم أم يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين

قوله تعالى أم يقولون افتراه في أم قولان أحدهما أنها بمعنى الواو قاله أبو عبيدة والثاني بمعنى بل قاله الزجاج

قوله تعالى فأتوا بسورة مثله قال الزجاج المعنى فأتوا بسورة مثل سورة منه فذكر المثل لأنه إنما التمس شبه الجنس وادعوا من استطعتم ممن هو في التكذيب مثلكم إن كنتم صادقين أنه اختلقه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فيه قولان أحدهما أن المعنى بما لم يحيطوا بعلم ما فيه ذكر الجنة والنار والبعث والجزاء والثاني بما لم يحيطوا بعلم التكذيب به لأنهم شاكون فيه

وفي قوله ولما يأتهم تأويله قولان أحدهما تصديق ما وعدوا به من الوعيد والتأويل ما يؤول إليه الأمر والثاني ولم يكن معهم علم تأويله قاله الزجاج

قيل لسفيان بن عيينة يقول الناس كل إنسان عدو ما جهل فقال هذا في كتاب الله قيل أين فقال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه

وقيل للحسين بن الفضل هل تجد في القرآن من جهل شيئا عاداه فقال نعم في موضعين قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقوله إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم الأحقاف ١١ ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين

قوله تعالى ومنهم من يؤمن به في المشار إليهم قولان

أحدهما أنهم اليهود قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني قريش قاله مقاتل بن سليمان

وفي هاء به قولان أحدهما أنها ترجع إلى محمد صلى الله عليه و سلم ودينه قاله مقاتل والثاني إلى القرآن قاله أبو سليمان الدمشقي

وهذه الآية تضمنت الإخبار عما سبق في علم الله فالمعنى ومنهم من سيؤمن به وقال الزجاج منهم من يعلم أنه حق فيصدق به ويعاند فيظهر الكفر ومنهم من لا يؤمن به أي يشك ولا يصدق

قوله تعالى وربك أعلم بالمفسدين قال عطاء يريد المكذبين وهذا تهديد لهم وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريؤن مما أعمل وأنا بريء مما تعملون

قوله تعالى وإن كذبوك فقل لي عملي الآية قال أبو صالح عن ابن عباس نسختها آية السيف وليس هذا بصحيح لأنه لا تنافي بين الآيتين ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون

قوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

أحدها في يهود المدينة كانوا يأتون رسول الله ويستمعون القرآن فيعجبون ويشتهونه ويغلب عليهم الشقاء فنزلت هذه الآية

والثاني أنهانزلت في المستهزئين كانوا يستمعون إلى النبي صلى الله عليه و سلم للاستهزاء والتكذيب فلم ينتفعوا فنزلت فيهم هذه الآية والقولان مرويان عن ابن عباس

والثالث أنها نزلت في مشركي قريش قاله مقاتل قال الزجاج ظاهرهم ظاهر من يستمع وهم لشدة عداوتهم بمنزلة الصم ولو كانوا لا يعقلون أي ولو كانوا مع ذلك جهالا وقال ابن عباس يريد أنهم شر من الصم لأن الصم لهم عقول وقلوب وهؤلاء قد اصم الله قلوبهم ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون

قوله تعالى ومنهم من ينظر إليك قال ابن عباس يريد متعجبين منك أفأنت تهدي العمي يريد أن الله أعمى قلوبهم فلا يبصرون وقال الزجاج منهم من يقبل عليك بالنظر وهو من بغضه لك وكراهته لما يرى من آياتك كالأعمى وقال ابن جرير ومنهم من يستمع قولك وينظر إلى حججك على نبوتك ولكن الله قد سلبه التوفيق وقال مقاتل و لو في الآيتين بمعنى إذا إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون

قوله تعالى إن الله لا يظلم الناس شيئا لما ذكر الذين سبق القضاء عليهم بالشقاوة أخبر أن تقدير ذلك عليهم ليس بظلم لأنه يتصرف في ملكه كيف شاء وهم إذا كسبوا المعاصي فقد ظلموا أنفسهم بذلك لأن الفعل منسوب إليهم وإن كان بقضاء الله

قوله تعالى ولكن الناس قرأ حمزة والكسائي وخلف ولكن الناس بتخفيف النون وكسرها ورفع الإسم بعدها ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين

قوله تعالى ويوم نحشرهم وقرأ حمزة يحشرهم بالياء قال أبو سليمان الدمشقي هم المشركون
قوله تعالى كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فيه قولان
أحدهما كأن لم يلبثوا في قبورهم قاله ابن عباس والثاني في الدنيا قاله مقاتل قال الضحاك قصر عندهم مقدار الوقت الذي بين موتهم وبعثهم فصار كالساعة من النهار لهول ما استقبلوا من القيامة
قوله تعالى يتعارفون بينهم قال ابن عباس إذا بعثوامن القبور تعارفوا ثم تنقطع المعرفة قال الزجاج وفي معرفة بعضهم بعضا وعلم بعضهم باضلال بعض التوبيخ لهم وإثبات الحجة عليهم وقيل إذا تعارفوا وبخ بعضهم بعضا فيقول هذا لهذا أنت أضللتني وكسبتني دخول النار
قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا هو من قول الله تعالى لا من قولهم والمعنى خسروا ثواب الجنة إذ كذبوا بالبعث وما كانوا مهتدين من الضلالة وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
قوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم قال المفسرون كانت وقعة بدر مما أراه الله في حياته من عذابهم أو نتوفينك قبل أن نريك فإلينا مرجعهم بعد الموت والمعنى إن لم ننتقم منهم عاجلا انتقمنا آجلا
قوله تعالى ثم الله شهيد على ما يفعلون من الكفر والتكذيب قال

الفراء ثم هاهنا عطف ولو قيل معناها هناك الله شهيد كان جائزا وقال غيره ثم هاهنا بمعنى الواو وقرأ ابن أبي عبلة ثم الله شهيد بفتح الثاء يراد به هنالك الله شهيد
قوله تعالى فإذا جاء رسولهم قضي بينهم فيه ثلاثة أقوال
أحدها إذا جاء في الدنيا بعد الإذن له في دعائهم قضي بينهم بتعجيل الانتقام منهم قاله الحسن وقال غيره إذا جاءهم في الدنيا حكم عليهم عند اتباعه وخلافه بالطاعة والمعصية
والثاني إذا جاء يوم القيامة قاله مجاهد وقال غيره إذا جاء شاهدا عليهم
والثالث إذا جاء في القيامة وقد كذبوه في الدنيا قاله ابن السائب
قوله تعالى قضي بينهم بالقسط فيه قولان أحدهما بين الأمة فأثيب المحسن وعوقب المسيء والثاني بينهم وبين نبيهم ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين
قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد في القائلين هذا قولان
أحدهما الأمم المتقدمة أخبر عنهم باستعجال العذاب لأنبيائهم قاله ابن عباس
والثاني أنهم المشركون الذين أنذرهم نبينا صلى الله عليه و سلم قاله أبو سليمان

وفي المراد بالوعد قولان أحدهما العذاب قاله ابن عباس والثاني قيام الساعة إن كنتم صادقين أنت وأتباعك قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قل أرأيتم إن أتيكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعلجل منه

(٣٧/٤)

المجرمون أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون

قوله تعالى قل لا أملك لنفسي ضرا الآية قد ذكرت تفسيرها في آيتين من الأعراف ٣٤ و ١٨٨

قوله تعالى إن أتاكم عذابه بياتا قال الزجاج البيات كل ما كان بليل وقوله ماذا في موضع رفع من جهتين إحداهما أن يكون ذا بمعنى الذي المعنى مال الذي يستعجل منه المجرمون ويجوز أن يكون ماذا اسما واحدا فيكون المعنى أي شيء يستعجل منه المجرمون والهاء في منه تعود على العذاب وجائز أن تعود على ذكر الله تعالى فيكون المعنى أي شيء يستعجل المجرمون من الله تعالى وعودها على العذاب أجود لقوله أثم إذا ما وقع آمنتم به وذكر بعض المفسرين أن المراد بالمجرمين المشركون وكانوا يقولون نكذب بالعذاب ونستعجله ثم إذا وقع العذاب آمنا به فقال الله تعالى موبخا لهم أثم إذا ما وقع آمنتم به أي هنالك تؤمنون فلا يقبل منكم الإيمان ويقال لكم الآن تؤمنون فأضمر تؤمنون به مع آلآن وقد كنتم به تستعجلون مستهزئين وهو قوله ثم قيل للذين ظلموا أي كفروا عند نزول العذاب ذوقوا عذاب الخلد لأنه إذا نزل بهم العذاب أفضوا منه إلى عذاب الآخرة الدائم ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين

قوله تعالى ويستنبؤنك أي ويستخبرونك أحق هو يعنون البعث

(٣٨/٤)

والعذاب قل إي المعنى نعم وربي وفتح هذه الياء نافع وأبو عمرو وإنما أقسم مع أخباره تأكيدا وقال ابن قتيبة إي بمعنى بل ولا تأتي إلا قبل اليمين صلة لها

قوله تعالى وما أنتم بمعجزين قال ابن عباس بسابقين وقال الزجاج لستم ممن يعجز أن يجازى على كفره ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت وإليه ترجعون

قوله تعالى ولو أن لكل نفس ظلمت قال ابن عباس أشركت ما في الأرض لافتدت به عند نزول العذاب وأسروا الندامة يعني الرؤساء أخفوها من الأتباع وقضي بينهم أي بين الفريقين وقال آخرون منهم أبو عبيدة والمفضل أسروا الندامة بمعنى أظهروا لأنه ليس بيوم تصنع ولا تصبر والإسرار من الأضداد يقال أسررت الشيء بمعنى أخفيته وأسررته أظهرته قال الفرزدق ... ولما رأى الحجاج جرد سيفه ... أسر الحروري الذي كان أضمرا ...

يعني أظهر فعلى هذا القول أظهروا الندامة عند إحراق النار لهم لأن

(٣٩/٤)

النار ألهتهم عن التصنع والكتمان وعلى الأول كتموها قبل إحراق النار إياهم

وقوله تعالى ألا إن وعد الله حق قال ابن عباس ما وعد أولياءه من الثواب وأعداءه من العقاب ولكن أكثرهم يعني المشركين لا يعلمون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين

قوله تعالى يا أيها الناس قال ابن عباس يعني قريشا ق جاءتكم موعظة يعني القرآن وشفاء لما في الصدور أي دواء لداء الجهل وهدى أي بيان من الضلالة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون

قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فيه ثمانية أقوال

أحدها أن فضل الله الإسلام ورحمته القرآن رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال قتادة وهلال بن يساف وروي عن الحسن ومجاهد في بعض الرواية عنهما وهو اختيار ابن قتيبة

والثاني أن فضل الله القرآن ورحمته أن جعلهم من أهل القرآن رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال أبو سعيد الخدري والحسن في رواية

والثالث أن فضل الله العلم ورحمته محمد صلى الله عليه و سلم رواه الضحاك عن ابن عباس

والرابع أن فضل الله الإسلام ورحمته تزيينه في القلوب قاله ابن عمر

والخامس أن فضل الله القرآن ورحمته الإسلام قاله الضحاك وزيد بن أسلم وابنه ومقاتل

(٤٠/٤)

والسادس أن فضل الله ورحمته القرآن رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد واختاره الزجاج

والسابع أن فضل الله القرآن ورحمته السنة قاله خالد بن معدان

والثامن فضل الله التوفيق ورحمته العصمة قاله ابن عيينة

قوله تعالى فبذلك فليفرحوا وقرأ أبي بن كعب وأبو مجلز وقتادة وأبو العالية ورويس عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء وقرأ الحسن ومعاذ القارئ وأبو المتوكل مثل ذلك إلا أنهم كسروا اللام وقرأ ابن مسعود وأبو عمران فبذلك فافرحوا قال ابن عباس بذلك الفضل والرحمة هو خير مما يجمعون أي مما يجمع الكفار من الأموال وقرأ أبو جعفر وابن عامر ورويس تجمعون بالتاء وحكى ابن الأنباري أن الباء في قوله بفضل الله خبر لاسم مضمر تأويله هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله ورحمته فبذلك التطول من الله فليفرحوا قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون

قوله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق قال المفسرون هذا خطاب لكفار قريش كانوا يحرمون ما شاؤوا ويحلون ما شاؤوا و أنزل بمعنى خلق وقد شرحنا بعض مذاهبهم فيما كانوا يفعلون من البحيرة والسائبة وغير ذلك في المائدة ١٠٣ و الأنعام ١٣٩

قوله تعالى قل آلله أذن لكم أي في هذا التحليل والتحريم

وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذوا فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون

قوله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب في الكلام محذوف تقديره ما ظنهم أن الله فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم إن الله لذو فضل على الناس حين لم يعجل عليهم بالعقوبة ولكن أكثرهم لا يشكرون تأخير العذاب عنهم وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين

قوله تعالى وما تكون في شأن أي في عمل من الأعمال وجمعه شؤون وما تتلو منه في هاء الكناية قولان أحدهما أنها تعود إلى الشأن قال الزجاج معنى الآية أي وقت تكون في شأن من عبادة الله وما تلوت من الشأن من قرآن

والثاني أنها تعود إلى الله تعالى فالمعنى وما تلوت من الله أي من نازل منه من قرآن ذكره جماعة من العلماء والخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم وامته داخلون فيه بدليل قوله ولا تعملون من عمل قال ابن الأنباري جمع في هذا ليدل على أنهم داخلون في الفعلين الأولين

قوله تعالى إذ تفيضون فيه الهاء عائدة على العمل قال ابن قتيبة تفيضون بمعنى تأخذون فيه وقال

الزجاج تنتشرون فيه يقال أفاض القوم في الحديث إذا انتشروا فيه وخاضوا وما يعزب معناه وما يبعد وقال ابن قتيبة

(٤٢/٤)

ما يبعد ولا يغيب وقرأ الكسائي يعزب بكسر الزاي هاهنا وفي سبأ ٣ وقد بينا مثقال ذرة في سورة النساء ٤٠

قوله تعالى ولا أصغر من ذلك ولا أكبر قرأ الجمهور بفتح الراء فيهما وقرأ حمزة وخلف ويعقوب برفع الراء فيهما قال الزجاج من قرأ بالفتح فالمعنى وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر والموضع موضع خفض إلا أنه فتح لأنه لا ينصرف ومن رفع فالمعنى وما يعزب عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر ويجوز رفعه على الابتداء فيكون المعنى ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم

قوله تعالى ألا إن أولياء الله روى ابن عباس أن رجلا قال يا رسول الله من أولياء الله قال الذين إذا رؤوا ذكر الله وروى عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه و سلم الله عليه وسلم أنه قال إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله عز و جل قالوا يا رسول الله من هم وما أعمالهم لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم

(٤٣/٤)

ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ثم قرأ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا فيها ثلاثة أقوال

أحدها أنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له رواه عبادة ابن الصامت وأبو الدرداء وجابر بن عبد الله وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم

والثاني أنها بشارة الملائكة لهم عند الموت قاله الضحاك وقتادة والزهري

والثالث أنها ما بشر الله به في كتابه من جنته وثوابه كقوله وبشر الذين آمنوا البقرة ٢٥ وأبشروا بالجنة فصلت ٣٠ يبشرهم ربهم التوبة ٢١ وهذا قول الحسن واختاره الفراء والزجاج واستدلا بقوله لا تبديل

لكلمات الله قال ابن عباس لا خلف لمواعيده وذلك أن مواعيده بكلماته فإذا لم تبدل الكلمات لم تبدل المواعيد

فأما بشراهم في الآخرة ففيها ثلاثة أقوال

أحدها أنها الجنة رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم واختارة ابن قتيبة

(٤٤/٤)

والثاني أنه عند خروج الروح تبشر برضوان الله قاله ابن عباس

والثالث أنها عند الخروج من قبورهم قاله مقاتل ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم قوله تعالى ولا يحزنك قولهم قال ابن عباس تكذيبهم وقال غيره تظاهرهم عليك بالعداوة وإنكارهم وأذاهم وتم الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال إن العزة لله جميعا أي الغلبة له فهو ناصرك وناصر دينك هو السميع لقولهم العليم باضمارهم فيجازيهم على ذلك ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون

قوله تعالى ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض قال الزجاج ألا افتتاح كلام وتنبيه أي فالذي هم له يفعل فيهم وبهم ما يشاء

قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي ما يتبعون شركاء على الحقيقة لأنهم يعدونها شركاء لله شفعاء لهم وليست على ما يظنون

(٤٥/٤)

إن يتبعون إلا الظن في ذلك وإن هم إلا يخرصون قال ابن عباس يكذبون وقال ابن قتيبة يحدسون ويحزرون هو الذي جعل لكم اليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون

قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه المعنى إن ربكم الذي يجب أن تعتقدوا ربوبيته هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه فيزول تعب النهار وكلاله بالسكون في الليل وجعل النهار مبصرا أي مضيئا تبصرون فيه وإنما أضاف الابصار إليه لأنه قد فهم السامع المقصود إذ النهار لا يبصر وإنما هو ظرف يفعل فيه غيره كقوله عيشة راضية الحاقة ٢١ إنما هي مرضية وهذا كما يقال ليل نائم قال جرير ... لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ... ونمت وما ليل المطي بنائم ...

قوله تعالى إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع اعتبار فيعلمون أنه لا يقدر على ذلك إلا الإله القادر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا

أتقولون على الله مالا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون

(٤٦/٤)

قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا قال ابن عباس يعني أهل مكة جعلوا الملائكة بنات الله
قوله تعالى سبحانه تنزيه له عما قالوا هو الغني عن الزوجة والولد إن عندكم أي ما عندكم من سلطان أي حجة بما تقولون
قوله تعالى لا يفلحون فيه ثلاثة أقوال أحدها لا يبقون في الدنيا والثاني لا يسعدون في العاقبة والثالث لا يفوزون قال الزجاج وهذا وقف التمام وقوله متاع في الدنيا مرفوع على معنى ذلك متاع في الدنيا واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون
قوله تعالى واتل عليهم نبأ نوح فيه دليل على نبوته حيث أخبر عن قصص الأنبياء ولم يكن يقرأ الكتب وتحريض على الصبر وموعظة لقومه بذكر قوم نوح وما حل بهم من العقوبة بالتكذيب
قوله تعالى إن كان كبر أي عظم وشق عليكم مقامي أي طول مكثي وقرأ أبو مجلز وأبو رجاء وأبو الجوزاء مقامي برفع الميم وتذكيري وعظي فعلى الله توكلت في نصرتي ودفع شركم عني فأجمعوا أمركم قرأ الجمهور فأجمعوا بالهمز وكسر الميم من أجمعت وروى الأصمعي عن نافع فاجمعوا بفتح الميم من جمعت ومعنى أجمعوا أمركم أحكموا أمركم واعزموا عليه قال المؤرج أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه وأنشد

(٤٧/٤)

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدون يوما وأمري مجمع ...
فأما رواية الأصمعي فقال أبو علي يجوز أن يكون معناها اجمعوا ذوي الأمر منكم أي رؤساءكم ويجوز أن يكون جعل الأمر ما كانوا يجمعونه من كيدهم الذي يكيدون به فيكون كقوله فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا طه ٦٤
قوله تعالى وشركاءكم قال الفراء وابن قتيبة المعنى وادعوا شركاءكم وقال الزجاج الواو هاهنا بمعنى مع فالمعنى مع شركائكم تقول لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها أي مع فصيلها وقرأ يعقوب وشركاؤكم بالرفع

قوله تعالى ثم لا يكن أمركم عليكم غمة فيه قولان أحدهما لا يكن أمركم مكتوما قاله ابن عباس والثاني غما عليكم كما تقول كرب وكربة قاله ابن قتيبة وذكر الزجاج القولين وفي قوله ثم اقضوا إلي قولان أحدهما ثم أقضوا إلي ما في أنفسكم قاله مجاهد والثاني افعلوا ما تريدون قاله الزجاج وابن قتيبة وقال ابن الأنباري معناه اقضوا إلي بمكروهكم وما توعدونني به كما تقول العرب قد قضى فلان يريدون مات ومضى فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين قوله تعالى فإن توليتم أي أعرضتم عن الإيمان فما سألتكم من أجر أي لم يكن دعائي إياكم طمعا في أموالكم

(٤٨/٤)

قوله تعالى إن أجري حرك هذه الياء ابن عامر وأبو عمرو ونافع وحفص عن عاصم وأسكنها الباقون قوله تعالى وجلناهم خلائف أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفا ممن هلك ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبيانات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين قوله تعالى ثم بعثنا من بعده أي من بعد نوح رسلا إلى قومهم قال ابن عباس يريد إبراهيم وهودا و صالحا ولوطا وشعيبا فجاؤوهم بالبينات أي بأن لهم أنهم رسل الله فما كانوا أي أولئك الأقوام ليؤمنوا بما كذبوا يعني الذين قبلهم والمراد أن المتأخرين مضوا على سنن المتقدمين في التكذيب وقال مقاتل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من العذاب من قبل نزوله
قوله تعالى كذلك نطبع أي كما طبعنا على قلوب أولئك كذلك نطبع على قلوب المعتدين يعني المتجاوزين ما أمروا به ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم يعني الرسل الذين أرسلوا بعد نوح فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح

(٤٩/٤)

الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق

بكلماته ولو كره المجرمون

قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا وهو ما جاء به موسى من الآيات

قوله تعالى أسحر هذا قال الزجاج المعنى أتقولون للحق لما جاءكم هذا اللفظ وهو قولهم إن هذا لسحر مبين ثم قررهم فقال أسحر هذا قال ابن الأنباري إنما أدخلوا الألف على جهة تفظيع الأمر كما يقول الرجل إذا نظر إلى الكسوة الفاخرة أكسوة هذه يريد بالاستفهام تعظيمها وتأتي الرجل جائزة فيقول أحق ما أرى معظما لما ورد عليه وقال غيره تقدير الكلام أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا فحذف السحر الأول اكتفاء بدلالة الكلام عليه كقوله فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم الاسراء ٨ المعنى بعثناهم ليسوؤوا وجوهكم

قوله تعالى أجئتنا لتلفتنا قال ابن قتيبة لتصرفنا يقال لفت فلانا عن كذا إذا صرفته ومنه الالتلفت وهو الانصراف عما كنت مقبلا عليه قوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الأرض وروى أبان وزيد عن يعقوب ويكون لكما بالياء وفي المراد بالكبرياء ثلاثة أقوال أحدها الملك والشرف قاله ابن عباس والثاني الطاعة قاله الضحاك والثالث العلو قاله ابن زيد قال ابن عباس والأرض هاهنا أرض مصر

قوله تعالى بكل ساحر قرأ حمزة والكسائي وخلف بكل سحار بتشديد الحاء وتأخير الألف

قوله تعالى ما جئتم به السحر قرأ الأكثرون السحر بغير مد على لفظ الخبر والمعنى الذي جئتم به من الحبال والعصي هو السحر وهذا رد لقولهم للحق هذا سحر فتقديره الذي جئتم به السحر فدخلت الألف واللام لأن النكرة إذا عادت عادت معرفة كما تقول رايت رجلا فقال لي الرجل وقرأ مجاهد وأبو عمرو وأبو جعفر وابان عن عاصم وأبو حاتم عن يعقوب آلسحر بمد الألف استفهاما قال الزجاج والمعنى أي شيء جئتم به أسحر هو على جهة التوبيخ لهم وقال ابن الأنباري هذا الاستفهام معناه التعظيم للسحر لا على سبيل الاستفهام عن الشيء الذي يجهل وذلك مثل قول الإنسان في الخطأ الذي يستعظمه من إنسان أخطأ هذا أي هو عظيم الشأن في الخطأ والعرب تستفهم عما هو معلوم عندها قال امرؤ القيس ... أغرك مني أن حبك قاتلي ... وأنك مهما تأمري القلب يفعل ...

وقال قيس بن ذريح ... أراجعة يالبن أيامنا الألى ... بذي الطلح أم لا ما لهن رجوع ...

فاستفهم وهو يعلم أنهن لا يرجعن

قوله تعالى إن الله سيبطله أي يهلكه ويظهر فضيحتكم إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يجعل عملهم نافعا لهم ويحق الله الحق أي يظهره ويمكنه بكلماته بما سبق من وعده بذلك

فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون

قوله تعالى فما آمن لموسى إلا ذرية في المراد بالذرية هاهنا ثلاثة أقوال

أحدها أن المراد بالذرية القليل قاله ابن عباس

والثاني أنهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى مات آباؤهم لطول الزمان وآمنوا هم قاله مجاهد وقال ابن زيد هم الذين نشؤوا مع موسى حين كف

(٤/٥٢)

فرعون عن ذبح الغلمان قال ابن الأنباري وإنما قيل لهؤلاء ذرية لأنهم أولاد الذين بعث إليهم موسى وإن كانوا بالغين

والثالث أنهم قوم أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط قاله مقاتل واختاره الفراء قال وإنما سموا ذرية كما قيل لأولاد فارس الأبناء لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم وفي هاء قومه قولان

أحدهما أنها تعود إلى موسى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والثاني إلى فرعون رواه أبو صالح عن ابن عباس فعلى القول الأول يكون قوله على خوف من فرعون وملئهم أي وملأ فرعون قال الفراء وإنما قال وملئهم بالجمع وفرعون واحد لأن الملك إذا ذكر ذهب الوهم إليه وإلى من معه تقول قدم الخليفة فكثر الناس تريد بمن معه وقد يجوز أن يريد بفرعون آل فرعون كقوله واسأل القرية يوسف ٨٢ وعلى القول الثاني يرجع ذكر الملأ إلى الذرية قال ابن جرير وهذا أصح لأنه كان في الذرية من أبوه قبطي وأمه إسرائيلية فهو مع فرعون على موسى

قوله تعالى أن يفتنهم يعني فرعون ولم يقل يفتنوهم لأن قومه كانوا على من كان عليه وفي هذه الفتنة قولان

أحدهما أنها القتل قاله ابن عباس والثاني التعذيب قاله ابن جرير
قوله تعالى وإن فرعون لعال في الأرض قال ابن عباس متطاول في أرض مصر وإنه لمن المسرفين حين كان عبدا فادعى الربوبية
قوله تعالى إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا لما شكا بنوا إسرائيل إلى موسى ما يهددهم به فرعون من ذبح أولادهم واستحياء نسائهم قال لهم هذا
وفي قوله لا تجعلنا فتنة ثلاثة أقوال

(٤/٥٣)

أحدها لا تهلكنا بعذاب على أيدي قوم فرعون ولا بعذاب من قبلك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق ما عذبوا ولا سلطنا عليهم
والثاني لا تسلطهم علينا فيفتنونا والقولان مرويان عن مجاهد
والثالث لا تسلطهم علينا فيفتنون بنا لظنهم أنهم على حق قاله أبو الضحى وأبو مجلز
قوله تعالى أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا قال المفسرون لما أرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة وكانوا لا يصلون إلى في الكنائس فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلون فيها خوفا من فرعون و تبوآ معناه اتخذا وقد شرحناه في الأعراف ٧٤ وفي المراد بمصر قولان أحدهما أنه البلد المعروف بمصر قاله الضحاك والثاني أنه الاسكندرية قاله مجاهد وفي البيوت قولان أحدهما أنها المساجد قاله الضحاك والثاني القصور قاله مجاهد وفي قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أربعة أقوال
أحدها اجعلوها مساجد رواه مجاهد وعكرمة والضحاك عن ابن عباس وبه قال النخعي وابن زيد وقد ذكرنا أن فرعون أمر بهدم مساجدهم فقيل لهم اجعلوا بيوتكم قبلة بدلا من المساجد
والثاني اجعلوها قبل القبلة رواه العوفي عن ابن عباس وروى الضحاك عن ابن عباس قال قبل مكة وقال مجاهد أمروا أن يجعلوها مستقبلة الكعبة وبه قال مقاتل وقتادة والفراء
والثالث اجعلوها يقابل بعضها بعضا وهو مروي عن ابن عباس أيضا وبه قال سعيد بن جبير

(٤/٥٤)

والرابع واجعلوا بيوتكم التي بالشام قبلة لكم في الصلاة فهي قبلة اليهود إلى اليوم قاله ابن بحر
فإن قيل البيوت جمع فكيف قال قبلة على التوحيد فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال من قال المراد

بالقبلة الكعبة قال وحدت القبلة لتوحيد الكعبة قال ويجوز أن يكون أراد اجعلوا بيوتكم قبلا فاكتفى بالواحد عن الجمع كما قال العباس بن مرداس ... فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... فقد برئت من الإحن الصدور ...

يريد إنا إخوتكم ويجوز أن يكون وحد قبلة لانه أجراها مجرى المصدر فيكون المعنى واجعلوا بيوتكم إقبالا على الله وقصدا لما كنتم تستعملونه في المساجد ويجوز أن يكون وحدها والمعنى واجعلوا بيوتكم شيئا قبلة ومكانا قبلة ومحلة قبلة

قوله تعالى وأقيموا الصلاة قال ابن عباس أتموا الصلاة وبشر المؤمنين أنت يا محمد قال سعيد بن جبير بشرهم بالنصر في الدنيا وبالجنة في الآخرة

قوله تعالى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا قال ابن عباس كان لهم من لدن فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت

قوله تعالى ليضلوا عن سبيلك وفي لام ليضلوا أربعة أقوال

أحدها أنها لام كي والمعنى آتيتهم ذلك كي يضلوا وهذا قول الفراء

والثاني أنها لام العاقبة والمعنى إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال ومثله قوله ليكون لهم عدوا وحزنا بالقصص ٨ أي آل أمرهم إلى أن صار لهم عدوا لا أنهم قصدوا ذلك وهذا كما تقول للذي كسب مالا فأداه

إلى الهلاك إنما كسب فلان لحتفه وهو لم يكسب المال طلبا للحتف وأنشدوا ... وللمنايا تربي كل مرضعة ... وللخراب يجد الناس عمرانا ...

وقال آخر ... وللموت تغذو الوالدات سخالها ... كما لخراب الدور تبنى المساكن ...

وقال آخر ... فإن يكن الموت أفناهم ... فللموت ما تلد الوالده ...

أراد عاقبة الأمر ومصيده إلى ذلك هذا قول الزجاج

والثالث أنها لام الدعاء والمعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك ذكره ابن الأنباري

والرابع أنها لام أجل فالمعنى آتيتهم لأجل ضلالتهم عقوبة منك لهم ومثله قوله سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم التوبة ٩٥ أي لأجل إعراضكم حكاه بعض المفسرين وقرأ أهل الكوفة إلا المفضل وزيد وابو حاتم عن يعقوب ليضلوا بضم الياء اي ليضلوا غيرهم

قوله تعالى ربنا اطمس روى الحلبي عن عبد الوارث اطمس بضم الميم على أموالهم وفيه قولان

أحدهما أنها جعلت حجارة رواه مجاهد عن ابن عباس وبه قال قتادة والضحاك وأبو صالح والفراء وقال

القرظي جعل سكرهم حجارة وقال ابن زيد صار ذهبهم ودارهمهم وعدسهم وكل شيء لهم حجارة وقال مجاهد مسخ الله النخل والثمار والأطعمة حجارة فكانت إحدى الآيات التسع وقال الزجاج تطميس الشيء إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها

(٤/٥٦)

والثاني أنها هلكت فالمعنى أهلك أموالهم رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد وأبو عبيدة وابن قتيبة ومنه يقال طمست عينه أي ذهبت وطمس الطريق إذا عفا ودرس

وفي قوله واشدد على قلوبهم أربعة أقوال

أحدها اطبع عليها رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مقاتل والفراء والزجاج

والثاني أهلكهم كفارا رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الضحاك

والثالث اشدد عليها بالضلالة قاله مجاهد

والرابع أن معناه قس قلوبهم قاله ابن قتيبة

قوله تعالى فلا يؤمنوا فيه قولان

أحدهما أنه دعاء عليهم أيضا كأنه قال اللهم فلا يؤمنوا قاله الفراء وأبو عبيدة والزجاج وقال ابن الأنباري معناه فلا آمنوا قال الأعشى ... فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ... ولا تلقني إلا وأنفك راغم ...

معناه لا أنبسط ولا لقيتني

والثاني أنه عطف على قوله ليضلوا عن سبيلك فالمعنى أنك آتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا حكاه الزجاج عن المبرد

قوله تعالى حتى يروا العذاب الأليم قال ابن عباس هو الغرق وكان

(٤/٥٧)

موسى يدعو وهارون يؤمن فقال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما وكان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة فإن قيل كيف قال دعوتكما وهما دعوتان فعنه ثلاثة أجوبة

أحدها أن الدعوة تقع على دعوتين وعلى دعوات وكلام يطول كما بينا في الأعراف ١٥٨ أن الكلمة تقع على كلمات قال الشاعر ... وكان دعا دعوة قومه ... هلم إلى أمركم قد صرم ...

فأوقع دعوة على ألفاظ بينها آخر بيته

والثاني أن يكون المعنى قد أجيبت دعواتكما فاكتفى بالواحد من ذكر الجميع ذكر الجوابين ابن الأنباري وقد روى حماد بن سلمة عن عاصم أنه قرأ دعواتكما بالألف وفتح العين

والثالث أن موسى هو الذي دعا فالدعوة له غير أنه لما أمن هارون أشرك بينهما في الدعوة لأن التأمين على الدعوة منها

وفي قوله فاستقيما اربعة أقوال

أحدها فاستقيما على الرسالة وما أمرتكما به قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني فاستقيما على دعاء فرعون وقومه إلى طاعةالله قاله ابن جرير

والثالث فاستقيما في دعائكما على فرعون وقومه

والرابع فاستقيما على ديني ذكرهما أبو سليمان الدمشقي

قوله تعالى ولا تتبعان قرأ الأكثرون بتشديد تاء تتبعان وقرأ

ابن عامر بتخفيفها مع الاتفاق على تشديد نون تتبعان إلا أن النون الشديدة دخلت للنهي مؤكدة وكسرت لسكونها وسكون النون التي قبلها واختير لها الكسر لأنها بعد الألف فشبهت بنون الاثنين قال أبو علي ومن خفض النون أمكن أن يكون خفف النون الثقيلة فإن شئت كان على لفظ الخبر والمعنى الأمر كقوله يتربصن بأنفسهن البقرة ٢٢٨ و ٢٣٤ و لاتضار والدة البقرة ٢٣٣ أي لا ينبغي ذلك وإن شئت جعلته حالا من قوله فاستقيما تقديره استقيما غير متبعين وفي المراد بسبيل الذين لا يعلمون قولان أحدهما أنهم فرعون وقومه قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني الذين يستعجلون القضاء قبل مجيئه ذكره أبو سليمان الدمشقي

فإن قيل كيف جاز أن يدعو موسى على قومه

فالجواب أن بعضهم يقول كان ذلك بوحي وهو قول صحيح لأنه لا يظن بنبي أن يقدم على مثل ذلك إلا عن إذن من الله عز و جل لأن دعاءه سبب للانتقام

قوله تعالى فأتبعهم فرعون وجنوده قال أبو عبيدة أتبعهم وتبعهم سواء وقال ابن قتيبة أتبعهم لحقهم بغيا وعدوا أي ظلما وقرأ الحسن فأتبعهم بالتشديد وكذلك شددوا وعدوا مع ضم العين

قوله تعالى حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر أنه بفتح الألف والمعنى آمنت بأنه فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى أن فنصب وقرأ حمزة والكسائي إنه بكسر الألف فحملوه على القول المضمر كأنه قال آمنت فقلت إنه قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه عند رؤية العذاب قال ابن الأنباري

جنح فرعون إلى التوبة حين أغلق بابها لحضور الموت ومعاينة الملائكة فقيل له آلآن أي الآن تتوب وقد أضعت التوبة في وقتها وكنت من المفسدين بالدعاء إلى عبادة غير الله عز و جل والمخاطب له بهذا كان جبريل وجاء في الحديث أن جبريل جعل يدس الطين في فم فرعون خشية أن يغفر له قال الضحاك ابن قيس اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة إن يونس عليه السلام كان عبدا صالحا وكان يذكر الله فلما وقع في بطن الحوت سأل الله فقال الله فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون الصافات ١٤٣ وإن فرعون كان عبدا طاغيا ناسيا لذكر الله تعالى فلما أدركه الغرق قال آمنت فقال الله آلهان وقد عصيت قبل

قوله تعالى فاليوم ننجيك وقرأ يعقوب ننجيك مخففة قال اللغويون منهم يونس وأبو عبيدة نلقيك على نجوة من الأرض أي ارتفاع ليصير علما أنه قد غرق وقرأ ابن السميفع ننحيك بحاء وفي سبب إخراجه من البحر بعد غرقه ثلاثة اقوال

أحدها أن موسى واصحابه لما خرجوا قال من بقي من المدائن من قوم فرعونك ما أغرق فرعون ولكنه هو وأصحابه يتصيدون في جزائر البحر فأوحى الله إلى البحر أن الفظ فرعون عريانا فكانت نجاة عبرة وأوحى الله تعالى إلى

البحر أن الفظ ما فيك فلفظهم البحر بالساحل ولم يكن يلفظ غريقا فصار لا يقبل غريقا إلى يوم القيامة رواه الضحاك عن ابن عباس

والثاني أن أصحاب موسى قالوا إنا نخاف أن يكون فرعون ما غرق ولا نؤمن بهلاكه فدعا موسى ربه فأخرجه حتى أيقنوا بهلاكه رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وإلى نحوه ذهب قيس بن عباد وعبد الله بن شداد والسدي ومقاتل وقال السدي لما قال بنو إسرائيل لم يغرق فرعون دعا موسى فخرج فرعون في ستمائة الف وعشرين ألفا عليهم الحديد فأخذته بنوا إسرائيل يمثلون به وذكر غيره أنه إنما أخرج من البحر وحده دون أصحابه وقال ابن جريج كذب بعض بني إسرائيل بغرقه فرمى به البحر على ساحل البحر حتى رآه بنوا إسرائيل قصيرا أحمر كأنه ثور وقال أبو سليمان عرفه بنوا إسرائيل بدرع كان له من لؤلؤ لم يكن لأحد مثلها فأما وجهه فقد غيره سخط الله تعالى

والثالث أنه كان يدعي أنه رب وكان يعبده قوم فبين الله تعالى أمره فأغرقه وأصحابه ثم أخرجه من بينهم قاله الزجاج وفي قوله ببدنك أربعة أقوال أحدها بجسدك من غير روح قاله مجاهد وذكر البدن دليل

على عدم الروح والثاني بدرعك قاله ابو صخر وقد ذكرنا أنه كانت له درع من لؤلؤ وقيل من ذهب فعرف بدرعه والثالث نلقيك عريانا قاله الزجاج والرابع ننجيك وحدك قاله ابن قتيبة

وفي قوله لتكون لمن خلفك آية ثلاثة أقوال

أحدها لتكون لمن بعدك في النكال آية لئلا يقولوا مثل مقالتك فإنك لو كنت إلها ما غرقت قاله أبو صالح عن ابن عباس قال أبو عبيدة خلفك بمعنى بعدك والآية العلامة

(٤/٦١)

والثاني لتكون لبني إسرائيل آية قاله السدي

والثالث لمن تخلف من قومه لأنهم أنكروا غرقه على ما ذكرنا في أول الآية فخرج في معنى الآية قولان أحدهما عبرة للناس والثاني علامة تدل على غرقه وقال الزجاج الآية أنه كان يدعي أنه رب فبان أمره وأخرج من بين اصحابه لما غرقوا وقرأ ابن السميفع وابو المتوكل وأبو الجوزاء لمن خلقك بالقاف ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جائهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم قوله تعالى ولقد بوأنا بني إسرائيل أي أنزلناهم منزل صدق أي منزلا كريما وفي المراد ببني إسرائيل قولان أحدهما أصحاب موسى والثاني قريظة والنضير وفي المراد بالمنزل الذي أنزلوه خمسة أقوال أحدها أنه الأردن وفلسطين قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني الشام وبيت المقدس قاله الضحاك وقتادة والثالث مصر روي عن الضحاك أيضا والرابع بيت المقدس قاله مقاتل والخامس ما بين المدينة والشام من أرض يثرب ذكره علي بن أحمد النيسابوري والمراد بالطيبات ما أحل لهم من الخيرات

(٤/٦٢)

الطيبة فما اختلفوا يعني بني إسرائيل قال ابن عباس ما اختلفوا في محمد لم يزالوا به مصدقين حتى جاءهم العلم يعني القرآن وروي عنه حتى جاءهم العلم يعني محمدا فعلى هذا يكون العلم هاهنا عبارة عن المعلوم وبيان هذا أنه لما جاءهم اختلفوا في تصديقه وكفر به أكثرهم بغيا وحسدا بعد أن كانوا مجتمعين على تصديقه قبل ظهوره

قوله تعالى فإن كنت في شك في تأويل هذه الآية ثلاثة اقوال

أحدها أن الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم والمراد غيره من الشاكين بدليل قوله في آخر السورة إن كنتم في شك من ديني يونس ١٠٥ ومثله قوله يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما الأحزاب ٢ ثم قال بما تعملون خبيرا الأحزاب ٣ ولم يقل بما تعمل وهذا قول الأكثرين

والثاني أن الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم وهو المراد به ثم في المعنى قولان أحدهما أنه خوطب بذلك وإن لم يكن في شك لأنه من المستفيض في لغة العرب أن يقول الرجل لولده إن كنت أبني فبرني ولعبده إن كنت عبدي فأطعني وهذا اختيار الفراء وقال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه و سلم في شك ولا سأل والثاني أن تكون إن بمعنى ما فالمعنى ما كنت في شك فاسأل المعنى لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شاك ولكن لتزداد بصيرة ذكره الزجاج

والثالث أن الخطاب للشاكين فالمعنى إن كنت أيها الإنسان في شك مما أنزل إليك على لسان محمد فسل روي عن ابن قتيبة

وفي الذي أنزل إليه قولان أحدهما أنه أنزل إليه أنه رسول الله والثاني أنه مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل

قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وهم اليهود والنصارى وفي الذين أمر بسؤالهم منهم قولان أحدهما من آمن كعبد الله بن سلام قاله ابن عباس ومجاهد في آخرين والثاني أهل الصدق منهم قاله الضحاك وهو يرجع إلى الأول لأنه لا يصدق إلا من آمن

قوله تعالى لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مستأنف

قوله تعالى إن الذين حقت أي وجبت عليهم كلمة ربك أي قوله وبماذا حقت الكلمة عليهم فيه اربعة أقوال

أحدها باللعنة والثاني بنزول العذاب والثالث بالسخط والرابع بالنقمة

قوله تعالى ولو جاءتهم كل آية قال الأخفش إنما أنث فعل كل لأنه أضافه إلى آية وهي مؤنثة

فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين

قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت أي أهل قرية وفي لولا قولان أحدهما أنه بمعنى لم تكن قرية آمنت فنفعها إيمانها أي قبل منها إلا قوم يونس قاله ابن عباس وقال قتادة لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب إلا لقوم يونس والثاني أنها بمعنى فهلا قاله أبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج قال الزجاج والمعنى

فهلا كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها إلا قوم يونس و إلا هاهنا استثناء ليس من الأول كأنه قال لكن قوم يونس قال الفراء نصب القوم على الانقطاع مما قبله ألا ترى أن

(٦٤/٤)

ما بعد إلا في الجحد يتبع ما قبلها تقول ما قام أحد إلا أخوك فإذا قلت ما فيها أحد إلا كلبا أو حمارا نصبت لانقطاعهم من الجنس كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعا وذكر ابن الأنباري في قوله إلا قولين آخرين أحدهما أنها بمعنى الواو والمعنى وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا وهذا مروي عن أبي عبيدة والفراء ينكره والثاني أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه تقديره حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع

قوله تعالى كشفنا عنهم أي صرفنا عنهم عذاب الخزي أي عذاب الهوان والذل ومتعناهم إلى حين أي إلى حين آجالهم

الإشارة إلى شرح قصتهم

ذكر أهل العلم بالسير والتفسير أن قوم يونس كانوا ب نينوى من أرض الموصل فأرسل الله عز و جل إليهم يونس يدعوهم إلى الله ويأمرهم بترك الأصنام فأبوا فأخبرهم أن العذاب مصبحهم بعد ثلاث فلما تغشاهم العذاب قال ابن عباس وأنس لم يبق بين العذاب وبينهم إلا قدر ثلثي ميل وقال مقاتل قدر ميل وقال أبو صالح عن ابن عباس وجدوا حر العذاب على أكتافهم وقال سعيد بن جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر وقال بعضهم غامت السماء غيما أسود يظهر دخانا شديدا فغشي مدينتهم واسودت سطوحهم

(٦٥/٤)

فلما أيقنوا بالهلاك لبسوا المسوح وحثوا على رؤوسهم الرماد وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والأنعام وعجوا إلى الله بالتوبة الصادقة وقالوا آمنا بما جاء به يونس فاستجاب الله منهم قال ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم بينهم حتى أن كان الرجل ليأتي إلى الحجر قد وضع عليه أساس بنيانه فيقلعه فيرده وقال أبو الجلد لما غشيهم العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا ما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت فقالواها فكشف العذاب عنهم قال مقاتل عجوا إلى الله أربعين ليلة فكشف العذاب عنهم وكانت التوبة عليهم في يوم عاشوراء يوم الجمعة

قال وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم فقيل له ارجع إليهم فقال كيف أرجع إليهم فيجدوني كاذبا وكان من يكذب بينهم ولا بينة له يقتل فانصرف مغاضبا فالتقمه الحوت وقال أبو صالح عن ابن عباس أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له شعيا فقيل له ائت فلانا الملك فقل له يبعث إلى بني إسرائيل نبيا قويا أمينا وكان في مملكته خمسة من الأنبياء فقال الملك ليونس اذهب إليهم فقال ابعث غيري فعزم عليه أن يذهب فأتى بحر الروم فركب سفينة فالتقمه الحوت فلما خرج من بطنها أمر ينطلق إلى قومه فانطلق نذيرا لهم فأبوا عليه فوعدهم بالعذاب وخرج فلما تابوا رفع عنهم والقول الأول أثبت عند العلماء وأنه إنما التقمه الحوت بعد إنذاره لهم وتوبتهم وسيأتي شرح قصته في التقام الحوت إياه في مكانه إنشاء الله تعالى الصفات ١٤٣

فإن قيل كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعد إتيانه إليهم ولم يكشف عن فرعون حين آمن

فعنه ثلاثة أجوبة أحدها أن ذلك كان خاصا لهم كما ذكرنا في أول الآية والثاني أن فرعون باشره العذاب وهؤلاء دنا منهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموتويرجو العافية فأما الذي يعاين فلا توبة له ذكره الزجاج

والثالث أن الله تعالى علم منهم صدق النيات بخلاف من تقدمهم من الهالكين ذكره ابن الأنباري

ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين

قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه و سلم حريصا على إيمان جميع الناس فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلى من سبقت له السعادة قال الأخفش جاء بقوله جميعا مع كل تأكيدا كقوله وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين النحل ٥١

قوله تعالى أفأنت تكره الناس قال المفسرون منهم مقاتل هذا منسوخ بآية السيف والصحيح أنه ليس هاهنا نسخ لأن الإكراه على الإيمان لا يصح لأنه عمل القلب

وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون

قوله تعالى وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله فيه ستة أقوال

أحدها بقضاء الله وقدره والثاني بأمر الله رويا عن ابن عباس والثالث بمشيئة الله قاله عطاء الرابع إلا أن يأذن الله في ذلك قاله مقاتل والخامس بعلم الله والسادس بتوفيق الله ذكرهما الزجاج وابن الأنباري

قوله تعالى ويجعل الرجس أي ويجعل الله الرجس وروى أبو بكر عن عاصم ونجعل الرجس بالنون وفيه خمسة أقوال

أحدها أنه السخط رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والثاني الإثم والعدوان قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثالث أنه مالا خير فيه قاله مجاهد

والرابع العذاب قاله الحسن وأبو عبيدة والزجاج

والخامس العذاب والغضب قاله الفراء

قوله تعالى على الذين لا يعقلون أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيه وقيل لا يعقلون حججه ودلائل توحيده

قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون

قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والأرض قال المفسرون قل للمشركين الذي يسألونك الآيات على توحيد الله انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر وكل هذا يقتضي خالقا مدبرا وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله

فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين

قوله تعالى فهل ينتظرون قال ابن عباس يعني كفار قريش

إلا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قال ابن الأنباري أي مثل وقائع الله بمن سلف قبلهم والعرب تكني بالأيام عن الشرور والحروب وقد تقصد بها أيام السرور والأفراح إذا قام دليل بذلك

قوله تعالى قل فانتظروا هلاكي إني معكم من المنتظرين لنزول العذاب بكم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا من العذاب إذا نزل فلم يهلك قوم قط إلا نجا نبيهم والذين آمنوا معه

قوله تعالى كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين وقرأ يعقوب وحفص والكسائي في قراءته وروايته عن أبي بكر ننج المؤمنين بالتخفيف ثم في هذا الإنجاء قولان

أحدهما ننجيهم من العذاب إذا نزل بالمكذبين قاله الربيع بن أنس

والثاني ننجيهم في الآخرة من النار قاله مقاتل

قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفيكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من

دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين
قوله تعالى قل يا أيها الناس قال ابن عباس يعني أهل مكة إن كنتم في شك من ديني الإسلام فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله وهي الأصنام ولكن أعبد الله الذي يقدر أن يميتكم وقال ابن جرير معنى الآية لا ينبغي لكم أن تشكوا في ديني لأني أعبد الله الذي يميت وينفع ويضر ولا تستنكر

(٤/٦٩)

عبادة من يفعل هذا وإنما ينبغي لكم أن تشكوا وتنكروا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع
فإن قيل لم قال الذي يتوفاكم ولم يقل الذي خلقكم
فالجواب أن هذا يتضمن تهديدهم لأن ميعاد عذابهم الوفاة
قوله تعالى وأن أقم وجهك المعنى وأمرت أن أقم وجهك وفيه قولان
أحدها أخلص عملك والثاني استقم باقبالك على ما أمرت به بوجهك
وفي المراد بالحنيف ثلاثة أقوال
أحدهما أنه المتبع قاله مجاهد والثاني المخلص قاله عطاء والثالث المستقيم قاله القرظي
قوله تعالى ولا تدع من دون الله مالا ينفعك إن دعوته ولا يضرك إن تركت عبادته و الظالم الذي يضع الشيء في غير موضعه
وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين
قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر أي بشدة وبلاء فلا كاشف لذلك إلا هو دون ما يعبده المشركون من الأصنام وإن يصبك بخير أي برخاء ونعمة وعافية فلا يقدر أحد أن يمنعك إياه يصيب به أي بكل واحد من الضر والخير

(٤/٧٠)

قوله تعالى قد جاءكم الحق من ربكم فيه قولان
أحدهما أنه القرآن والثاني محمد صلى الله عليه و سلم

قوله تعالى ومن ضل فإنما يضل عليها أي فإنما يكون وبال ضلاله على نفسه
قوله تعالى وما أنا عليكم بوكيل أي في منعكم من اعتقاد الباطل والمعنى لست بحفيظ عليكم من الهلاك كما يحفظ الوكيل المتاع من الهلاك قال ابن عباس وهذه منسوخة بآية القتال والتي بعدها أيضا وهي قوله واصبر حتى يحكم الله لأن الله تعالى حكم بقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب والصحيح أنه ليس هاهنا نسخ أما الآية الأولى فقد ذكرنا الكلام عليها في نظيرتها في الأنعام ١٠٧ وأما الثانية فقد ذكرنا نظيرتها في سورة البقرة ١٠٩ قوله فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره

سورة هود عليه السلام
فصل في نزولها
روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنها مكية كلها وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس أنه قال هي مكية إلا آية وهي قوله أقم الصلاة طرفي النهار هود ١١٤ وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية كلها إلا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك هود ١٢ وقوله أولئك يومنون به هود ١٧ وقوله إن الحسنات يذهبن السيئات هود ١٤
وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله عجل إليك الشيب قال شيبتني هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير
فأما آلر فقد ذكرنا تفسيرها في سورة يونس
قال الفراء و كتاب مرفوع بالهجاء الذي قبله كأنك قلت حروف الهجاء هذا القرآن وإن شئت رفعته باضمار هذا كتاب والكتاب القرآن
وفي قوله أحكمت آياته أربعة أقوال
أحدها أحكمت فما تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع قاله ابن عباس واختاره ابن قتيبة
والثاني أحكمت بالأمر والنهي قاله الحسن وأبو العالية
والثالث أحكمت عن الباطل أي منعت قاله قتادة ومقاتل
والرابع أحكمت بمعنى جمعت قاله ابن زيد

فإن قيل كيف عم الآيات هاهنا بالإحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات آل عمران ٨ فعنه جوابان

أحدهما أن الإحكام الذي عم به هاهنا غير الذي خص به هناك

وفي معنى الإحكام العام خمسة أقوال قد أسلفنا منها أربعة في قوله أحكمت آياته

والخامس أنه إعجاز النظم والبلاغة وتضمين الحكم المعجزة

(٧٣/٤)

ومعنى الإحكام الخاص زوال اللبس واستواء السامعين في معرفة معنى الآية

والجواب الثاني أن الإحكام في الموضعين بمعنى واحد والمراد بقوله أحكمت آياته أحكم بعضها بالبيان الواضح ومنع الالتباس فأوقع العموم على معنى الخصوص كما تقول العرب قد أكلت طعام زيد يعنون بعض طعامه ويقولون قتلنا ورب الكعبة يعنون قتل بعضنا ذكر ذلك ابن الأنباري

وفي قوله ثم فصلت ستة أقوال

أحدها فصلت بالحلال والحرام رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني فصلت بالثواب والعقاب رواه جسر بن فرقد عن الحسن

والثالث فصلت بالوعد والوعيد رواه أبو بكر الهذلي عن الحسن أيضا

والرابع فصلت بمعنى فسرت قاله مجاهد

الخامس أنزلت شيئا بعد شيء ولم تنزل جملة ذكره ابن قتيبة

والسادس فصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد وتثبيت نبوة الأنبياء وإقامة الشرائع قاله الزجاج

قوله تعالى من لدن حكيم أي من عنده ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير

(٧٤/٤)

قوله تعالى ألا تعبدوا إلا الله قال الفراء المعنى فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله وأن استغفروا و أن في موضع النصب بالقائك الخافض

وقال الزجاج المعنى آمركم أن تعبدوا إلا الله وأن استغفروا

قال مقاتل والمراد بهذه العبادة التوحيد والخطاب لكفار مكة

قوله تعالى وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه فيه قولان

أحدهما أن الاستغفار والتوبة هاهنا من الشرك قاله مقاتل

والثاني استغفروه من الذنوب السالفة ثم توبوا إليه من المستأنفة متى وقعت وذكر عن الفراء أنه قال ثم هاهنا بمعنى الواو

قوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا قال ابن عباس يتفضل عليكم بالرزق والسعة وقال ابن قتيبة يعمركم

وأصل الإمتاع الإطالة يقال أمتع الله بك ومتع الله بك إمتاعا ومتاعا والشيء الطويل ماتع يقال جبل ماتع وقد متع النهار إذا تطاول

وفي المراد بالأجل المسمى قولان

أحدهما أنه الموت قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة

والثاني أنه يوم القيامة قاله سعيد بن جبير

قوله تعالى ويؤت كل ذي فضل فضله في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الله تعالى ثم في معنى الكلام قولان أحدهما ويؤت كل ذي فضل من حسنة وخير فضله وهو الجنة والثاني يؤتيه فضله من الهداية إلى العمل الصالح

والثاني أنها ترجع إلى العبد فيكون المعنى ويؤت كل من زاد في إحسانه

وطاعاته ثواب ذلك الفضل الذي زاده فيفضله في الدنيا بالمنزلة الرفيعة وفي الآخرة بالثواب الجزيل

قوله تعالى وإن تولوا أي تعرضوا عما أمرتم به وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وأبو مجلز وأبو رجاء وإن تولوا بضم التاء فإني أخاف عليكم فيه إضمار فقل واليوم الكبير يوم القيامة ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور

قوله تعالى ألا إنهم يثنون صدورهم في سبب نزولها خمسة أقوال

أحدها أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه و سلم ويحلف إنه ليحبه ويضمر خلاف ما يظهر له فنزلت فيه هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أنها نزلت في ناس كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء فنزلت فيهم هذه الآية رواه محمد بن عباد عن ابن عباس

والثالث أنها نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه و سلم ثنى صدره وظهره

وطأطأ راسه وغطى وجهه لئلا يراه رسول الله قاله عبد الله ابن شداد
والرابع أن طائفة من المشركين قالوا إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا

(٤/٧٦)

واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه و سلم كيف يعلم بنا فأخبر الله عما كتموا ذكر زجاج
والخامس أنها نزلت في قوم كانوا لشدة عداوتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا سمعوا منه القرآن حنوا صدورهم ونكسوا رؤوسهم وتغشوا ثيابهم ليبعد عنهم صوت رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا يدخل أسماعهم شيء من القرآن ذكره ابن الأنباري
قوله تعالى يثنون صدورهم يقال ثنيت الشيء إذا عطفته وطويته وفي معنى الكلام خمسة أقوال
أحدها يكتمون ما فيها من العداوة لمحمد صلى الله عليه و سلم قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني يثنون صدورهم على الكفر قاله مجاهد
والثالث يحنونها لئلا يسمعوا كتاب الله قاله قتادة
والرابع يثنونها إذا ناجى بعضهم بعضا في أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله ابن زيد
والخامس يثنونها حياء من الله تعالى وهو يخرج على ما حكينا عن ابن عباس قال ابن الأنباري وكان ابن عباس يقرؤها ألا إنهم تثنوني صدورهم وفسرها أن ناسا كانوا يستحيون أن يفضوا إلى السماء في الخلاء ومجامعة النساء فتثنوني تفعوعل وهو فعل للصدور معناه المبالغة في تثني الصدور كما تقول العرب احلولى الشيء يحلولي إذا بالغوا في وصفه بالحلاوة قال عنترة ... ألا قاتل الله الطلول البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٤/٧٧)

وقولك للشيء الذي لا تناله ... إذا ما هو احلولي ألا ليت ذا ليا ...
فعلى هذا القول هو في حق المؤمنين وعلى بقية الأقوال هو في حق المنافقين وقد خرج من هذه الأقوال في معنى يثنون صدورهم قولان أحدهما أنه حقيقة في الصدور والثاني أنه كتمان ما فيها
قوله تعالى ليستخفوا منه في هاء منه قولان أحدهما أنها ترجع إلى الله تعالى والثاني إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم
قوله تعالى ألا حين يستغشون ثيابهم قال أبو عبيدة العرب تدخل ألا توكيدا وإيجابا وتنبيها قال ابن

قتيبة يستغشون ثيابهم أي يتغشونها ويستترون بها قال قتادة أخفى ما يكون ابن آدم إذا حنى ظهره واشتغشى ثيابه وأضمر همه في نفسه قال ابن الأنباري أعلم الله أنه يعلم سرائرهم كما يعلم مظهراتهم قوله تعالى إنه عليم بذات الصدور وقد شرحنا في آل عمران ١١٩ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفورا إن هذا إلا سحر مبين

قوله تعالى وما من دابة في الأرض قال أبو عبيدة من من حروف الزوائد والمعنى وما دابة والدابة اسم لكل حيوان يدب وقوله إلا على الله رزقها قال العلماء فضلا منه لا وجوبا عليه و على هاهنا بمعنى من وقد ذكرنا المستقر والمستودع في سورة الأنعام ٦٧

(٧٨/٤)

قوله تعالى كل في كتاب أي ذلك عند الله في اللوح المحفوظ هذا قول المفسرين وقال الزجاج المعنى ذلك ثابت في علم الله عز و جل

قوله تعالى وكان عرشه على الماء قال ابن عباس عرشه سريره وكان الماء إذ كان العرش عليه على الريح قال قتادة ذلك قبل أن يخلق السموات والأرض

قوله تعالى ليبلوكم أي ليختبركم الاختبار الذي يجازي عليه فيثيت المعتبر بما يرى من آيات السموات والأرض ويعاقب أهل العناد

قوله تعالى أيكم أحسن عملا فيه أربعة أقوال أحدها أيكم أحسن عقلا وأورع من محارم الله عز و جل وأسرع في طاعة الله رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم والثاني أيكم أعمل بطاعة الله قاله ابن عباس والثالث أيكم أتم عقلا قاله قتادة والرابع أيكم أزهد في الدنيا قاله الحسن وسفيان

قوله تعالى إن هذا إلا سحر مبين قال الزجاج السحر باطل عندهم فكأنهم قالوا إن هذا إلا باطل بين فأعلمهم الله تعالى أن القدرة على خلق السموات والأرض تدل على بعث الموتآ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا يستهزؤون

(٧٩/٤)

قوله تعالى ولئن أخرنا عنهم العذاب قال المفسرون هؤلاء كفار مكة والمراد بالأمة المعدودة الأجل المعلوم والمعنى إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها ليقولن ما يحبسه وإنما قالوا ذلك تكذيبا واستهزاء قوله تعالى ألا يوم يأتيهم وقال ليس مصروفا عنهم وقال بعضهم لا يصرف عنهم العذاب إذا أتاهم وقال آخرون إذا أخذتهم سيوف رسول الله صلى الله عليه و سلم لم تغمد عنهم حتى يباد أهل الكفر وتعلوا كلمة الإخلاص

قوله تعالى وحاق بهم قال أبو عبيدة نزل بهم وأصابهم

وفي قوله ما كانوا به يستهزؤن قولان أحدهما انه الرسول والكتاب قاله أبو صالح عن ابن عباس فيكون المعنى حاق بهم جزاء استهزائهم والثاني أنه العذاب كانوا يستهزئون بقولهم ما يحسبه وهذا قول مقاتل ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور

قوله تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

أحدها أنها نزلت في الوليد بن المغيرة قاله ابن عباس والثاني في عبد الله بن أبي أمية المخزومي ذكره الواحدي والثالث أن الإنسان هاهنا اسم جنس والمعنى ولئن أذقنا الناس قاله الزجاج والمراد بالرحمة النعمة من العافية والمال والولد واليؤوس القنوط قال أبو عبيدة هو فعول من يئست قال مقاتل إنه ليؤوس عند الشدة من الخير كفور لله في نعمه في الرخاء ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور

قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء قال ابن عباس صحة وسعة في الرزق

بعد ضراء مسته بعد مرض وفقر ليقولن ذهب السيئات عني يريد الضر والفقر إنه لفرح أي بطر فخور قال ابن عباس يفاخر أوليائي بما أوسعت عليه

فإن قيل ما وجه عيب الإنسان في قوله ذهب السيئات عني وما وجه ذمه على الفرح وقد وصف الله الشهداء فقال فرحين

فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال إنما عابه بقوله ذهب السيئات عني لأنه لم يعترف بنعمة الله ولم يحمده على ما صرف عنه وإنما ذمه بهذا الفرح لأنه يرجع إلى معنى المرح والتكبر عن طاعة الله قال الشاعر ... ولا ينسيني الحدثان عرضي ... ولا ألقي من الفرح الإزارا ...

يعني من المرح وفرح الشهداء فرح لا كبر فيه ولا خيلاء بل هو مقرون بالشكر فهو مستحسن إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير

قوله تعالى إلا الذين صبروا قال الفراء هذا الاستثناء من الإنسان لأنه في معنى الناس كقوله إن الإنسان

لفي خسر إلا الذين آمنوا العصر ٢٤ وقال الزجاج هذا استثناء ليس من الأول والمعنى لكن الذين صبروا قال ابن عباس الوصف الأول للكافر والذين صبروا أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم

(٨١/٤)

فلعلك تارك بعض ما يوحي إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل

قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم أئت بقرآن غير هذا أو بدله يونس ١٥ فهم النبي صلى الله عليه و سلم أن لا يسمعهم عيب آلهتهم رجاء أن يتبعوه فنزلت هذه الآية قاله مقاتل وفي معنى الآية قولان أحدهما فلعلك تارع تبليغ بعض ما يوحى إليك من أمر الآلهة وضائق بما كلفته من ذلك صدرك خشية أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز والثاني فلعلك لعظيم ما يرد على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك فأما الضائق فهو بمعنى الضيق قال الزجاج ومعنى أن يقولوا كراهية أن يقولوا وإنما عليك أن تنذرهم بما يوحى إليك وليس عليك أن تأتيهم باقتراحهم من الآيات

قوله تعالى والله على كل شيء وكيل فيه قولان أحدهما أنه الحافظ والثاني الشهيد وقد ذكرناه في آل عمرا ١٧٣ أم يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فالم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون

قوله تعالى أم يقولون افتراه أم بمعنى بل و افتراه أتى به من قبل نفسه قل فأتوا أنتم في معارضتي بعشر سور مثله في البلاغة

(٨٢/٤)

مفتريات بزعمكم ودعواكم وادعوا من استطعتم من دون الله إلى المعاونة على المعارضة إن كنتم صادقين في قولكم افتراه

فإن لم يستجيبوا لكم أي يجيبوكم إلى المعارضة فقد مات الحجة عليهم لكم

فإن قيل كيف وحد القول في قوله قل فأتوا ثم جمع في قوله فإن لم يستجيبوا لكم فعنه جوابان أحدهما أن الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم وحده في الموضعين فيكون الخطاب له بقوله لكم تعظيما لأن خطاب الواحد بلفظ الجميع تعظيم هذا قول المفسرين والثاني أنه وحد في الأول لخطاب النبي صلى الله عليه و سلم وجمع في الثاني لمخاطبة النبي صلى الله عليه و سلم وأصحابه قاله ابن الأنباري

قوله تعالى فاعلموا أنما أنزل بعلم الله فيه قولان أحدهما أنزله وهو عالم بانزاله وعالم بأنه حق من عنده والثاني أنزله بما أخبر فيه من الغيب ودل على ما سيكون وما سلف ذكرهما الزجاج

قوله تعالى وأن لا إله إلا هو أي واعلموا ذلك فهل أنتم مسلمون استفهام بمعنى الأمر وفيمن خوطب به قولان أحدهما أهل مكة ومعنى إسلامهم إخلاصهم لله العبادة قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله مجاهد من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون

قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها اختلفوا فيمن نزلت على

أربعة أقوال أحدها أنها عامة في جميع الخلق وهو قول الأكثرين والثاني أنها في أهل القبلة قاله أبو صالح عن ابن عباس والثالث أنها في اليهود والنصارى قاله أنس والرابع أنها في أهل الرياء قاله مجاهد وروى عطاء عن ابن عباس من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء وقال غيره إنما هي في الكافر لأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة

قوله تعالى نوف إليهم أعمالهم أي أجور أعمالهم فيها قال سعيد ابن جبير أعطوا ثواب ما عملوا من خير في الدنيا وقال مجاهد من عمل عملا من صلة أو صدقة لا يريد به وجه الله أعطاه الله ثواب ذلك في الدنيا ويدرأ به عنه في الدنيا

قوله تعالى وهم فيها قال ابن عباس أي في الدنيا لا يبخسون أي لا ينقصون من أعمالهم في الدنيا شيئا أولئك الذين عملوا لغير الله ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا أي ما عملوا في الدنيا من حسنة وباطل ما كانوا لغير الله يعلمون

فصل

وذكر قوم من المفسرين منهم مقاتل أن هذه الآية اقتضت أن من أراد الدنيا بعمله أعطي فيا ثواب عمله من الرزق والخير ثم نسخ ذلك بقوله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاسراء ١٨ وهذا لا يصح لأنه لا يوفي إلا لمن يريد

أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين

قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه في المراد بالبينة أربعة أقوال

أحدها أنها الدين قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني أنها رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله الضحاك والثالث القرآن قاله ابن زيد والرابع البيان قاله مقاتل وفي المشار إليه ب من قولان

أحدهما أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله ابن عباس والجمهور والثاني أنهم المسلمون وهو يخرج على قول الضحاك وفي قوله ويتلوه قولان

أحدهما يتبعه والثاني يقرؤه وفي هاء يتلوه قولان

أحدهما أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم والثاني إلى القرآن وقد سبق ذكره في قوله فأتوا بعشر سور مثله مفتريات هود ١٣

وفي المراد بالشاهد ثمانية أقوال

أحدها أنه جبريل قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وإبراهيم في آخرين

والثاني أنه لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي كان يتلو القرآن قاله علي بن أبي طالب والحسن وقتادة في آخرين

والثالث أنه علي بن أبي طالب و يتلوه بمعنى يتبعه رواه جماعة عن علي بن أبي طالب وبه قال محمد بن علي وزيد بن علي

والرابع أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم هو شاهد من الله تعالى قاله الحسين بن علي عليه السلام

والخامس أنه ملك يحفظه ويسدده قاله مجاهد

والسادس أنه الإنجيل يتلو القرآن بالتصديق وإن كان قد أنزل قبله لأن النبي صلى الله عليه و سلم بشرت به التوراة قاله الفراء

والسابع أنه القرآن ونظمه وإعجازه قاله الحسين بن الفضل

والثامن أنه صورة رسول الله صلى الله عليه و سلم ووجهه ومخايله لأن كل عاقل نظر إليه علم أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم

وفي هاء منه ثلاثة أقوال أحدها أنها ترجع إلى الله تعالى والثاني إلى النبي صلى الله عليه و سلم والثالث

إلى البينة
قوله تعالى ومن قبله في هذه الهاء ثلاثة أقوال
أحدها أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم قاله مجاهد والثاني إلى القرآن قاله ابن زيد والثالث إلى الإنجيل أي ومن قبل الإنجيل كتاب موسى يتبع محمدا بالتصديق له ذكره ابن الأنباري قال الزجاج والمعنى وكان من قبل هذا كتاب موسى دليلا على أمر النبي صلى الله عليه و سلم فيكون كتاب موسى عطفا على قوله ويتلو شاهد منه أي ويتلوه كتاب موسى لأن موسى وعيسى بشرا بالنبي صلى الله عليه و سلم في التوراة والإنجيل ونصب إماما على الحال
فإن قيل كيف تتلوه التوراة وهي قبله

(٤/٨٦)

قيل لما بشرت به كانت كأنها تاليه له لأنها تبعته بالتصديق له
وقال ابن الأنباري كتاب موسى مفعول في المعنى لأن جبريل تلاه على موسى فارتفع الكتاب وهو مفعول بمضمر بعده تأويله ومن قبله كتاب موسى كذاك أي تلاه جبريل أيضا كما تقول العرب أكرمت أخاك وأبوك فيرفعون الأب وهو مكرم على الاستئناف بمعنى وأبوك مكرم أيضا قال وذهب قوم إلى أن كتاب موسى فاعل لأنه تلا محمدا بالتصديق كما تلاه الإنجيل
فصل
فتلخيص الآية أفمن كان على بينة من ربه كمن لم يكن قال الزجاج ترك المضاد له لأن في ما بعده دليلا عليه وهو قوله مثل الفريقين كالأعمى والأصم هود ٢٤ وقال ابن قتيبة لما ذكر قبل هذه الآية قوما ركنوا إلى الدنيا جاء بهذه الآية وتقدير الكلام أفمن كانت هذه حاله كمن يريد الدنيا فاكتفى من الجواب بما تقدم إذ كان فيه دليل عليه وقال ابن الأنباري إنما حذف لانكشاف المعنى والمحذوف المقدر كثير في القرآن والشعر قال الشاعر ... فأقسم لو شيء أتانا رسوله ... سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

(٤/٨٧)

فإن قلنا إن المراد بمن كان على بينة ربه رسول الله صلى الله عليه و سلم فمعنى الآية ويتبع هذا النبي شاهد وهو جبريل عليه السلام منه أي من الله وقيل شاهد هو علي بن أبي طالب منه أي من النبي صلى الله عليه و سلم وقيل يتلوه يعني القرآن يتلوه جبريل وهو شاهد لمحمد صلى الله عليه و سلم أن الذي يتلوه جاء من عند الله تعالى وقيل ويتلو رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن وهو شاهد من الله وقيل

ويتلو لسان رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن فلسانه شاهد منه وقيل ويتبع محمدا شاهد له بالتصديق وهو الإنجيل من الله تعالى وقيل ويتبع هذا النبي شاهد من نفسه وهو سمته وهديه الدال على صدقه وإن قلنا إن المراد بمن كان على بينة من ربه المسلمون فالمعنى أنهم يتبعون رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو البينة ويتبع هذا النبي شاهد له بصدقه

قوله تعالى إماما ورحمة إنما سماه إماما لأنه كان يهتدى به ورحمة أي وذا رحمة وأراد بذلك التوراة لأنها كانت إماما وسببا لرحمة من آمن بها

قوله تعالى أولئك فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه إشارة إلى أصحاب موسى والثاني إلى أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم والثالث إلى أهل الحق من أمة موسى وعيسى ومحمد

وفي هاء به ثلاثة اقوال أحدها أنها ترجع إلى التوراة والثاني إلى القرآن والثالث إلى محمد صلى الله عليه و سلم

وفي المراد بالأحزاب هاهنا أربعة أقوال أحدها جميع الملل قال سعيد بن جبير والثاني اليهود والنصارى قاله قتادة والثالث قريش قاله السدي والرابع بنو أمية وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي وآل أبي طلحة بن العزي قاله مقاتل

قوله تعالى فالنار موعده أي إليها مصيره قال حسان بن ثابت ... أوردتموها حياض الموت ضاحية ... فالنار موعدها والموت لا قيها ...

قوله تعالى فلا تك في مرية منه قرأ الحسن وقتادة مرية بضم الميم أين وقع وفي المكني عنه قولان أحدهما أنه الإخبار بمصير الكافر به فالمعنى فلا تك في شك أن موعد المكذب به النار وهذا قول ابن عباس

والثاني أنه القرآن فالمعنى فلا تك في شك من أن القرآن من الله تعالى قاله مقاتل قال ابن عباس والمراد بالناس هاهنا أهل مكة

قوله تعالى أولئك يعرضون على ربهم قال الزجاج ذكر عرضهم توكيدا لحالهم في الانتقام منهم وإن كان غيرهم يعرض أيضا

فأما الأشهاد ففيهم خمسة أقوال أحدها أنهم الرسل قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني الملائكة قاله مجاهد وقتادة والثالث الخلائق روي عن قتادة ايضا وقال مقاتل الأشهاد الناس كما يقال على رؤوس الأشهاد أي على رؤوس الناس والرابع الملائكة والنبيون وأمة محمد صلى الله عليه و سلم يشهدون

على الناس والجوارح تشهد على ابن آدم قاله ابن زيد والخامس الأنبياء والمؤمنون قاله الزجاج قال ابن الأنباري وفائدة إخبار الأشهاد بما يعلمه الله تعظيم بالأمر المشهود عليه ودفع المجاحدة فيه الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون

(٨٩/٤)

قوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله قد تقدم تفسيرها في الأعراف ٤٥
قوله تعالى وهم بالآخرة هم كافرون قال الزجاج ذكرت هم ثانية على جهة التوكيد لشأنهم في الكفر أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
قوله تعالى أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض قال ابن عباس لم يعجزوني أن آمر الأرض فتخسف بهم وما كان لهم من دون الله من أولياء أي لا ولي لهم ممن يعبدون يمنعهم مني وقال ابن الأنباري لما كانت عادة العرب جارية بقولهم لا وزر لك مني ولا نفق يعنون بالوزر الجبل والنفق السرب وكلاهما يلجأ إليه الخائف أعلم الله تعالى أن هؤلاء الكافرين لا يسبقونه هربا ولا يجدون ما يحجز بينهم وبين عذابه من جميع ما يستر من الأرض ويلجأ إليه قال وقوله من أولياء يقتضي محذوفا تلخيصه من أولياء يمنعونهم من عذاب الله فحذف هذا لشهرته
قوله تعالى يضاعف لهم العذاب يعني الرؤساء الصادين عن سبيل الله وذلك لإضلالهم أتباعهم واقتداء غيرهم بهم وقال الزجاج لم يكونوا معجزين في الأرض أي في دار الدنيا ولا لهم ولي يمنع من انتقام الله ثم استأنف يضاعف لهم العذاب لعظم كفرهم بنبيه وبالبعث والنشور
قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع فيمن عني بهذا قولان
أحدهما أنهم الكفار ثم في معناه ثلاثة أقوال أحدها أنهم لم يقدروا

(٩٠/٤)

على استماع الخير وإبصار الحق وفعل الطاعة لأن الله تعالى حال بينهم وبين ذلك هذا معنى قول ابن عباس ومقاتل والثاني أن المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ولا يسمعونه وبما كانوا يبصرون حجج الله ولا يعتبرون بها فحذف الباء كما تقول العرب لأجزينك ما عملت وبما عملت ذكره الفراء وأنشد ابن الأنباري في الاحتاج له ... نغالي اللحم للأضياف نيئا ... ونبذله إذا نضج القدور ... أراد نغالي باللحم والثالث أنهم من شدة كفرهم وعداوتهم للنبي صلى الله عليه و سلم ما كانوا

يستطيعون أن يتفهموا ما يقول قاله الزجاج
والقول الثاني أنهم الأصنام فالمعنى ما كان للآلهة سمع ولا بصر فلم تستطع لذلك السمع ولم تكن تبصر فعلى هذا يرجع قوله ما كانوا إلى أوليائهم وهي الأصنام وهذا المعنى منقول عن ابن عباس أيضا لا جرم أنهم في الآخرة هم الأحسرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون قوله تعالى لا جرم قال ابن عباس يريد حقا إنهم الأخسرون وقال الفراء لا جرم كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد ولا محالة فجرت على ذلك وكثر استعمالهم إياها حتى صارت بمنزلة حقا ألا ترى أن العرب تقول لا جرم لآتينك لا جرم لقد أحسنت وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب قال الزجاج ومعنى لا جرم لا نفي لما ظنوا أنه ينفعهم

(٤/٩١)

كأن المعنى لا ينفعهم ذلك جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون أي كسب لهم ذلك الفعل الخسران وذكر ابن الأنباري أن لا رد على أهل الكفر فيما قدروه من اندفاع الشر عنهم في الآخرة والمعنى لا يندفع عنهم عذابي ولا يجدون وليا يصرف عنهم نقمتي ثم ابتدأ مستأنفا جرم قال وفيها قولان أحدهما أنها بمعنى كسب كفرهم وما قدروا من الباطل وقوع العذاب بهم ف جرم فعل ماض معناه كسب وفاعله مضمر فيه من ذكر الكفر وتقرير الباطل
والثاني أن معنى جرم أحق وصحح وهو فعل ماض وفاعله مضمر فيه والمعنى أحق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم قال الشاعر ... ولقد طعنت أبا عيينة طعنة ... جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ... أراد حقت الطعنة فزارة بالغضب ومن العرب من يغير لفظ جرم مع لا خاصة فيقول بعضهم لا جرم ويقول آخرون لا جر باسقاط الميم ويقال لاذا جرم و لاذا جر بغير ميم و لا إن ذا جرم و لا عن ذا جرم ومعنى اللغات كلها حقا
قوله تعالى واخبتوا إلى ربهم فيه سبعة أقوال
أحدها خافوا ربهم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس والثاني أنابوا إلى ربهم رواه العوفي عن ابن عباس والثالث ثابوا إلى ربهم قاله قتادة

(٤/٩٢)

والرابع اطمأنوا قاله مجاهد والخامس أخلصوا قاله مقاتل والسادس تخشعوا لربهم قاله الفراء والسابع تواضعوا لربهم قاله ابن قتيبة

فإن قيل لم أوثرت إلى على اللام في قوله واخبتوا إلى ربهم والعادة جارية بأن يقال أخبتوا لربهم فالجواب أن المعنى وجهوا خوفهم وخشوعهم وإخلاصهم إلى ربهم واطمأنوا إلى ربهم قال الفراء وربما جعلت العرب إلى في موضع اللام كقوله بأن ربك أوحى لها الزلزال ٥ وقوله الذي هدانا لهذا الأعراف ٤٣ وقد يجوز في العربية فلان يخبت إلى الله يريد يفعل ذلك موجهه إلى الله قال بعض المفسرين هذه الآية نازلة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وما قبلها نازل في المشركين ثم ضرب للفريقين مثلا فقال مثل الفريقين كالأعمى والأصم قال مجاهد الفريقان المؤمن والكافر فأما الأعمى والأصم فهو الكافر وأما البصير والسميع فهو المؤمن قال قتادة الكافر عمي عن الحق وصم عنه والمؤمن أبصر الحق وسمعه ثم انتفع به وقال أبو عبيدة في الكلام ضمير تقديره مثل الفريقين كمثل الأعمى وقال الزجاج مثل الفريقين المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأنهم في عداوتهم وتركهم للفهم بمنزلة من لايسمع ولا يبصر

قوله تعالى هل يستويان مثلا أي هل يستويان في المشابهة

والمعنى كما لا يستويان عندكم كذلك لا يستوي المؤمن والكافر عند الله وقال أبو عبيدة هل هاهنا بمعنى الإيجاب لا بمعنى الاستفهام والمعنى لا يستويان قال الفراء وإنما لم يقل يستوون لأن الأعمى والأصم من

صفة واحد والسميع والبصير من صفة واحد كقول القائل مررت بالعاقل واللبيب وهو يعني واحدا قال الشاعر ... وما أدري إذا يممت أرضا ... أريد الخير أيهما يليني ...

فقال أيهما وإنما ذكر الخير وحده لأن المعنى يعرف إذ المبتغي للخير متق للشر وقال ابن الأنباري الأعمى والأصم صفتان لكافر والسميع والبصير صفتان لمؤمن فرد الفعل إلى الموصوفين بالأوصاف الأربعة كما تقول العاقل والعالم والظالم والجاهل حضرا مجلسي فتثني الخبر بعد ذكرك أربعة لأن الموصوف بالعلم هو الموصوف بالعقل وكذلك المنعوت بالجهل هو المنعوت بالظلم فلما كان المنعوتان اثنين رجع الخبر إليهما ولم يلتفت إلى تفريق الأوصاف ألا ترى أنه يسوغ أن تقول الأديب واللبيب والكريم والجميل قصدني فتوحد الفعل بعد أوصاف لعلة أن الموصوف بهن واحد ولا يمتنع عطف النعوت على النعوت بحروف العطف والموصوف واحد فقد قال تعالى التائبون العابدون بالتوبه ١١٢ ثم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فلم يقتض دخول الواو وقوع خلاف بين الآمرين

والناهين وقد قيل الآمر بالمعروف ناه عن المنكر في حال أمره وكان دخول الواو دلالة على الآمر بالمعروف لأن الأمر بالمعروف لا ينفرد دون النهي عن المنكر كما ينفرد الحامدون بالحمد دون السائحين والسائحون بالسياحة دون الحامدين ويدل أيضا على أن العرب تنسق النعت على النعت والمنعوت واحد كقول الشاعر يخاطب سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان

(٤/٩٤)

يظن سعيد وابن عمرو بأنني ... إذا سامني ذلا أكون به أرضى ...

فنسق ابن عمرو على سعيد وهو سعيد ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نريك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ويا قوم لا أسئلكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أريكم قوما تجهلون

قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه أني قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي أني بفتح الألف والتقدير أرسلناه بأني وكأن الوجه بأنه لهم نذير ولكنه على الرجوع من الإخبار عن الغائب إلى خطاب نوح قومه وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة إني بكسر الألف فحملوه على القول المضمر والتقدير فقال لهم إني لكم نذير

قوله تعالى ما نراك إلا بشرا مثلنا أي إنسانا مثلنا لا فضل لك علينا فأما الأراذل فقال ابن عباس هم السفلة وقال ابن قتيبة هم جمع أرذل يقال رجل رذل وقد رذل رذالة ورذولة ومعنى الأراذل الشرار

قوله تعالى بادي الرأي قرأ الأكثرون بادي بغير همز وقرأ

(٤/٩٥)

أبو عمرو بالهمز بعد الدال وكلهم همز الرأي غير أبي عمرو وللعلماء في معنى بادي إذا لم يهمز ثلاثة أقوال

أحدها أن المعنى ما نرى أتباعك إلى سفلتنا وأرذالنا في بادي الرأي لكل ناظر يعنون أن ما وصفناهم به من النقص لا يخفى على أحد فيخالفنا هذا مذهب مقاتل في آخرين

والثاني أن المعنى أن هؤلاء القوم اتبعوك في ظاهر ما يرى منهم وطويتهم على خلافك

والثالث أن المعنى اتبعوك في ظاهر رأيهم ولم يتدبروا ما قلت ولو رجعوا إلى التفكر لم يتبعوك ذكر هذين القولين الزجاج قال ابن الأنباري وهذه الثلاثة الأقوال على قراءة من لم يهمز لأنه من بدا يبدو إذا ظهر فأما من همز بادئ فمعناه ابتداء الرأي أي اتبعوك أول ما ابتدؤوا ينظرون ولو فكروا لم يعدلوا عن موافقتنا في تكذيبك

قوله تعالى ومانرى لكم علينا من فضل فيه ثلاثة أقوال

أحدها من فضل في الخلق قاله ابن عباس والثاني في الملك والمال ونحو ذلك قاله مقاتل والثالث ما فضلتم باتباعكم نوحا ومخالفتكم لنا بفضيلة نتبعكم طلبا لها ذكره أبو سليمان الدمشقي

قوله تعالى بل نظنكم كاذبين فيه قولان

أحدهما نتيقنكم قاله الكلبي والثاني نحسبكم قاله مقاتل

قوله تعالى ارأيتم إن كنت على بينة من ربي أي على يقين وبصيرة قال ابن الأنباري وقوله إن كنت شرط لا يوجب شكا يلحقه لكن

الشك يلحق المخاطبين من أهل الزيغ فتقديره إن كنت على بينة من ربي عندكم وآتاني رحمة من عنده فيها قولان

أحدهما أنها النبوة قاله ابن عباس والثاني الهداية قاله مقاتل

قوله تعالى فعميت عليكم قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم فعميت بتخفيف الميم وفتح العين قال ابن قتيبة والمعنى عميتم عنها يقال عمي علي هذا الأمر إذا لم أفهمه وعميت عنه بمعنى قال الفراء وهذا مما حولت العرب الفعل إليه وهو في الأصل لغيره كقولهم دخل الخاتم في يدي والخف في رجلي وإنما الإصبع تدخل في الخاتم والرجل في الخف واستجازوا ذلك إذ كان المعنى معروفا وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم فعميت بضم العين وتشديد الميم قال ابن الأنباري ومعنى ذلك فعماها الله عليكم إذ كنتم ممن حكم عليه بالشقاء وكذلك قرأ أبي بن كعب والأعمش فعماها عليكم

وفي المشار إليها قولان أحدهما البينة والثاني الرحمة

قوله تعالى أنلزمكموها أي أنلزمكم قبولها وهذا استفهام معناه الإنكار يقول لا نقدر أن نلزمكم من ذات أنفسنا قال قتادة والله لو استطاع نبي الله صلى الله عليه و سلم لألزمها قومه ولكن لم يملك ذلك وقيل كان مراد نوح عليه السلام رد قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فبين فضله وفضل من آمن به بأنه على بينة من ربه وقد آتاه رحمة من عنده وسلب المكذبون ذلك

قوله تعالى لا أسألكم عليه أي على نصحي ودعائي إياكم مالا فتتهموني وقال ابن الأنباري لما كانت الرحمة بمعنى الهدى والإيمان جاز تذكيرها

(٤/٩٧)

قوله تعالى وما أنا بطارد الذين آمنوا قال ابن جريج سألوه طردهم أنفة منهم فقال لا يجوز لي طردهم إذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بإيمانهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وصغر شؤونهم

وفي قوله ولكني أراكم قوما تجهلون قولان

أحدهما تجهلون أن هذا الأمر من الله تعالى قاله ابن عباس

والثاني تجهلون لأمركم إياي بطرد المؤمنين قاله أبو سليمان و ياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون

قوله تعالى ويا قوم من ينصرني اي من يمنعني من عذاب الله إن طردتهم

قوله تعالى ولا أقول لكم عندي خزائن الله قال ابن الأنباري أراد بالخزائن علم الغيب المطوي عن الخلق لأنهم قالوا له إنما اتبعك هؤلاء في الظاهر وليسوا معك فقال لهم ليس عندي خزائن غيوب الله فأعلم ما تنطوي عليه الضمائر وإنما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم قال سفيان بن عيينة إنما آيات القرآن خزائن فإذا دخلت خزانة فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها

(٤/٩٨)

قوله تعالى ولا أعلم الغيب قيل إنما قال لهم هذا لأن أرضهم أجدبت فسألوه متى يجيء المطر وقل بل سالوه متى يجيء العذاب فقال ولا أعلم الغيب وقوله ولا أقول إني ملك جواب لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا هود ٢٧ و ولا أقول للذين تزدري أعينكم أي تحتقر وتستصغر المؤمنين قال الزجاج تزدري تستقل وتستخس يقال زريت على الرجل إذا عبت عليه وخسست فعله وأزريت به إذا قصرت به وأصل تزدري تزتري إلا أن هذه التاء تبدل بعد الزاي دالا لأن التاء من حروف الهمس وحروف الهمس خفية فالتاء بعد الزاي تخفى فأبدلت منها الدال لجهرها

قوله تعالى لن يؤتيهم الله خيرا قال ابن عباس إيمانا ومعنى الكلام ليس لي أن أطلع على ما في نفوسهم

فأقطع عليهم بشيء وليس لاحتقاركم إياهم يبطل أجرهم إني إذا لمن الظالمين إن قلت هذا الذي تقدم ذكره وقيل إن طردتهم

قوله تعالى قد جادلتنا قال الزجاج الجدال هو المبالغة في الخصومة والمناظرة وهو مأخوذ من الجدل وهو شدة الفتل ويقال للصقر أجدل لأنه من أشد الطير ويقرأ فأكثرت جدلنا

قوله تعالى فائتنا بما تعدنا قال ابن عباس يعنون العذاب إن كنت من الصادقين أنه يأتينا

قوله تعالى إن أردت أن أنصح لكم أي أنصحكم وفي هذه الآية شرطان فجواب الأول النصح وجواب الثاني النفع

قوله تعالى إن كان الله يريد أن يغويكم فيه ثلاثة أقوال

(٤/٩٩)

أحدها يضلكم قاله ابن عباس والثاني يهلككم حكاه ابن الأنباري وقال هو قول مرغوب عنه الثالث يضلكم ويهلككم قاله الزجاج

قوله تعالى هو ربكم أي هو أولى بكم يتصرف في ملكه كما يشاء وإليه ترجعون بعد الموت أم يقولون افتريه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون

قوله تعالى أم يقولون قال الزجاج المعنى أيقولون افتراه قال ابن قتيبة الافتراء الاختلاق فعلي إجرامي أي جرم ذلك الاختلاق إن كنت فعلت وأنا بريء مما تجرمون في التكذيب وقرأ أبو المتوكل وابن السميفع فعلي أجرامي بفتح الهمزة وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون

قوله تعالى وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن قال المفسرون لما أوحي إليه هذا استجاز الدعاء عليهم فقال لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا نوح ٢٦

قوله تعالى فلا تبتئس قال ابن عباس ومجاهد لا تحزن وقال الفراء والزجاج لا تستكن ولا تحزن قال أبو صالح عن ابن عباس فلا تحزن إذا نزل بهم الغرق بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ

(٤/١٠٠)

من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

قوله تعالى واصنع الفلك أي واعمل السفينة

وفي قوله بأعيننا ثلاثة أقوال أحدها بمرأى منا قاله ابن عباس والثاني بحفظنا قاله الربيع
والثالث بعلمنا قاله مقاتل قال ابن الأ نباري إ نما جمع على مذهب العرب في إيقاعها الجمع على الواحد تقول خرجنا إلى البصرة في السفن وإنما جمع لأن من عادة الملك أن يقول أمرنا ونهينا
وفي قوله ووحينا قولان أحدهما وأمرنا لك أن تصنعها والثاني وبتعليمنا إياك كيف تصنعها
قوله تعالى ولاتخاطبني في الذين ظلموا فيه قولان أحدهما لاتسألني الصفح عنهم والثاني لاتخاطبني في إمهالهم
وإنما نهي عن الخطاب في ذلك صيانة له عن سؤال لا يجاب فيه
الإشارة إلى كيفية عمل السفينة
روى الضحاك عن ابن عباس قال كان نوح يضرب ثم يلف في لبد فيلقى في بيته يرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى إذا يئس من إيمان قومه جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر هذا الشيخ لايغررك قال ياأبت أمكني من العصا فأخذها فضربه ضربة شجة

موضحة وسالت الدماء على وجهه فقال رب قد ترى مايفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم وإلا فصبرني إلى أن تحكم فأوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن إلى قوله واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه الماء أنجي فيه أهل طاعتي وأغرق أهل معصيتي قال يارب وأين الماء قال إني على ما أشاء قدير قال يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج عشرين سنة وكف عن دعائهم وكفوا عنه إلا أنهم يستهزؤن به فلما أدرك الشجر أمره ربه فقطعه وجففه ولفقه فقال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله على ثلاث صور رأسه كرأس الطاووس وجؤجؤه كجؤجؤ الطائر وذنبه كذنب الديك واجعلها مطبقة وبعث الله إليه جبريل يعلمه وأوحى إليه أن عجل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني فاستأجر نجارين يعملون معه وسام وحام ويافث معه ينحتون السفينة فجعل طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلاثمائة وثلاثين ذراعا وعلوها ثلاثا وثلاثين وفجر الله له عين القار تغلي غليانا حتى طلاها
وعن ابن عباس قال جعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن الأول الوحوش والسباع والهوام وفي الأوسط الدواب والأنعام وركب وهو ومن معه البطن الأعلى
وروي عن الحسن أنه قال كانت سفينة نوح طولها ألف ذراع ومائتا ذراع وعرضها ستمائة ذراع
وقال قتادة كانت

فيما ذكر لنا طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسمائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراعا
وقال ابن جريج كان طولها ثلاثمائة ذراع وفرضها خمسين ومائة ذراع وطولها في السماء ثلاثون ذراع
وكان في أعلاها الطيروفي وسطها الناس وفي أسفلها السباع وزعم مقاتل أنه عمل السفينة في أربعمائة سنة
قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فيه قولان أحدهما أنهم رأوه يبني السفينة وما رأوا سفينة قط فكانوا يسخرون ويقولون صرت بعد النبوة نجارا وهذا قول ابن إسحاق
والثاني أنهم قالوا له ما تصنع فقال أبني بيتا يمشي على الماء فسخروا من قوله وهذا قول مقاتل
وفي قوله إن تسخروا منا فانا نسخر منكم خمسة أقوال أحدها إن تسخروا من قولنا فانا نسخر من غفلتكم
والثاني إن تسخروا من فعلنا عند بناء السفينة فانا نسخر منكم عند الغرق ذكره المفسرون
والثالث إن تسخروا منا في الدنيا فانا نسخر منكم في الآخرة قاله ابن جرير
والرابع إن تستجهلونا فانا نستجهلكم قاله الزجاج
والخامس إن تسخروا منا فانا نستنصر الله عليكم فسمى هذا سخرية ليتفق اللفظان كما بينا في قوله الله يستهزىء بهم هذا قول ابن الأنباري
قال ابن عباس لم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر و لابحر فلذلك سخروا منه وإنما مياه البحار بقية الطوفان

(١٠٣/٤)

فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم
قوله تعالى فسوف تعلمون هذا وعيد ومعناه فسوف تعلمون من هو أحق بالسخرية ومن هو أحمد عاقبه
قوله تعالى من يأتيه عذاب يخزيه أي يذله وهو الغرق ويحل عليه أي ويجب عليه عذاب مقيم في الآخرة
حتى إذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل
قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا فيه قولان أحدهما جاء أمرنا بعذابهم وإهلاكهم والثاني جاء عذابنا و هو الماء ابتدأ بجنبات الأرض فدار حولها كالإكليل وجعل المطر ينزل من السماء كأفواه القرب فجعلت الوحوش يطلبن وسط الأرض هربا من الماء حتى اجتمعن عند السفينة فحينئذ حمل فيها من كل زوجين

اثنين قوله تعالى وفار التنور الفور الغليان والفوارة ما يفور من القدر قاله ابن فارس
قال المصنف وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال التنور اسم فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء في التنزيل لأنهم خوطبوا بما عرفوا
وروي عن ابن عباس أنه قال التنور بكل لسان عربي وعجمي

(١٠٤/٤)

وفي المراد بهذا التنور ستة أقوال
أحدها أنه اسم لوجه الأرض رواه عكرمة عن علي عليه السلام وروى الضحاك عن ابن عباس التنور وجه الأرض قال قيل له إذا رأيت الماء قد علا وجهه الأرض فاركب أنت وأصحابك وهذا قول عكرمة والزهري
والثاني أنه تنوير الصبح رواه أبو جحيفة عن علي رضي الله عنه وقال ابن قتيبه التنوير عند الصلاة
والثالث أنه طلوع الفجر روي عن علي أيضا قال وفار التنور طلع الفجر
والرابع أنه طلوع الشمس وهو منقول عن علي أيضا
والخامس أنه تنور أهله روى العوفي عن ابن عباس قال إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فانه هلاك قومك وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه تنور آدم عليه السلام وهبه الله لنوح وقيل له إذا فار الماء منه فاحمل ماأمرت به وقال الحسن كان تنورا من حجارة وهذا قول مجاهد والفراء ومقاتل
والسادس أنه أعلى الأرض وأشرفها
قال ابن الأنباري شبهت أعالي الأرض وأماكنها المرتفعة لعلوها بالتنانير واختلفوا في المكان الذي فار منه التنور على ثلاثة أقوال
أحدها أنه فار من مسجد الكوفة رواه حبة العربي عن علي عليه السلام وقال زر بن حبيش فار التنور من زاوية مسجد الكوفة اليمنى وقال مجاهد نبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته وكان ذلك بناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما كان التنور إلا بناحية الكوفة

(١٠٥/٤)

والثاني أنه فار بالهند رواه عكرمة عن ابن عباس
والثالث أنه كان في أقصى دار نوح وكانت بالشام في يقال له عين وردة قاله مقاتل
قوله تعالى قلنا احمل فيها أي في السفينة من كل زوجين اثنين

وروى حفص عن عاصم من كل بالتنوين قال أبو علي والمعنى من كل شيء ومن كل زوج زوجين فحذف المضاف وانتصاب اثنين على أنهما صفة لزوجين وقد علم أن الزوجين اثنان ولكنه توكيد قال مجاهد من كل صنف ذكرا وأنثى وقال ابن قتيبة الزوج يكون واحدا ويكون اثنين وهو هاهنا واحد ومعنى الآية احمل من كل ذكر وأنثى اثنين وقال الزجاج المعنى احمل زوجين اثنين من كل شيء والزوج في كلام العرب يجوز أن يكون معه واحد والاثنان يقال لهما زوجان يقال عندي زوجان من الطير إنما يريد ذكرا وأنثى فقط وقال ابن الأنباري إنما قال اثنين فثنى الزوج لأنه قصد قصد الذكر والأنثى من الحيوان وتقديره من كل ذكر وأنثى

قوله تعالى وأهلك أي وأحمل أهلك قال المفسرون أراد بأهله عياله وولده

إلا من سبق عليه القول أي سبق عليه القول من الله بالإهلاك قال الضحاك وهم امرأته وابنه كنعان

قوله تعالى ومن آمن معناه واحمل من آمن

وما آمن معه إلا قليل وفي عددهم ثمانية أقوال

أحدها أنهم كانوا ثمانين رجلا معهم أهلوهم رواه عكرمة عن ابن عباس

(١٠٦/٤)

والثاني أن نوحا حمل معه ثمانين إنسانا وبنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه وامرأة نوح رواه يوسف بن مهران عن ابن عباس

والثالث كانوا ثمانين إنسانا قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال مقاتل كانوا وأربعين رجلا وأربعين امرأة

والرابع كانوا أربعين ذكره ابن جريج عن ابن عباس

والخامس كانوا ثلاثين رجلا رواه أبو نهيك عن ابن عباس

والسادس كانوا ثمانية قال الحكم بن عتيبة كان نوح وثلاثة بنيه وأربع كنائنه قال قتادة ذكر لنا أنه لم ينج في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنين له ونساؤهم فجماعتهم ثمانية وهذا قول القرظي وابن جريج

والسابع كانوا سبعة نوح وثلاث كنائن له وثلاثة بنين قاله الأعمش

والثامن كانوا عشرة سوى نسائهم قاله ابن إسحاق وروي عنه أنه قال الذين نجوا مع نوح بنوه الثلاثة ونساؤهم ثلاث وستة ممن آمن به

وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم

قوله تعالى وقال يعني نوحا للذين أمر بحملهم اركبوا السفينة

قال ابن عباس ركبوا فيها لعشر مضين من رجب وخرجوا منها يوم عاشوراء

وقال ابن جريج رفعت من عين وردة يوم الجمعة لعشر مضين من رجب فأتت

موضع البيت فطافت به أسبوعا وكان البيت قد رفع في ذلك الوقت ورست بباقردى على الجودي يوم عاشوراء وقال ابن عباس قرض الفأر حبال السفينة فشكا نوح ذلك فأوحى الله تعالى إليه فمسح ذنب الأسد فخرج سنوران وكان في السفينة عذرة فشكا ذلك إلى ربه فأوحى الله تعالى إليه فمسح ذنب الفيل فيخرج خنزيران فأكلا ذلك الفيل فخرج خنزيران فأكلا ذلك

قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبوبكر عن عاصم مجراها بضم الميم وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم مجراها بفتح الميم وكسر الراء وكلهم قرؤوا بضم الميم من مرساها إلا أن ابن كثير وأبا عمرو وابن عامر وحفصا عن عاصم كانوا يفتحون السين ونافع وأبو بكر عن عاصم كانا يقرآنها بين الكسر والتفخيم وكان حمزة والكسائي وخلف يميلونها وليس في هؤلاء أحد جعلها نعتا لله وإنما جعل الوصفين نعتا لله تعالى الحسن وقتادة وحميد الأعرج وإسماعيل بن مجالد عن عاصم فقرؤوا مجريها و مرسيها بضم الميم وبهاءين صحيحتين مثل مبديها ومنشيها وقرأ ابن مسعود مجراها بفتح الميم وإمالة الراء بعدها ألف ومرساها برفع الميم وإمالة السين بعدها ألف وقرأ أبو رزين وأبوالمتوكل مجراها بفتح الميم والراء وبألف بعدها ومرساها برفع الميم وفتح السين وبألف بعدها وقرأ أبو الجوزاء وابن يعمر مجراها ومرساها بفتح الميم فيهما جميعا وفتح الراء والسين وبألف بعدهما

وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الميمين إلا أنه أمال الراء والسين فيهما وقرأ أبو عمران الجوني وابن جبير برفع الميم فيهما وفتح الراء والسين وبألف بعدهما جميعا فمن قرأ بضم الميمين جعله من أجرى وأرسى ومن فتحهما جعله مصدرا من جرى الشيء يجري مجرى ورسى يرسي مرسى قال الزجاج قوله بسم الله أي بالله والمعنى أنه أمرهم أن يسموا في وقت جريها ووقت استقرارها

ومن قرأ بضم الميمين فالمعنى بالله إجراؤها وبالله إرساها ومن فتحهما فالمعنى بالله يكون جريها وبالله يقع إرساؤها أي إقرارها وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول من ضم الميم في مجراها أراد أجراها الله مجرى ومن فتحها أراد جرت مجرى وقال الضحاك كان إذا أراد أن تجري قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسى قال بسم الله فرست

وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين

قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال شبهه في بالجبال في عظمه وارتفاعه ويقال إن الماء أرتفع على أطول جبل في الأرض أربعين ذراعا ويروي خمس عشرة ذراعا وذكر بعض المفسرين أنه ارتفع نحو السماء سبعين فرسخا من الأرض

قوله تعالى ونادى نوح ابنه لا يختلفون أنه كان كافرا وفي اسمه قولان أحدهما كنعان وهو قول الأكثرين والثاني اسمه يام قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال عبيد بن عمير وابن إسحاق

(١٠٩/٤)

قوله تعالى وكان في معزل المعزل المكان المنقطع ومعنى العزل التنحية وفي معنى الكلام وجهان ذكرهما الزجاج

أحدهما في معزل من السفينة والثاني في معزل من دين أبيه

قوله تعالى يابني اركب معنا قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يابني اركب مضافة بكسر الياء وروى أبوبكر عن عاصم يابني مفتوحة الياء ها هنا وباقي القرآن مكسورة وروى حفص عنه بالفتح في كل القرآن يابني إذا كان واحدا قال النحويون الأصل في بني ثلاث ياءات ياء التصغير وياء بعدها هي لام الفعل وياء بعد لام الفعل هي ياء الإضافة فمن قرأ يابني أراد يابنيي فحذف ياء الإضافة وترك الكسرة تدل عليها كما يقال يا غلام أقبل ومن فتح الياء أبدل من كسرة لام الفعل فتحة استثقالا لاجتماع الياءات مع الكسرة فانقلبت ياء الإضافة ألفا ثم حذفت الألف كما تحذف الياء فبقيت الفتحة على حالها وقيل إن المعنى يا بني آمن واركب معنا

قوله تعالى سآوي أي سأصير وأرجع إلى جبل يعصمني أي يمنعني من الماء أي من تغريق الماء

قال لاعاصم اليوم فيه قولان

أحدهما لا مانع اليوم من أمر الله قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني لا معصوم ومثله ماء دافق أي مدفوق وسر كاتم وليل نائم قاله ابن قتيبة

قوله تعالى إلا من رحم قال الزجاج هذا استثناء ليس من الأول والمعنى لكن من رحم الله فانه معصوم

قال مقاتل إلا من رحم فركب السفينة

(١١٠/٤)

قوله تعالى وحال بينهما الموج في المكني عنها قولان

أحدهما أنهما ابن نوح والجبل الذي زعم أنه يعصمه رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال مجاهد

والثاني نوح وابنه قاله مقاتل
وقيل يا أرض أبلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين
قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماؤك وقف قوم على ظاهر الآية وقالوا إنما ابتلعت ما نبع منها ولم تبتلع ماء السماء فصار ذلك بحارا وأنهارا وهو معنى قول ابن عباس وذهب آخرون إلى أن المراد ابلعي ماءك الذي عليك وهو ما نبع من الأرض ونزل من السماء وذلك بعد أن غرق ما على وجه الأرض
قوله تعالى ويا سماء أقلعي أي أمسكي عن إنزال الماء قال ابن الأنباري لما تقدم ذكر الماء علم أن المعنى أقلعي عن إنزال الماء
قوله تعالى وغيض الماء أي نقص قال الزجاج يقال غاض الماء يغيض إذا غاب في الأرض ويجوز إشمام الضم في الغين
قوله تعالى وقضي الأمر قال ابن عباس غرق من غرق ونجا من نجا وقال مجاهد قضي الأمر هلاك قوم نوح وقال ابن قتيبة وقضي

الأمر أي فرغ منه قال ابن الأنباري والمعنى أحكمت هلكة قوم نوح فلما دلت القصة على ما يبين هلكتهم أغنى عن نعت الأمر
قوله تعالى واستوت يعني السفينة على الجودي وهو اسم جبل وقرأ الأعمش وابن أبي عبلة على الجودي بسكون الياء قال ابن الأنباري وتشديد الياء في الجودي لأنها ياء النسبه فهي كالياء في علوي وهاشمي وقد خففها بعض القراء ومن العرب من يخفف ياء النسبه فيسكنها في الرفع والخفض ويفتحها في النصب فيقول قام زيد العلوي ورأيت زيدا العلوي
قال ابن عباس درات السفينة بالبيت أربعين يوما ثم وجهها الله إلى الجودي فاستقرت عليه واختلفوا أين هذا الجبل على ثلاثة أقوال
أحدها أنه بالموصل رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الضحاك
والثاني بالجزيرة قاله مجاهد وقتادة وقال مقاتل هو بالجزيرة قريب من الموصل
والثالث أنه بناحية آمد قاله الزجاج
وفي علة استوائها عليه قولان

أحدهما أنه لم يغرق لأن الجبال تشامخت يومئذ وتطاولت وتواضع هو فلم يغرق فأرست عليه قاله مجاهد

والثاني لما قل الماء أرست عليه فكان استواؤها عليه دلالة على قلة الماء

قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين قال ابن عباس بعدا من رحمة الله للقوم الكافرين

(١١٢/٤)

فان قيل ما ذنب من أغرق من البهائم والأطفال فالجواب أن آجالهم حضرت فأميتوا بالغرق قاله الضحاك وابن جريج

قوله تعالى رب إن ابني من أهلي إنما قال نوح هذا لأن الله تعالى وعده نجاة أهله فقال وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال ابن عباس أعدل العادلين وقال ابن زيد فأنت أحكم الحاكمين بالحق واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قولين

أحدهما أنه ابن نوح لصلبه قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والجمهور

والثاني أنه ولد على فراشه من لغير رشدة ولم يكن ابنه روى ابن الأنباري باسناده عن الحسن أنه قال لم يكن ابنه إن امرأته فجرت وعن الشعبي قال لم يكن ابنه إن امرأته خانته وعن مجاهد نحو ذلك وقال ابن جريج ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه وكان ولد على فراشه فعلى القول الأول يكون في معنى قوله إنه ليس من أهلك

أحدهما ليس من أهل دينك

والثاني ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وإنما المعنى ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم وعلى القول

(١١٣/٤)

الآخر الكلام على ظاهره والأول أصح لموافقته ظاهر القرآن ولاجتماع الأكثرين عليه وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة

قوله تعالى إنه عمل غير صالح قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة إنه عمل رفع منون غير صالح برفع الراء وفيه قولان

أحدهما أنه يرجع إلى السؤال فيه فالمعنى سؤلك إياي فيه عمل غير صالح قاله ابن عباس وقتادة وهذا ظاهر لأنه قد تقدم السؤال فيه في قوله رب إن ابني من أهلي فرجعت الكناية إليه

والثاني أنه يرجع إلى المسؤول فيه

وفي هذا المعنى قولان

أحدهما أنه لغير رشدة قاله الحسن

والثاني أن المعنى إنه ذو عمل غير صالح قاله الزجاج قال ابن الأنباري من قال هو لغير رشدة قال المعنى إن أصل أبنك الذي تظن أنه أبنك عمل غير صالح ومن قال إنه ذو عمل غير صالح قال حذف المضاف وأقام العمل مقامه كما تقول العرب عبد الله إقبال وأدبار أي صاحب إقبال وأدبار وقرأ الكسائي عمل بكسر الميم وفتح اللام غير صالح بفتح الراء يشير إلى أنه مشرك

قوله تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون غير أن نافعا وابن عامر كسرا النون وفتحها ابن كثير وحذفوا الياء في الوصل والوقف وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي بسكون اللام وتخفيف النون غير أن أبا عمرو

وأبا جعفر أثبتا الياء في الوصل وحذفاها في الوقف ووقف عليها يعقوب بالياء والباقون يحذفونها في الحالين قال أبو علي من كسر النون فقد عدى السؤال إلى مفعولين

أحدهما اسم المتكلم والآخر الآسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات وأما إثبات الياء في الوصل فهو الأصل وحذفها أخف والكسرة تدل عليها وتعلم أن المفعول مراد في المعنى ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال

أحدها أنه نسبته إليه وليس منه

والثاني في إدخاله إياه في جملة أهله الذين وعده نجاتهم

والثالث سؤاله في إنجاء كافر من العذاب

قوله تعالى إني أعظك أن تكون من الجاهلين فيه ثلاثة أقوال

أحدها أن تكون من الجاهلين في سؤالك من ليس من حزبك

والثاني من الجاهلين بوعدي لأني وعدت بانجاء المؤمنين

والثالث من الجاهلين بنسبك لأنه ليس من أهلك

قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم

قوله تعالى يانوح اهبط قال ابن عباس يريد من السفينة إلى الأرض بسلام منا أي بسلامه

قوله تعالى وبركات عليك قال المفسرون البركات عليه أنه صار أبا للبشر جميعا لأن جميع الخلق من نسله وعلى أمن معك قال ابن عباس يريد من ولدك قال ابن الأنباري المعنى من ذراري من معك والمراد

(١١٥/٤)

المؤمنون من ذريته ثم ذكر الكفار فقال وأمم أي من الذرية أيضا والمعنى وفيمن نصف لك أمم وفيمن نقص عليك أمره أمم سنمتعهم أي في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة قال محمد بن كعب القرظي لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركاتولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب

تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

قوله تعالى تلك من أنباء الغيب في المشار إليه ب تلك قولان

أحدهما قصة نوح

والثاني آيات القرآن والمعنى تلك من أخبار ما غاب عنك وعن قومك

فان قيل كيف قال ها هنا تلك وفي مكان آخر ذلك فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال تلك إشارة إلى آيات القرآن وذلك إشارة إلى الخبر والحديث وكلاهما معروف في اللغة الفصيحة يقول

(١١٦/٤)

الرجل قد قدم فلان فيقول سامع قوله قد فرحت به وقد سررت بها فاذا ذكر عنى القدوم وإذا أنث ذهب إلى القدمة

قوله تعالى من قبل هذا يعني القرآن فاصبر كما صبر نوح على أذى قومه إن العاقبة أي آخر الأمر بالظفر والتمكين للمتقين أي لك ولقومك كما كان لمؤمني قوم نوح

قوله تعالى إن أنتم إلا مفترون أي ما أنتم إلا كاذبون في إشراككم مع الله الأوثان وما بعد هذا قد سبق تفسيره يونس ٧٢ إلى قوله يرسل السماء عليكم مدرارا وهذا أيضا قد سبق تفسيره في سورة الأنعام ٦١ والسبب في قوله لهم ذلك أن الله تعالى حبس المطر عنهم ثلاث سنين وأعقم أرحام نسائهم

فوعدهم أحياء بلادهم وبسط الرزق لهم إن آمنوا
قوله تعالى ويزدكم قوة إلى قوتكم فيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه الولد وولد الولد رواه أبو صالح عن ابن عباس
والثاني يزدكم شدة إلى شدتكم قاله مجاهد وابن زيد
والثالث خصبا إلى خصبكم قاله الضحاك
قوله تعالى ولا تتولوا مجرمين قال مقاتل لا تعرضوا عن التوحيد مشركين
قوله تعالى ما جئتنا ببينة أي بحجة واضحة وما نحن بتاركي آلهتنا يعنون الأصنام عن قولك أي بقولك والباء وعن يتعاقبان
إن نقول إلا اعتريك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم

(١١٧/٤)

قوله تعالى إن نقول أي ما نقول في سبب مخالفتك إيانا إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لسبك أياها فالذي تظهر من عيبها لما لحق عقلك من التغيير قال ابن قتيبة يقال عراني كذا واعتراني إذا ألم بي ومنه قيل لمن أتاك يطلب نائلك عار ومنه قول النابغة ... أتيتك عاريا خلقا ثيابي ... على خوف تظن بي الظنون ...
قوله تعالى إني أشهد الله إلى آخر الآية حرك ياء إني نافع ومعنى الآية إن كنتم تقولون إن الآلهة عاقبتني لطعي عليها فاني على يقين من عيبها والبراءة منها وها أنا ذا أزيد في الطعن عليها فكيدوني جميعا أي احتالوا أنتم وأوثانكم في ضري ثم لاتمهلون قال الزجاج وهذا من أعظم آيات الرسل أن يكون الرسول وحده وأمته متعاونه عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع أحد منهم ضره وكذلك قال نوح لقومه فأجمعوا أمركم وشركاءكم وقال محمد صلى الله عليه و سلم فان كان لكم كيد فكيدون المرسلات٣٩
قوله تعالى إلا هو آخذ بناصيتها قال أبو عبيدة المعنى أنها في قبضته وملكه وسلطانه
فان قيل لم خص الناصية فالجواب أن الناصية شعر مقدم الرأس فاذا أخذت بها من شخص فقد ملكت سائر بدنه وذل لك
قوله تعالى إن ربي على صراط مستقيم قال مجاهد على الحق وقال غيره في الكلام إضمار تقديره إن ربي يدل على صراط مستقيم

(١١٨/٤)

فان قيل ما وجه المناسبة بين قوله إلا هو آخذ بناصيتها وبين كونه على صراط مستقيم فعنه جوابان
أحدهما أنه لما أخبر أنه آخذ بنواصي الخلق كان معناه أنهم لا يخرجون عن قبضته فأخبر أنه على طريق لا يعدل عنه هارب ولا يخفي عليه مستتر
والثاني أن المعنى أنه وإن كان قادرا عليهم فهو لايظلمهم ولايريد إلا العدل ذكرهما ابن الأنباري
فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ
قوله تعالى فان تولوا فيه قولان
أحدهما أنه فعل ماضي معناه فان أعرضوا فعلى هذا في الآية إضمار تلخيصه فان أعرضوا فقل لهم قد أبلغتكم هذا مذهب مقاتل في آخرين
والثاني أنه خطاب للحاضرين وتقديره فان تتولوا فاستثقلوا الجمع بين تاءين متحركتين فاقتصر على إحدهما وأسقطت الأخرى كما قال النابغة ... المرء يهوى أن يعيش ... وطول عيش قد يضره

(١١٩/٤)

تفنى بشاشته ويبقى ... بعد حلو العيش مره ... وتصرف الأيام حتى ... ما يرى شيئا يسره ...
أراد وتتصرف الأيام فأسقط إحدى التاءين ذكره ابن الأنباري
قوله تعالى ويستخلف ربي قوما غيركم فيه وعيد لهم بالهلاك إن ربي على كل شيء حفيظ فيه قولان
أحدهما حفيظ على أعمال العباد حتى يجازيهم بها
والثاني أن على بمعنى اللام فالمعنى لكل شيء حافظ فهو يحفظني من أن تنالوني بسوء
ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
قوله تعالى ولما جاء أمرنا فيه قولان
أحدهما جاء عذابنا قاله ابن عباس
والثاني جاء أمرنا بهلاكهم
قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا فيه قولان
أحدهما نجيناهم من العذاب بنعمتنا
والثاني نجيناهم بأن هديناهم إلى الإيمان وعصمناهم من الكفر روي القولان عن ابن عباس
قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ أي شديد وهو ما استحقه قوم هود من عذاب الدنيا والآخرة
وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد

قوله تعالى وتلك عاد يعني القبيلة وعصوا رسله لقائل أن يقول إنما أرسل إليهم هود وحده فكيف ذكر بلفظ الجمع

(١٢٠/٤)

فالجواب من ثلاثة أوجه

أحدها أنه قد يذكر لفظ الجمع ويراد به الواحد كقوله أم يحسدون الناس والمراد به النبي صلى الله عليه و سلم وحده

والثاني أن من كذب رسولا واحدا فقد كذب الكل

والثالث أن كل مرة ينذرهم فيها هي رسالة مجددة وهو بها رسول

قوله تعالى واتبعوا أي واتبع الأتباع أمر الرؤساء

والجبار الذي طال وفات اليد وللعلماء في الجبار أربعة أقوال

أحدها أنه الذي يقتل على الغضب ويعاقب على الغضب قاله الكلبي

والثاني أنه الذي يجبر الناس على ما يريد قاله الزجاج

والثالث أنه المسلط

والرابع أنه العظيم في نفسه المتكبر على العباد ذكرهما ابن الأنباري والذي ذكرناه يجمع هذه الأقوال وقد زدنا هذا شرحا في المائدة ٢٢

وأما العنيد فهو الذي لا يقبل الحق قال ابن قتيبة العنود والعنيد والعاند المعارض لك بالخلاف عليك وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة إلا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا

(١٢١/٤)

أتنهينا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم

يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ

قوله تعالى وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة أي ألحقوا لعنة تنصرف معهم ويوم القيامة أي وفي يوم القيامة لعنوا أيضا ألا إن عادا كفروا ربهم أي بربهم فحذف الباء وأنشدوا ... أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب ...

قال الزجاج قوله ألا ابتداء وتنبيه وبعدا منصوب على معنى أبعدهم الله فبعدوا بعدا والمعنى أبعدهم من رحمته

(١٢٢/٤)

قوله تعالى هو انشأكم من الأرض فيه قولان

أحدهما خلقكم من آدم وآدم خلق من الأرض

والثاني أنشأكم في الأرض

وفي قوله واستعمركم فيها ثلاثة أقوال

أحدها أعمركم فيها أي جعلكم ساكنيها مدة أعماركم ومنه العمرى وهذا قول مجاهد

والثاني أطال أعماركم وكانت أعماركم من ألف سنة إلى ثلاثمائة قاله الضحاك

والثالث جعلكم عمارها قاله أبو عبيدة

قوله تعالى قد كنت فينا مرجوا قبل هذا فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنهم كانوا يرجونه للمملكة بعد ملكهم لأنه كان ذا حسب وثروة قاله كعب

والثاني أنه كان يبغض أصنامهم ويعدل عن دينهم وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم فلما أظهر إنذارهم انقطع رجاؤهم منه وإلى نحو هذا ذهب مقاتل

والثالث أنهم كانوا يرجون خيره فلما أنذرهم زعموا أن رجاءهم لخيره قد انقطع ذكره الماوردي

قوله تعالى وإننا لفي شك إن قال قائل لم قال ها هنا وإننا وقال في إبراهيم وإنا

(١٢٣/٤)

فالجواب أنهما لغتان من لغات قريش السبع التي نزل القرآن عليها قال الفراء من قال إننا أخرج الحرف على أصله لأن كناية المتكلمين نا فاجتمعت ثلاث نونات نونا إن والنون المضمومة إلى الألف ومن قال إنا استثقل الجمع بين ثلاث نونات وأسقط الثالثةوأبقى الأولتين وكذلك يقال إني وأنني ولعلي

ولعلني وليتي وليتني قال الله في اللغة العليا لعلي أبلغ الأسباب غافر ٣٦ وقال الشاعر في اللغة الأخرى ... أريني جوادا مات هزلا لعلني ... أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا ...

وقال تعالى يا ليتني كنت معهم النساء ٧٣ وقال الشاعر ... كمنية جابر إذ قال ليتي ... أصادفه وأتلف بعض مالي ...

فأما المريب فهو الموقع للريبة والتهمة والرحمة يراد بها هاهنا النبوة

قوله تعالى فما تزيدونني غير تخسير التخسير النقصان

وفي معني الكلام قولان

أحدهما فما تزيدونني غير بصارة في خسارتكم قاله ابن عباس وقال الفراء المعنى فما تزيدونني غر تخسير لكم أي كلما اعتذرتم عندي بعذر فهو يزيدكم تخسيرا وقال ابن الأعرابي غير تخسير لكم لا لي وقال بعضهم المعنى فما تزيدونني بما قلتم إلا نسبتي لكم إلى الخسارة

والقول الثاني فما تزيدونني غير الخسران إن رجعت إلى دينكم وهذا معنى قول مقاتل

فإن قيل فظاهر هذا أنه كان خاسرا فزادوه خسارا فقد أسلفنا الجواب في قوله لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا التوبة ٤٧

قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية قد شرحناها في سورة الأعراف ٧٣ قوله تعالى تمتعوا في داركم أي استمتعوا بحياتكم وعبر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يكون متمتعا بالحواس

قوله تعالى ثلاثة أيام قال المفسرون لما عقرت الناقة صعد فصيلها إلى الجبل ورغا ثلاث مرات فقال صالح لكل رغوة أجل يوم ألا إن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة واليوم الثاني محمرة واليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا في اليوم الأول إذا وجوههم مصفرة فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب فلما أصبحوا في اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة فضجوا وبكوا فلما أصبحوا في اليوم الثالث إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد حضركم العذاب فتكفنوا وألقوا أنفسهم بالأرض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم في صدورهم وقال مقاتل حفروا لأنفسهم قبورا فلما ارتفعت الشمس من اليوم الرابع ولم يأتهم العذاب ظنوا أن الله قد رحمهم فخرجوا من قبورهم يدعو بعضهم بعضا إذ نزل جبريل فقام فوق المدينة فسد ضوء الشمس فلما عاينوه دخلوا قبورهم فصاح بهم صيحة موتوا عليكم لعنة الله فخرجت أرواحهم وتزلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم قوله تعالى ذلك وعد أي العذاب غير مكذوب أي غير كذب

قوله تعالى ومن خزي يومئذ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ابن عامر يومئذ بكسر الميم وقرأ الكسائي بفتحها مع الإضافة قال مكي من كسر الميم أعرب وخفض لإضافة الخزي إلى اليوم ولم يبنه ومن فتح بنى اليوم على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو إذ وقرأ ابن مسعود ومن خزي بالتنوين يومئذ بفتح الميم قال ابن الأنباري هذه الواو في قوله ومن خزي معطوفة على محذوف تقديره نجيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ قال ويجوز أن تكون دخلت لفعل مضمر تأويله نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من خزي يومئذ قال وإنما قال وأخذ لأن الصيحة محمولة على الصياح

قوله تعالى ألا بعدا لثمود اختلفوا في صرف ثمود وترك إجرائه في خمسة مواضع في هود ٦٩ ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود وفي الفرقان ٣٨ وعادا وثمودا وأصحاب الرس وفي العنكبوت ٣٨ وعادا وثمودا وقد تبين لكم وفي النجم ٥١ وثمود فما أبقي قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر بالتنوين في أربعة مواضع منها وتركوا ألا بعدا لثمودا فلم يصرفوه وقرأ حمزة بترك صرف هذه الخمسة الأحرف وصرفهن الكسائي واختلف عن عاصم فروى حسين الجعفي عن أبي بكر عنه أنه أجرى الأربعة الأحرف مثل أبي عمرو وروى يحيى بن آدم أنه أجرى ثلاثة في هود ٦٩ ألا أن ثمودا وفي الفرقان ٣٨ والعنكبوت ٣٨ وروى حفص عنه أنه لم يجر شيئا منها مثل حمزة

واعلم أن ثمودا يراد به القبيلة تارة ويراد به الحي تارة فإذا أريد به القبيلة

لم يصرف وإذا أريد به الحي صرف وما أخللنا به فقد سبق تفسيره الأعراف ٧٣ والتوبة ٧٠ إلى قوله ولقد جاءت رسلنا إبراهيم والرسل هاهنا الملائكة وفي عددهم ستة أقوال

أحدها أنهم كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وقال مقاتل جبريل وميكائيل وملك الموت والثاني أنهم كانوا اثني عشر روي عن ابن عباس أيضا والثالث ثمانية قاله محمد بن كعب والرابع تسعة قاله الضحاك والخامس أحد عشر قاله السدي والسادس أربعة حكاه الماوردي وفي هذه البشرى أربعة أقوال

أحدها أنها البشرى بالولد قاله الحسن ومقاتل والثاني بهلاك قوم لوط قاله قتادة والثالث بنبوته قاله عكرمة والرابع بأن محمدا يخرج من صلبه ذكره الماوردي

قوله تعالى قالوا سلاما قال ابن الأنباري انتصب بالقول لأنه حرف مقول والسلام الثاني مرفوع باضمار عليكم وقال الفراء فيه وجهان

أحدهما أنه أضمر عليكم كما قال الشاعر ... فقلنا السلام فاتقت من أميرها ... فما كان إلا ومؤها بالحواجب ...

والعرب تقول التقينا فقلنا سلام سلام

والثاني أن القوم سلموا فقال حين أنكرهم هو سلام فمن أنتم لإنكاره إياهم وقرأ حمزة والكسائي قال سلم وهو بمعنى سلام كما

(١٢٧/٤)

قالوا حل وحلال وحرم وحرام فعلى هذا يكون معنى سلم سلام عليكم قال أبو علي فيكون معنى القراءتين واحدا وإن اختلف اللفظان وقال الزجاج من قرأ سلم فالمعنى أمرنا سلم أي لا بأس علينا

قوله تعالى فما لبث أي ما أقام حتى جاء بعجل حنيذ لأنه ظنهم أضيافا وكانت الملائكة قد جاءته في صورة الغلمان الوضاء وفي الحنيذ ستة أقوال

أحدها أنه النضيج قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة

والثاني أنه الذي يقطر ماؤه ودسمه وقد شوي قاله شمر بن عطية

والثالث أنه ما حفرت الأرض ثم غممته وهو من فعل أهل البادية معروف وأصله محنوذ فقيل حنيذ كما قيل طبيخ للمطبوخ وقتيل للمقتول هذا قول الفراء

والرابع أنه المشوي قاله أبو عبيدة

والخامس المشوي بالحجارة المحماة قاله مقاتل وابن قتيبة

والسادس السميط ذكره الزجاج وقال يقال إنه المشوي فقط ويقال المشوي الذي يقطر ويقال المشوي بالحجارة

فلما رآ أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط

قوله تعالى فلما رأى أيديهم يعنى الملائكة لاتصل إليه يعني العجل نكرهم أي أنكرهم قال أبو عبيدة نكرهم وأنكرهم واستنكرهم سواء قال الأعشى

(١٢٨/٤)

فأنكر تني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا ...

قوله تعالى وأوجس منهم خيفة أي أضمر في نفسه خوفا قال الفراء وكانت سنة في زمانهم إذا ورد عليهم القوم فأتوهم بالطعام فلم يمسوه ظنوا أنهم عدو أو لصوص فهنالك أوجس في نفسه خيفة فرأوا

ذلك في وجهه فقالوا لا تخف

قوله تعالى إنا أرسلنا إلى قوم لوط قال الزجاج أي أرسلنا بالعذاب إليهم قال ابن الأنباري وإنما أضمر ذلك هاهنا لقيام الدليل عليه بذكر الله تعالى له في سورة أخرى وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخنا إن هذا لشيء عجيب

قوله تعالى وامرأته قائمة واسمها سارة واختلفوا أين كانت قائمة على ثلاثة أقوال

أحدها وراء الستر تسمع كلامهم قاله وهب

والثاني كانت قائمة تخدمهم قاله مجاهد والسدي

والثالث كانت قائمة تصلي قاله محمد بن إسحاق

(١٢٩/٤)

وفي قوله فضحكت ثلاثة أقوال

أحدها أن الضحك ها هنا بمعنى التعجب قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني أن معنى ضحكت حاضت قاله مجاهد وعكرمة قال ابن قتيبة وهذا من قولهم ضحكت الأرنب إذا حاضت فعلى هذا يكون حيضها حينئذ تأكيد للبشارة بالولد لأن من لا تحيض لاتحمل وقال الفراء لم نسمع من ثقة أن معنى ضحكت حاضت قال ابن الأنباري أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وعرفه غيرهم قال الشاعر ... تضحك الضبع لقتلى هذيل ... وترى الذئب لها يستهل ...

قال بعض أهل اللغة معناه تحيض

والثالث أنه الضحك المعروف وهو قول الأكثرين

وفي سبب ضحكها ستة أقوال

أحدها أنها ضحكت من شدة خوف ابراهيم من أضيافه وقالت من ماذا يخاف ابراهيم وإنما هم ثلاثة وهو في أهله وغلمانه رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال مقاتل

والثاني أنها ضحكت من بشارة الملائكة لإبراهيم بالولد وهذا مروي عن ابن عباس ووهب بن منبه فعلى هذا إنما ضحكت سرورا بالبشارة ويكون في الآية تقديم وتأخير المعنى وامرأته قائمة فبشرناها فضحكت وهو اختيار ابن قتيبة

(١٣٠/٤)

والثالث ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم قاله قتادة
والرابع ضكحت من إمساك الأضياف عن الأكل وقالت عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا وهم لايأكلون طعامنا قاله السدي
والخامس ضحكت سرورا بالأمن لأنها خافت كخوف إبراهيم قاله الفراء
والسادس أنها كانت قالت لإبراهيم اضمم إليك ابن أخيك لوطا فانه سينزل العذاب بقومه فلما جاءت الملائكة بعذابهم ضحكت سرورا بموافقتها للصواب ذكره ابن الأنباري
قال المفسرون قال جبريل لسارة أبشري أيتها الضاحكة بولد اسمه إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فبشروها أنها تلد إسحاق وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد
وفي معنى الوراء قولان
أحدهما أنه بمعنى بعد قاله أبو صالح عن ابن عباس واختاره مقاتل وابن قتيبة
والثاني أن الوراء ولد الولد روي عن ابن عباس وبه قال الشعبي واختاره أبو عبيدة
فان قيل كيف يكون يعقوب وراء إسحاق وهو ولده لصلبه وإنما الوراء ولد الولد فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال المعنى ومن وراء المنسوب إلى إسحاق يعقوب لأنه قد كان الوراء لإبراهيم من جهة إسحاق فلو قال ومن الوراء يعقوب لم يعلم أهذا الوراء منسوب إلى إسحاق أم إلى

إسماعيل فأضيف إلى إسحاق لينكشف المعنى ويزول اللبس قال ويجوز أن ينسب ولد إبراهيم من غير إسحاق إلى سارة على المجاز فكان تأويل الآية من الوراء المنسوب إلى سارة وإلى إبراهيم من جهة إسحاق يعقوب ومن حمل الوراء على بعد لزم ظاهر العربية
واختلف القراء في يعقوب فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وابو بكر عن عاصم يعقوب بالرفع وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم يعقوب بالنصب
قال الزجاج وفي رفع يعقوب وجهان
أحدهما على الابتداء المؤخر معناه التقديم والمعنى ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق
والثاني وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب ومن نصبه حمله على المعنى والمعنى وهبنا لها إسحاق ووهبنا لها يعقوب
قوله تعالى يا ويلتي أألد وأنا عجوز هذه الكلمة تقال عند الإيذان بورود الأمر العظيم ولم ترد بها الدعاء على نفسها وإنما هي كلمة تخف على ألسنة النساء عند الأمر العجيب وقولها أألد استفهام تعجب قال الزجاج و شيخا منصوب على الحال قال ابن الأنباري إنما أشارت بقولها هذا لتنبه على شيخوخته

واختلفوا في سن إبراهيم وسارة يومئذ على أربعة أقوال
أحدها أنه كان إبراهيم ابن تسعا وتسعين سنة وسارة بنت ثمان وتسعين سنة قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أنه كان إبراهيم ابن مائة سنة وسارة بنت تسع وتسعين قاله مجاهد

(١٣٢/٤)

والثالث كان إبراهيم ابن تسعين وسارة مثله قاله قتادة
والرابع كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة وسارة بنت تسعين قاله عبيد ابن عمير وابن إسحاق
قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد
قوله تعالى قالوا أتعجبين من أمر الله أي من قضائه وقدرته وهو إيجاد ولد من بين كبيرين قال السدي قالت سارة لجبرئيل ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقالت هو إذن لله ذبيح
قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فيه وجهان
أحدهما أنه من دعاء الملائكة لهم
والثاني أنه إخبار عن ثبوت ذلك لهم
ومن تلك البركات وجود أكثر الأنبياء والأسباط من إبراهيم وسارة
والحميد بمعنى المحمود فأما المجيد فقال ابن قتيبة بمعنى الماجد وهو الشريف وقال أبو سليمان الخطابي هو الواسع الكرم وأصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد إذا كان سخيا واسع العطاء وفي بعض الأمثال في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثرا منها

(١٣٣/٤)

فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود
قوله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الروع يعني الفزع الذي أصابه حين امتنعوا من الأكل يجادلنا فيه إضمار أخذ وأقبل يجادلنا والمراد يجادل رسلنا
قال المفسرون لما قال له قالوا له إنا مهلكوا أهل هذه القرية العنكبوت ٣١ قال أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن قالوا لا قال أتهلكون قرية فيها خمسون مؤمنا قالوا لا قال أربعون قالوا لافما زال ينقص حتى قال

فواحد قالوا لا فقال حينئذ إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها العنكبوت ٣١ هذا قول ابن إسحاق وقال غيره قيل له إن كان فيهم خمسة لم نعذبهم فما كان فيهم سوى لوط وابنتيه وقال سعيد بن جبير قال لهم أتهاكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر مع امرأة لوط فسكت واطمأنت نفسه وإنما كانوا ثلاثة عشر فأهلكوا

قوله تعالى إن إبراهيم لحليم أواه قد فسرناه في براءة ١١٤ فعند ذلك قالت الرسل لإبراهيم يا إبراهيم أعرض عن هذا يعنون الجدال إنه قد جاء أمر ربك بعذابهم وقيل قد جاء عذاب ربك فليس بمردود لأن الله قد قضى به

ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا

يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو أوي إلى ركن شديد قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من ليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب

قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا قال المفسرون خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فأتوها عشاء وقال السدي عن أشياخه أتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا بنت لوط تستقي الماء لأهلها فقالوا لها ياجارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقا عليهم من قومها فأتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا فجاء بهم ولم يعلم بهم أحدا إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها فجاؤوا يهرعون إليه

قوله تعالى سيء بهم فيه قولان

أحدهما ساء ظنه بقومه قاله ابن عباس

والثاني ساءه مجيء الرسل لأنه لم يعرفهم وأشفق عليهم من قومه قاله ابن جرير قال الزجاج وأصل سيء بهم سوىء بهم من السوء ألا أن الواو أسكنت ونقلت كسرتها إلى السين

قوله تعالى وضاق بهم ذرعا قال ابن عباس ضاق ذرعا بأضيافه قال الفراء الأصل فيه وضاق ذرعه بهم فنقل الفعل عن الذرع إلى ضمير لوط ونصب الذرع بتحول الفعل عنه كما قال واشتعل الرأس شيبا مريم ٤ ومعناه اشتعل شيب الرأس

قال الزجاج يقال ضاق فلان بأمره ذرعا إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصا وذكر ابن الأنباري فيه ثلاثة أقوال

أحدها أن معناه وقع به مكروه عظيم لايصل إلى دفعة عن نفسه فالذرع كناية عن هذا المعنى

والثاني أن معناه ضاق صبره وعظم المكروه عليه وأصله من ذرع فلانا القيء إذا غلبه وسبقه

والثالث أن المعنى ضاق بهم وسعه فناب الذرع والذراع عن الوسع لأن الذراع من اليد والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي ويدل على صحة هذا أنهم يجعلون الذراع في موضع الذرع فيقولون ضقت بهذا الأمر ذراعا قال الشاعر ... إليك إليك ضاق بهم ذرعا ...

فأما العصيب فقال أبو عبيدة العصيب الشديد الذي يعصب الناس بالشر وأنشد ... يوم عصيب يعصب الا بطالا ... عصب القوي السلم الطوالا ...

وقال أبو عبيد يقال يوم عصيب ويوم عصبصب إذا كان شديدا

(١٣٦/٤)

قوله تعالى يهرعون إليه قال ابن عباس ومجاهد يهرعون يسرعون وقال الفراء والكسائي لا يكون الإهراع إلا إسراعا مع رعدة قال ابن قتيبة الإهراع شبيه بالرعدة يقال أهرع الرجل إذا أسرع على لفظ ما لم يسم فاعله كما يقال أرعد قال ابن الأنباري الإهراع فعل واقع بالقوم وهو لهم في المعنى كما قالت العرب قد أولع الرجل بالأمر فجعلوه مفعولا وهو صاحب الفعل ومثله أرعد زيد وسهي عمرو من السهو كل واحد من هذه الأفاعيل خرج الاسم معه مقدرا تقدير المفعول وهو صاحب الفعل لا يعرف له فاعل غيره قال وقال بعض النحويين لا يجوز للفعل أن يجعل فاعله مفعولا وهذه الأفعال المذكورة فاعلوها محذوفون وتأويل أولع زيد أولعه طبعه وجبلته وأرعد الرجل أرعده غضبه وسهي عمرو جعله ساهيا ماله أو جهله و أهرع معناه أهرعه خوفه ورعبه فلهذه العلة خرج هؤلاء الأسماء مخرج المفعول به قال وقال بعض اللغويين لا يكون الإهراع إلا إسراع المذعور الخائف لا يقال لكل مسرع مهرع حتى ينضم إلى إسراعه جزع وذعر قال المفسرون سبب إهراعهم أن امرأة لوط أخبرتهم بالأضياف ومن قبل أي ومن قبل مجيئهم إلى لوط كانوا يعملون السيئات يعني فعلهم المنكر

وفي قوله هؤلاء بناتي قولان

أحدهما أنهن بناته لصلبه قاله ابن عباس

فإن قيل كيف جمع وقد كن اثنتين فالجواب أنه قد يقع الجمع على اثنين كقوله وكنا لحكمهم شاهدين الأنبياء ٧٨

(١٣٧/٤)

والثاني أنه عنى نساء أمته لأن كل نبي أبو أمته والمعنى أنه عرض عليهم التزويج أو أمرهم أن يكتفوا بنسائهم وهذا مذهب مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج

فإن قيل كيف عرض تزويج المؤمنات على الكافرين فعنه جوابان

أحدهما أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته وكان جائزا في صدر الإسلام حتى نسخ قاله الحسن

والثاني أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم قاله الزجاج ويؤكده أن عرضهن عليهم موقوف على عقد النكاح فجاز أن يقف على شرط آخر

قوله تعالى هن أطهر لكم قال مقاتل هن أحل من إتيان الرجال

قوله تعالى فاتقوا الله فيه قولان

أحدهما اتقوا عقوبته والثاني اتقوا معصيته

قوله تعالى ولا تخزون في ضيفي حرك ياء ضيفي أبو عمرو ونافع وفي معنى هذا الخزي ثلاثة أقوال

أحدها أنه الفضيحة قاله ابن عباس والثاني الاستحياء والمعنى لا تفعلوا بأضيافي فعلا يلزمني الاستحياء منه لأن المضيف يلزمه الاستحياء من كل فعل يصل إلى ضيفه والعرب تقول قد خزي الرجل يخزي خزاية إذا استحيى قال الشاعر ... من البيض لا تخزي إذا الريح ألصقت ... بها مرطها أو زايل الحلي جيدها ...

والثالث أنه بمعنى الهلاك لأن المعرة التي تقع بالمضيف في هذه الحال تلزمه هلكة ذكرهما ابن الأنباري

(١٣٨/٤)

قال ابن قتيبة والضيف هاهنا بمعنى الأضياف والواحد يدل على الجميع كما تقول هؤلاء رسولي ووكيلي

قوله تعالى أليس منكم رجل رشيد في المراد بالرشيد قولان

أحدهما المؤمن والثاني الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر رويا عن ابن عباس

قال ابن الأنباري يجوز أن يكون الرشيد بمعنى المرشد فيكون المعنى أليس منكم مرشد يعظكم ويعرفكم قبيح ماتأتون فيكون الرشيد من صفة الفاعل كالعليم والشهيد ويجوز أن يكون الرشيد بمعنى

المرشد فيكون المعنى أليس منكم رجل قد أسعده الله بما منحه من الرشاد يصرفكم عن إتيان هذه المعرة فيجري رشيد مجرى مفعول كالكتاب الحكيم بمعنى المحكم

قوله تعالى مالنا في بناتك من حق فيه قولان

أحدهما مالنا فيهن حاجة قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني لسن لنا بأزواج فنستحقهن قاله ابن إسحاق وابن قتيبة

قوله تعالى وإنك لتعلم ما نريد قال عطاء وإنك لتعلم أنا نريد الرجال لا النساء

قوله تعال لو أن لي بكم قوة أي جماعة أقوى بهم عليكم وقيل أراد بالقوة البطش أو آوي إلى ركن شديد أي أنضم إلى عشيرة وشيعة تمنعني وجواب لو محذوف على تقدير لحلت بينكم وبين المعصية

قال أبو عبيدة قوله آوي من قولهم أويت إليك فأنا آوي أويا

(١٣٩/٤)

والمعنى صرت إليك وانضممت ومجاز الركن هاهنا العشيرة العزيزة الكثيرة المنيعة وأنشد ... يأوى إلى ركن من الأركان ... في عدد طيس ومجد باني ...

والطيس الكثير يقال أتانا لبن طيس وشراب طيس أي كثير واختلفوا أي وقت قال هذا لوط فروي عن ابن عباس أن لوطا كان قد أغلق بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم وراء الباب وهم يعالجون الباب ويرومون تسور الجدار فلما رأت الملائكة ما يلقى من الكرب قالوا يالوط إنا رسل ربك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا واستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فأعماهم فانصرفوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وجعلوا يقولون يالوط كما أنت حتى تصبح يوعدونه فقال لهم لوط متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال لو أهلكتموهم الآن فقالوا أليس الصبح بقريب وقال أبو صالح عن ابن عباس إنهم لما تواعدوه قال في نفسه ينطلق هؤلاء القوم غدا من عندي وأبقى مه هؤلاء فيهلكوني فقال لو أن لي بكم قوة

قلت وإنما يتوجه هذا إذا قلنا إنه كان قبل علمه أنهم ملائكة وقال قوم إنه إنما قال هذا لما كسروا بابه وهجموا عليه وقال آخرون لما نهاهم عن أضيافه فأبوا قال هذا

وفي الجملة ما أراد بالركن نصر الله وعونه لأنه لم يخل من ذلك وإنما ذهب إلى العشيرة والأسرة

وروى أبو هريرة عن رسول الله ص – أنه قال رحم الله لوطا لقد

(١٤٠/٤)

كان يأوي إلى ركن شديد وما بعث الله نبيا بعده إلا في ثروة من قومه
قوله تعالى لن يصلوا إليك قال مقاتل فيه إضمار تقديره لن يصلوا إليك بسوء وذلك أنهم قالوا للوط إنا نرى معك رجالا سحروا أبصارنا فستعلم غدا ما تلقى أنت وأهلك فقال له جبريل إنا رسل ربك لن يصلوا إليك
قوله تعالى فأسر بأهلك قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي فأسر باثبات الهمز في اللفظ من أسريت وقر أ ابن كثير ونافع فاسر بأهلك بغير همز من سريت وهما لغتان قال الزجاج يقال سريت وأسريت إذا سرت ليلا قال الشاعر ... سريت بهم حتى تكل مطيهم ... وحتى الجياد ما يقدن بأرسان ...
وقال النابغة ... أسرت عليه من الجوزاء سارية ... تزجي الشمال عليه جامد البرد ...
وقد رووه سرت فأما أهله فقال مقاتل هم امرأته وابنتاه واسم ابنتييه ربثا وزعرثا وقال السدي اسم الكبرى رية واسم الصغرى عروبة

(٤/١٤١)

والمراد بأهله ابنتاه فأما القطع فهو بمعنى القطعة يقال مضى قطع من الليل أي قطعة قال ابن عباس يريد به آخر الليل قال ابن قتيبة بقطع أي ببقية تبقي من آخره وقال ابن الأنباري ذكر القطع بمعنى القطعة مختص بالليل ولا يقال عندي قطع من الثوب بمعنى عندي قطعة قوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد فيه قولان
أحدهما أنه بمعنى لا يتخلف منكم أحد قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أنه الالتفات المعروف قاله مجاهد ومقاتل
قوله تعالى إلا امرأتك قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بنصب التاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن جماز عن أبي جعفر برفع التاء قال الزجاج من قرأ بالنصب فالمعنى فأسر بأهلك إلا امرأتك ومن قرأ بالرفع حمله على ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك وإنما أمروا بترك الالتفات لئلا يروا عظيم ما ينزل بهم من العذاب قاله ابن الأنباري وعلى قراءة الرفع يكون الاستثناء منقطعا معناه لكن امرأتك فإنها تلتفت فيصيبها ما أصابهم فإذا كان استثناء منقطعا كان التفاتها معصية لربها لأنه ندب إلى ترك الالتفاف قال قتادة ذكر لنا أنها كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما سمعت هدة العذاب التفتت فقالت واقوماه فأصابها حجر فأهلكها وهو قوله إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم للعذاب الصبح قوله تعالى أليس الصبح بقريب قال المفسرون قالت الملائكة إن موعدهم الصبح فقال أريد أعجل من ذلك فقالوا له أليس الصبح بقريب

فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد

قوله تعالى فلما جاء أمرنا فيه ثلاثة أقوال

أحدها أمر الله الملائكة بعذابهم

والثاني أن الأمر بمعنى العذاب

والثالث أنه بمعنى القضاء بعذابهم

قوله تعالى جعلنا عاليها سافلها الكناية تعود إلى المؤتفكات وهي قرى قوم لوط وقد ذكرناها في براءة ٧٠ ونحن نشير إلى قصة هلاكهم ها هنا قال ابن عباس أمر جبريل لوطا بالخروج وقال اخرج وأخرج غنمك وبقرك فقال كيف لي بذلك وقد أغلقت أبواب المدينة فبسط جناحه وحمله وبنتيه ومالهم شيء فأخرجهم من المدينة وسأل جبريل ربه فقال يا رب ولني هلاك هؤلاء القوم فأوحى الله إليه أن تول هلاكهم فلما أن بدا الصبح غدا عليهم جبريل فاحتملها على جناحه ثم صعد بها حتى خرج الطير في الهواء لا يدري أين يذهب ثم كفأها عليهم وسمعوا وجبة شديدة فالتفت امرأة لوط فرماها جبريل بحجر فقتلها ثم صعد حتى أشرف على الأرض فجعل يتبعهم مسافرهم ورعاتهم ومن تحول عن القرية فرماهم بالحجارة حتى قتلهم وقال السدي اقتلع جبريل الأرض من سبع أرضين فاحتملها حتى بلغ بها إلى أهل السماء الدنيا حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبهاوقال غيره كانت خمس قرى أعظمها سدوم وكان القوم أربعة آلاف ألف وقيل كان في كل قرية مائة ألف مقاتل فلما رفعها إلى السماء لم ينكسر لهم إناء ولم

يسقط حتى قلبها عليهم وقيل نجا من الخمس واحدة لم تكن تعمل مثل عملهم وانفرد سعيد بن جبير فقال إن جبريل وميكائيل توليا قلبها

قوله تعالى وأمطرنا عليها في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى القرى

والثاني إلى الأمة

وفي السجل سبعة أقوال

أحدها أنها بالفارسية سنك وكل السنك الحجر والكل الطين هذا قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن

جبير وقال مجاهد أولها حجر وآخرها طين وقال الضحاك يعني الآجر قال ابن قتيبة من ذهب إلى هذا القول اعتبره بقوله حجارة من طين الذاريات ٣٣ يعنى الآجر وحكى الفراء أنه طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الأرحاء

واالثاني أنه بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض ومنه نزلت الحجارة قاله عكرمة

والثالث أن السجيل اسم السماء الدنيا فالمعنى حجارة من السماء الدنيا قاله قاله ابن زيد

والرابع أنه الشديد من الحجارة الصلب قاله أبو عبيدة وأنشد لابن مقبل ... ورجلة يضربون البيض عن عرض ... ضربا تواصت به الأبطال سجينا

(٤/١٤٤)

ورد هذا القول ابن قتيبة فقال هذا بالنون وذاك باللام وإنما هو في هذا البيت فعيل من سجنت أي حبست كأنه يثبت صاحبه

والخامس أن قوله من سجيل كقولك من سجل أي مما كتب لهم أن يعذبوا به وهذا اختيار الزجاج

والسادس أنه من أسجلته أي أرسلته فكأنها مرسلة عليهم

والسابع أنه من أسجلت إذا أعطيت حكى القولين الزجاج

وفي قوله منضود ثلاثة أقوال

أحدها يتبع بعضه بعضا قاله ابن عباس

والثاني مصفوف قاله عكرمة وقتادة

والثالث نضد بعضه على بعض لأنه طين جمع فجعل حجارة قاله الربيع بن أنس

قوله تعالى مسومة قال الزجاج أي معلمة أخذ من السومة وهي العلامة

وفي علامتها ستة أقوال

أحدها بياض في حمرة رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال الحسن

والثاني أنها كانت مختومة فالحجر أبيض وفيه نقطة سوداء أو أسود وفيه نقطة بيضاء رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث أنها المخططة بالسواد والحمرة رواه أبو صالح عن ابن عباس

والرابع عليها نضح من حمرة فيها خطوط حمر على هيأة الجزع قاله عكرمة وقتادة

(٤/١٤٥)

والخامس أنها كانت معلمة بعلامة يعرف بها أنها ليست من حجارة الدنيا قاله ابن جريج
والسادس أنه كان على كل حجر منها اسم صاحبه قاله الربيع وحكي عن بعض من رأى تلك الحجارة أنه قال كانت مثل رأس الأبل ومثل مبارك الأبل ومثل قبضة الرجل
وفي قوله تعالى عند ربك أربعة أقوال
أحدها أن المعنى جاءت من عند ربك قاله ابن عباس ومقاتل
والثاني عند ربك معدة قاله أبو بكر الهزلي
والثالث أن المعنىهذا التسويم لزم هذه الحجارة عند الله إيذانا بنفاذ قدرته وشدة عذابه قاله ابن الأنباري
والرابع أن معنى قوله عند ربك في خزائنه التي لايتصرف في شيء منها إلا بإذنه
قوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد في المراد بالظالمين ها هنا ثلاثة أقوال
أحدها أن المراد بالظالمين ها هنا كفار قريش خوفهم الله بها قاله الأكثرون
والثاني أنه عام في كل ظالم قال قتادة والله ما أجار الله منها ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر
والثالث أنهم قوم لوط فالمعنى وما هي من الظالمين أي من قوم لوط ببعيد والمعنى لم تكن لتخطئهم قاله الفراء

(٤/١٤٦)

وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان إني أرايكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين
قوله تعالى وإلى مدين قد ذكرناه في الأعراف ٨٥
قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان أي لاتطففوا وكانوا يطففون مع كفرهم
قوله تعالى إني أراكم بخير فيه قولان
أحدهما أنه رخص الأسعار قاله ابن العباس والحسن ومجاهد
والثاني سعة المال وهو مروي عن ابن عباس أيضا وبه قال قتادة وابن زيد وقال الفراء أموالكم كثيرة وأسعاركم رخيصة فأي حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل
قوله تعالى وأني أخاف عليكم عذاب يوم محيط فيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه غلاء السعر قاله ابن عباس وقال مجاهد القحط والجدب والغلاء
والثاني العذاب في الدنيا وهوالذي أصابهم قاله مقاتل

والثالث عذاب النار في الآخرة ذكره الماوردي

قوله تعالى أوفوا المكيال والميزان بالقسط أي أتموا ذلك بالعدل والإيفاء الإتمام ولا تعثوا في الأرض مفسدين بنقص المكيال والميزان

(١٤٧/٤)

بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب أصلوتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشؤا إنك لأنت الحليم الرشيد قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهيكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أن أنيب ويا قوم لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مل مثل أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقة كثيرا مما تقول وإنا لنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعملون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود

قوله تعالى بقية الله خير لكم فيه ثمانية أقوال

أحدها ما أبقي الله لكم الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خير من البخس قاله ابن عباس

(١٤٨/٤)

والثاني رزق الله خير لكم روى عن ابن عباس أيضا وبه قال سفيان

والثالث طاعة الله خير لكم قاله مجاهد والزجاج

والرابع حظكم من الله خير لكم قاله قتادة

والخامس رحمة الله خير لكم قال ابن زيد

والسادس وصية الله خير لكم قاله الربيع

والسابع ثواب الله في الآخرة خير لكم قال مقاتل

والثامن مراقبة الله خير لكم ذكره الفراء وقرأ الحسن البصري نقية الله خير لكم بالتاء

قوله تعالى إن كنتم مؤمنين شرط الإيمان في كونه خيرا لهم لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عز و جل عرفوا

صحة ما يقول وفي قوله وما أنا عليكم بحفيظ ثلاثة أقوال
أحدها ما أمرت بقتالكم وإكراهكم على الإيمان
والثاني ما أمرت بمراقبتكم عند كيلكم لئلا تبخسوا
والثالث ما أحفظكم من عذاب الله إن نالكم
قوله تعالى أصلواتك تأمرك وقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص أصلاتك على التوحيد
وفي المراد بصلواته ثلاثة أقوال أحدها دينة قاله عطاء والثاني قراءته قاله الأعمش والثالث أنها الصلوات المعروفة وكان شعيب كثير الصلاة
قوله تعالى أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء قال الفراء معنى الآية أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء

وفي معنى الكلام على قراءة من قرأ بالنون قولان
أحدهما أن فعلهم في أموالهم هو البخس والتطفيف قاله ابن عباس فالمعنى قد تراضينا فيما بيننا بذلك
والثاني أنهم كانوا يقطعون الدراهم والدنانير فنهاهم عن ذلك قاله ابن زيد وقال القرظي عذبوا في قطعهم الدارهم قال ابن الأنباري وقرأ الضحاك بن قيس الفهري ما تشاء بالتاء ونسق أن تفعل على أن تترك واستغنى عن الإضمار قال سفيان الثوري في معنى هذه القراءة أنه أمرهم بالزكاة فامتنعوا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وابن أبي عبلة أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء بالتاء فيهما ومعنى هذه القراءة كمعنى قراءة الفهري
وفي قوله إنك لأنت الحليم الرشيد أربعة أقوال
أحدها أنهم قالوه استهزاء به رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال قتادة والفراء
والثاني أنهم قالوا له إنك لأنت السفيه الجاهل فكنى بهذا عن ذلك ذكره الزجاج
والثالث أنهم سبوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد فأثنى الله عز و جل عليه فقال بل إنك لأنت الحليم الرشيد لا كما قال لك الكافرون حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي
والرابع أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة وقالوا أنت حليم رشيد فلم تنهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء حكاه الماوردي وذهب إلى نحوه ابن كيسان
قوله تعالى إن كنت على بينة من ربي قد تقدم تفسيره هود ٢٨ و ٦٣

وفي قوله ورزقني منه رزقا حسنا ثلاثة أقوال
أحدها أنه الحلال قال ابن عباس وكان شعيب كثير المال
والثاني النبوة والثالث العلم والمعرفة
قال الزجاج وجواب الشرط هاهنا متروك والمعنى إن كنت على بينة من ربي أتبع الضلال فترك الجواب لعلم المخاطبين بالمعنى وقد مر مثل هذا
قوله تعالى وما أريد أن أخلفكم إلى ما أنهاكم عنه قال قتادة لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم أرتكبه وقال الزجاج ما أقصد بخلافكم القصد إلى ارتكابه
قوله تعالى إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت أي ما أريد بما آمركم به إلا إصلاح أموركم بقدر طاقتي وقدر طاقتي إبلاغكم لا إجباركم
قوله تعالى وما توفيقي إلا بالله فتح تاء توفيقي أهل المدينة وابن عامر ومعنى الكلام ما أصابتي الحق في محاولة صلاحكم إلى بالله عليه توكلت أي فوضت أمري وذلك أنهم تواعدوه بقولهم لنخرجنك يا شعيب الأعراف ٨٨ وإليه أنيب أي أرجع
قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي حرك هذه الياء ابن كثير وأبو عمرو ونافع قال الزجاج لا تكسبنكم عداوتكم إياي أن تعذبوا
قوله تعالى وما قوم لوط منكم ببعيد فيه قولان
أحدهما أنهم كانوا قريبا من مساكنهم
والثاني أنهم كانوا حديثي عهد بعذاب قوم لوط قال الزجاج كان إهلاك قوم لوط أقرب الإهلاكات التي عرفوها قال ابن الأنباري إنما وحد بعيدا لأنه أزاله عن صفة القوم وجعله نعتا مكان محذوف تقديره وما قوم لوط منكم بمكان بعيد

قوله تعالى إن ربي رحيم ودود قد سبق معنى الرحيم
فأما الودود فقال ابن الأنباري معناه المحب لعباده من قولهم وددت الرجل أوده ودا وودا وودا ويقال وددت الرجل ودادا وو دادة وودادة وقال الخطابي هو اسم مأخوذ من الود وفيه وجهان
أحدهما أن يكون فعولا في محل مفعول كما قيل رجل هيوب بمعنى مهيب وفرس ركوب يمعنى مركوب فالله سبحانه مودود في قلوب أوليائه لما يتعرفونه من إحسانه إليهم
والوجه الآخر أن يكون بمعنى الواد أي أنه يود عباده الصالحين بمعنى أنه يرضى عنهم بتقبل أعمالهم ويكون معناه أن يوددهم إلى خلقه كقوله سيجعل لهم الرحمن ودا مريم ٩٦

قوله تعالى ما نفقه كثيرا مما تقول قال ابن الأنباري معناه ما نفقه صحة كثير مما تقول لأنهم كانوا يتدينون بغيره ويجوز أن يكونوا لاستثقالهم ذلك كأنهم لا يفقهونه

قوله تعالى وإنا لنراك فينا ضعيفا وفيه أربعة أقوال

أحدها ضريرا قال ابن عباس وابن جبير وقتادة كان أعمى قال الزجاج ويقال إن حمير تسمي المكفوف ضعيفا

والثاني ذليلا قاله الحسن وأبو روق ومقاتل

وزعم أبو روق أن الله لم يبعث نبيا أعمى ولا نبييا به زمانة

والثالث ضعيف البصر قاله سفيان

والرابع عاجزا عن التصرف في المكاسب ذكره ابن الأنباري

(١٥٢/٤)

قوله تعالى ولولا رهطك لرجمناك قال الزجاج لولا عشيرتك لقتلناك بالرجم والرجم من سيء القتلات وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم وذكر بعضهم أن الرجم هاهنا بمعنى الشتم والأذى

قوله تعالى وما أنت علينا بعزيز فيه قولان

أحدهما بكريم والثاني بممتنع أن نقتلك

قوله تعالى أرهطي أعز عليكم من الله وأسكن ياء رهطي أهل الكوفة ويعقوب والمعنى أتراعون رهطي في ولا تراعون الله في

قوله تعالى واتخذتموه وراءكم في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الله تعالى قاله الجمهور قال الفراء المعنى رميتم بأمر الله وراء ظهوركم قال الزجاج والعرب تقول لكل من لا يعبأ بأمر قد جعل فلان هذا الأمر بظهر قال الشاعر ... تميم بن قيس لا تكونن حاجتي ... بظهر فلا يعيا علي جوابها ...

والثاني أنها كناية عما جاء به شعيب قاله مجاهد

قوله تعالى إن ربي بما تعملون محيط أي عالم بأعماكم فهو بجازيكم بها وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله سوف تعلمون الأنعام ١٣٥

فإن قال قائل كيف قال هاهنا سوف وفي سورة أخرى فسوف الأنعام ١٣٥

فالجواب أن كلا الأمرين حسن عند العرب إن أدخلوا الفاء دلوا على اتصال ما بعد الكلام بما قبله وإن أسقطوها بنوا الكلام الأول على أنه قد تم

(١٥٣/٤)

وما بعده مستأنف كقوله إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا البقرة ٦٧ والمعنى فقالوا أتتخذنا بالفاء فحذفت الفاء لتمام ما قبلها قال امرؤ القيس ... فقالت يمين الله مالك حيلة ... وما إن أرى عنك الغواية تنجلي ...

... خرجت بها أمشي تجر وراءنا ... على إثرنا أذيال مرط مرحل ...

قال ابن الأنباري أراد فخرجت فأسقط الفاء لتمام ما قبلها ويروى فقمت بها أمشي

قوله تعالى وارتقبوا إني معكم رقيب قال ابن عباس ارتقبوا العذاب فإني أرتقب الثواب

قوله تعالى وأخذت الذين ظلموا الصيحة قال المفسرون صاح بهم جبريل فماتوا في أمكنتهم قال محمد بن كعب عذب أهل مدين بثلاثة أصناف من العذاب أخذتهم رجفة في ديارهم حتى خافوا أن تسقط عليهم فخرجوا منها فأصابهم حر شديد فبعث الله الظلة فتنادوا هلم إلى الظل فدخلوا جميعا في الظلة فصيح بهم صيحة واحدة فماتوا كلهم قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعذاب واحد إلا قوم شعيب وصالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فأخذتهم من فوقهم نشأت لهم سحابة كهيئة الظلة فيها ريح بعد أن امتنعت الريح عنهم فأتوها يستطلون تحتها فأحرقتهم

قوله تعالى كما بعدت ثمود أي كما هلكت ثمود

(١٥٤/٤)

قال ابن قتيبة يقال بعد يبعد إذا كان بعده هلكة وبعد يبعد إذا نأى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد

قوله تعالى ولقد أرسنا موسى بآياتنا قال الزجاج بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته وسلطان مبين اي حجة بينة

قوله تعالى فاتبعوا أمر فرعون وهو ما أمرهم به من عبادته واتخاذه آلها وما أمر فرعون برشيد أي مرشد إلى خير يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود

قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة قال الزجاج يقال قدمت القوم أقدمهم قدما وقدوما إذا تقدمتهم والمعنى يقدمهم إلى النار ويدل عليه قوله فأوردهم النار قال ابن عباس أرودهم بمعنى أدخلهم وقال قتادة يمضي بين ايديهم حتى يهجم بهم على النار

قوله تعالى وبئس الورد المورود قال المفسرون الورد الموضع الذي ترده وقال ابن الأنباري الورد مصدر معناه الورود تجعله العرب بمعنى الموضع المورود فتلخيص الحرف وبئس المدخل المدخول النار

واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود
قوله تعالى وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة
في هذه اللعنة قولان

(٤/١٥٥)

أحدهما أنها في الدنيا الغرق وفي الآخرة عذاب النار هذا قول الكلبي ومقاتل
والثاني أنها اللعنة في الدنيا من المؤمنين وفي الآخرة من الملائكة ذكره الماوردي
قوله تعالى بئس الرفد المرفود قال ابن قتيبة الرفد العطية يقول اللعنة بئس العطية يقال رفدته أرفده إذا أعطيته واعنته والمرفود المعطى ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد
قوله تعالى ذلك من أنباء القرى يعني ما تقدم من الخبر عن القرى المهلكة نقصه عليك أي نخبرك به منها قائم وحصيد قال قتادة القائم ما يرى مكانه والحصيد لا يرى أثره وقال ابن قتيبة القائم الظاهر العين والحصيد الذي قد أبيد وحصد وقال الزجاج القائم ما بقيت حيطانه والحصيد الذي خسف به وما قد امحى أثره وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب
قوله تعالى وما ظلمناهم أي بالعذاب والإهلاك ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي فما أغنت عنهم آلهتهم أي فما نفعتهم ولا دفعت عنهم شيئا لما جاء أمر ربك بالهلاك وما زادوهم يعني الآلهة غير تتبيب وفيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه التخسير رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال مجاهد

(٤/١٥٦)

وقتادة واختاره ابن قتيبة والزجاج والثاني أنه الشر قاله ابن زيد والثالث التدمير والإهلاك قاله أبو عبيدة
فإن قيل الآلهة جماد فكيف قال زادوهم فعنه جوابان
أحدهما وما زادتهم عبادتها
والثاني أنها في القيامة تكون عونا عليهم فتزيدهم شرا وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد
قوله تعالى وكذلك أخذ ربك أي وكما ذكر من إهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة وصف القرى بالظلم والمراد أهلها وقال ابن عباس الظلم هاهنا بمعنى الكفر إن في ذلك

لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره إلا لأجل معدود قوله تعالى إن في ذلك لآية يعني ما ذكر من عذاب الأمم وأخذهم والآية العبرة والعظة ذلك يوم مجموع له الناس لأن الخلق يحشرون فيه ويشهده البر والفاجر وأهل السماء والأرض وما نؤخره وروى زيد عن يعقوب وابو زيد عن المفضل وما يؤخره بالياء والمعنى وما نؤخر ذلك اليوم إلا لوقت معلوم لا يعلمه إلا الله يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق

(١٥٧/٤)

خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ

قوله تعالى يوم يأت قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي يوم يأتي بياء في الوصل وحذفوها في الوقف غير أن ابن كثير كان يقف بالياء ويصل بالياء وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة بغير ياء في الوصل والوقف قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم يأتي باثبات الياء والذي في المصحف وعليه أكثر القراءات بكسر التاء وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيرا وقد حكى الخليل وسيبويه أن العرب تقول لا أدر فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة ويزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال وقال الفراء كل ياء ساكنة وما قبلها مكسور أو واو ساكنة وما قبلها مضموم فإن العرب تحذفها وتجتزئ بالكسرة من الياء وبالضمة من الواو وانشدني بعضهم ... كفاك كف ما تليق درهما ... جودا وأخرى تعط بالسيف الدما ...

قال المفسرون وقوله يوم يأتي يعني يأتي ذلك اليوم لا تكلم نفس إلا بإذن الله فكل الخلائق ساكتون إلا من أذن الله له في الكلام وقيل المراد بهذا الكلام الشفاعة

قوله تعالى فمنهم شقي قال ابن عباس منهم من كتبت عليه الشقاوة ومنهم من كتبت له السعادة

قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق فيه ثلاثة أقوال

أحدها أن الزفير كزفير الحمار في الصدر وهو أول ما ينهق والشهيق كشهيق الحمار في الحلق وهو آخر ما يفرغ من نهيقه رواه أبو صالح عن ابن

(١٥٨/٤)

عباس وبه قال الضحاك ومقاتل والفراء وقال الزجاج الزفير شديد الأنين وقبيحه والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا وهما من أصوات المكروبين وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أن الزفير بمنزلة

ابتداء صوت الحمار في النهيق والشهيق بمنزلة آخر صوته في النهيق
والثاني أن الزفير في الحلق والشهيق في الصدور رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال أبو العالية والربيع بن أنس وفي رواية أخرى عن ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال ابن فارس الشهيق ضد الزفير لأن الشهيق رد النفس والزفير إخراج النفس وقال غيره الزفير الشديد مأخوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته والشهيق النفس الطويل الممتد مأخوذ من قولهم جبل شاهق أي طويل
والثالث أن الزفير زفير الحمار والشهيق شهيق البغال قاله ابن السائب
قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض المعروف فيه قولان
أحدهما أنها السموات المعروفة عندنا والأرض المعروفة قال ابن قتيبة وابن الأنباري للعرب في معنى الأبد الفاظ تقول لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السموات ولأرض وما اختلفت الجرة والدرة وما أطت الإبل في أشباه لهذا كثيرة ظنا منهم أن هذه الأشياء لا تتغير فخاطبهم الله بما يستعملون في كلامهم

(١٥٩/٤)

والثاني أنها سموات الجنة والنار وأرضهما
قوله تعالى إلا ما شاء ربك في الاستثناء المذكور في حق أهل النار سبعة أقوال
أحدها أن الاستثناء في حق الموحدين الذين يخرجون بالشفاعة قاله ابن عباس والضحاك
والثاني أنه استثناء لا يفعله تقول والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك على ضربه ذكره الفراء وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس إلا ما شاء ربك قال فقد شاء أن يخلدوا فيها قال الزجاج وفائدة هذا أنه لو شاء أن يرحمهم لرحمهم ولكنه أعلمنا أنهم خالدون أبدا
والثالث أن المعنى خالدين فيها أبدا غير أن الله تعالى يأمر النار فتأكلهم وتفنيهم ثم يجدد خلقهم فيرجع الاستثناء إلى تلك الحال قاله ابن مسعود
والرابع أن إلا بمعنى سوى تقول لو كان معنا رجل إلا زيد أي سوى زيد فالمعنى خالدين فيها مقدار دوام السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الخلود والزيادة وهذا اختيار الفراء قال ابن قتيبة ومثله في الكلام أن تقول لأسكننك في هذه الدار حولا إلا ما شئت تريدك سوى ما شئت أن أزيدك
والخامس أنهم إذا حشروا وبعثوا فهم في شروط القيامة فالاستثناء واقع في الخلود بمقدار موقفهم في الحساب فالمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسبة ذكره الزجاج

وقال ابن كيسان الاستثناء يعود إلى مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب قال ابن قتيبة فالمعنى خالدين في النار وخالدين في الجنة دوام السماء والأرض إلا ما شاء ربك

(٤/١٦٠)

من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك فكأنه جعل دوام السماء والأرض بمعنى الأبد على ما كانت العرب تستعمل وإن كانتا قد تتغيران واستثنى المشيئة من دوامهما لأن أهل الجنة والنار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السماء والأرض في الدنيا لا في الجنة ولا في النار

والسادس أن الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيرا وشهيقا إلا ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تذكر وكذلك لأهل الجنة نعيم مما ذكر ولهم مما يذكر ما شاء ربك ذكره الزجاج أيضا

والسابع أن إلا بمعنى كما ومنه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف النساء ٢٢ ذكره الثعلبي

فأما الاستثناء في حق أهل الجنة ففيه ستة أقوال

أحدها أنه استثناء لا يفعله والثاني أن إلا بمعنى سوى والثالث أنه يرجع إلى وقوفهم للحساب ولبثهم في القبور والرابع أنه يمعنى إلا ما شاء أن يزيدهم من النعيم الذي لم يذكر والخامس أن إلا ك ما وهذه الأقوال قد سبق شرحها والسادس أن الاستثناء يرجع إلى لبث من لبث في النار من الموحدين ثم أدخل الجنة قاله ابن عباس والضحاك ومقاتل قال ابن قتيبة فيكون الاستثناء من الخلود مكث أهل الذنوب من المسلمين في النار فكأنه قال إلا ما شاء ربك من أخراج المذنبين إلى الجنة وخالدين في الجنة إلا ما شاء ربك من إدخال المذنبين النار مدة

واختلف القراء في سعدوا فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن

(٤/١٦١)

عامر وأبو بكر عن عاصم سعدوا بفتح السين وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بضمها وهما لغتان

قوله تعالى عطاء غير مجذوذ نصب عطاء بما دل عليه الكلام كأنه قال أعطاهم النعيم عطاء والمجذوذ المقطوع قال ابن قتيبة يقال جذذت وجددت وجذفت وجدفت إذا قطعت فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص

قوله تعالى فلا تك في مرية أي فلا تك يا محمد في شك مما يعبد هؤلاء المشركون من الأصنام أنه

باطل وضلال إنما يقلدون آباءهم وإنا لموفهم نصيبهم وفيه ثلاثة أقوال
أحدها ما قدر لهم من خير وشر قاله ابن عباس والثاني نصيبهم من الرزق قاله أبو العالية والثالث نصيبهم من العذاب قاله ابن زيد وقال بعضهم لا ينقصهم من عذاب آبائهم ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب
قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه فمن مصدق به ومكذب كما فعل قومك بالقرآن قال المفسرون وهذه تعزية للنبي صلى الله عليه و سلم
قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك قال ابن عباس يريد إني أخرت أمتك إلى يوم القيامة ولولا ذلك لعجلت عقاب من كذبك وقال ابن قتيبة لولا نظرة لهم إلى يوم الدين لقضي بينهم في الدنيا وقال ابن جرير

(١٦٢/٤)

سبقت من ربك أنه لا يعجل على خلقه بالعذاب لقضي بين المصدق منهم والمكذب باهلاك المكذب وإنجاء المصدق
قوله تعالى وإنهم لفي شك منه أي من القرآن مريب أي موقع للريب وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير
قوله تعالى وإن كلا يشير إلى جميع من قص قصته في هذه السورة وقال مقاتل يعني به كفار هذه الأمة وقيل المعنى وإن كلا لخلق أو بشر ليوفينهم قرأ أبو عمرو والكسائي وإن مشددة النون لما خفيفة واللام في لما لام التوكيد دخلت على ما وهي خبر إن واللام في ليوفينهم اللام التي يتلقى بها القسم والتقدير والله ليوفينهم ودخلت ما للفصل بين اللامين قال مكي بن أبي طالب وقيل إن ما زائدة لكن دخلت لتفصل بين اللامين اللذين يتلقيان القسم وكلاهما مفتوح ففصل ب ما بينهمأ وقرأ ابن كثير وإن بالتخفيف وكذلك لما قال سيبويه حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول إن عمرا لمنطلق فيخففون إن ويعملونها وأنشد ... ووجه حسن النحر ... كأن ثدييه حقان

(١٦٣/٤)

وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم وإن خفيفة لما مشددة والمعنى وما كلا إلا وهذا كما تقول سألتك لما فعلت وإلا فعلت ومثله قوله إن كل نفس لما عليها حافظ الطارق ٤ وقرأ حمزة وابن عامر وحفص عن عاصم وإن بالتشديد لما بالتشديد أيضا قال أبو علي هذه قراءة مشكلة لأنه كما لا يحسن إن زيدا إلا

منطلق كذلك لا يحسن تثقيل إن وتثقيل لما وحكى عن الكسائي أنه قال لا أعرف وجه التثقيل في لما ولم يبعد فيما قال وقال مكي بن أبي طالب الأصل فيها لمن ما ثم أدغمت النون في الميم فاجتمعت ثلاث ميمات في اللفظ فحذفت الميم المكسورة والتقدير وإن كلا لمن خلق ليوفينهم قال وقيل التقدير لمن ما بفتح الميم في من فتكون ما زائدة وتحذف إحدى الميمات لتكرير الميم في اللفظ والتقدير لخلق ليوفينهم ومعنى الكلام ليوفينهم جزاء أعمالهم فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير

قوله تعالى فاستقم كما أمرت قال ابن عيينة استقم على القرآن وقال ابن قتيبة امض على ما أمرت به

قوله تعالى ومن تاب معك قال ابن عباس من تاب معك من الشرك

قوله تعالى ولا تطغوا فيه ثلاثة أقوال

أحدها لا يطغوا في القرآن فتحلوا وتحرموا مالم آمركم به قاله ابن عباس

والثاني لا تعصوا ربكم ولا تخالفوه قاله ابن زيد

والثالث لا تخلطوا التوحيد بشك قاله مقاتل

(٤/١٦٤)

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون

قوله تعالى ولا تركنوا إلى الذين ظلموا روى عبد الوارث عن أبي عمرو تركنوا بفتح التاء وضم الكاف وهي قراءة قتادة وروى هارون عن أبي عمرو تركنوا بفتح التاء وكسر الكاف وروى محبوب عن أبي عمرو تركنوا بكسر التاء وفتح الكاف وقرأ ابن أبي عبلة تركنوا بضم التاء وفتح الكاف على مالم يسم فاعله وفي المراد بهذا الركون أربعة أقوال

أحدها لا تميلوا إلى المشركين قاله ابن عباس والثاني لا ترضوا أعمالهم قاله أبو العالية والثالث لا تلحقوا بالمشركين قاله قتادة والرابع لا تداهنوا الظلمة قاله السدي وابن زيد

وفي قوله فتمسكم النار وجهان أحدهما فتصيبكم النار قاله ابن عباس والثاني فيتعدى إليكم ظلمهم كما تتعدى النار إلى إحراق ما جاورها ذكره الماوردي

قوله تعالى وما لكم من دون الله من أولياء أي ليس لكم أعوان يمنعونكم من العذاب وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من اليل إن الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين

قوله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار أما سبب نزولها فروى علقمة والأسود عن ابن مسعود أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه و سلم إني أخذت امرأة في البستان فقبلتها وضممتها إلي وباشرتها وفعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها

(٤/١٦٥)

فسكت النبي صلى الله عليه و سلم فأنزل الله تعالى وأقم الصلاة طرفي النهار الآية فدعا الرجل فقرأها عليه فقال عمر أهي له خاصة أم للناس كافة قال لا بل للناس كافة وفي رواية أخرى عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله فذكر ذلك له فنزلت هذه الآية فقال الرجل إلي هذه الآية فقال لمن عمل بها من أمتي وقال معاذ بن جبل كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فجاء رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل أصاب من امرأة مالا يحل له فلم يدع شيئا يصيبه الرجل من امرأته إلا أصابه منها غير أنه لم يجامعها فقال له النبي صلى الله عليه و سلم توضأ وضوءا حسنا ثم قم فصل فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال معاذ أهي له خاصة أم للمسلمين عامة فقال بل هي للمسلمين عامة واختلفوا في إسم هذا الرجل فقال أبو صالح عن ابن عباس هو عمرو بن غزية الأنصاري وفيه نزلت هذه الآية كان يبيع التمر فأتته امرأة تبتاع منه تمرا فأعجبته فقال إن في البيت تمرا أجود من هذا فانطلقي معي حتى أعطيك منه فذكر نحو

(٤/١٦٦)

حديث معاذ وقال مقاتل هو أبو مقبل عامر بن قيس الأنصاري وذكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ أنه أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري وذكر في الذي قال للنبي صلى الله عليه و سلم أله خاصة ثلاثة أقوال

أحدها أنه أبو اليسر صاحب القصة والثاني معاذ بن جبل والثالث عمر بن الخطاب

فأما التفسير فقوله وأقم الصلاة أي أتم ركوعها وسجودها

فأما طرفا النهار ففي الطرف الأول قولان

أحدهما أنه صلاة الفجر قاله الجمهور والثاني أنه الظهر حكاه ابن جرير وفي الطرف الثاني ثلاثة أقوال أحدها أنه صلاة المغرب قاله ابن عباس وابن زيد الثاني العصر قاله قتادة وعن الحسن كالقولين والثالث الظهر والعصر قاله مجاهد والقرظي وعن الضحاك كالأقوال الثلاثة

قوله تعالى وزلفا من الليل وقرأ أبو جعفر وشيبة و زلفا بضم اللام قال أبو عبيدة الزلف الساعات واحدها زلفة أي ساعة ومنزلة وقربة ومنه سميت المزدلفة قال العجاج

(٤/١٦٧)

ناج واه الأين مما أوجفا ... طي الليالي زلفا فزلفا ...

... سماوة الهلال حتى احقوا قفا ...

قال ابن قتيبة ومنه يقال أزلفني كذا عندك أي أدناني والمزالف المنازل والدرج وكذلك الزلف

وفيما للمفسرين قولان

أحدهما أنها صلاة العتمة رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وعوف عن الحسن وابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال ابن زيد

والثاني أنها صلاة المغرب والعشاء روي عن ابن عباس أيضا ورواه يونس عن الحسن ومنصور عن مجاهد وبه قال قتادة ومقاتل والزجاج

قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات في المراد بالحسنات قولان

أحدهما أنها الصلوات الخمس قاله ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومسروق ومجاهد والقرظي والضحاك والمقاتلان ابن سليمان وابن حيان

والثاني أنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر رواه منصور عن مجاهد والأول أصح لأن الجمهور عليه وفيه حديث مسند عن رسول الله صلى الله عليه و سلم رواه عثمان بن عفان عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه توضأ وقال من توضأ وضوئي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح

(٤/١٦٨)

ومن صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر ومن صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينه وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات

فأما السيئات المذكورة هاهنا فقال المفسرون هي الصغائر من الذنوب وقد روى معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله أوصني قال اتق الله حيثما كنت قال قلت زدني قال أتبع السيئة الحسنة تمحها قلت زدني قال خالق الناس بخلق حسن

قوله تعالى ذلك ذكرى للذاكرين في المشار إليه ب ذلك ثلاثة أقوال

أحدها أنه القرآن والثاني إقام الصلاة والثالث جميع ما تقدم من الوصية بالاستقامة والنهي عن الطغيان وترك الميل إلى الظالمين والقيام بالصلاة

(٤/١٦٩)

وفي المراد بالذكرى قولان
أحدهما أنه بمعنى التوبة والثاني بمعنى العظة واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
قوله تعالى واصبر فيما أمر بالصبر عليه قولان
أحدهما لما يلقاه من أذى قومه والثاني الصلاة
وفي المراد بالمحسنين ثلاثة أقوال
أحدها المصلون قاله ابن عباس والثاني المخلصون قاله مقاتل والثالث أنهم المحسنون في أعمالهم قاله أبو سليمان فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين
قوله تعالى فلولا كان من القرون قال ابن عباس والفراء المعنى فلم يكن وقال ابن قتيبة المعنى فهلا كان من القرون من قبلكم أولو بقية وروى ابن جماز عن أبي جعفر أولو بقية بكسر الباء وسكون القاف وتخفيف الياء
وفي معنى أولو بقية ثلاثة أقوال
أحدها أولو دين قاله ابن عباس قال ابن قتيبة يقال قوم لهم بقية وفيهم بقية إذا كانت بهم مسكة وفيهم خير والثاني أولو تمييز والثالث أولو طاعة ذكرهما الزجاج وقال إذا قلت فلان فيه بقية فمعناه فيه فضل
قوله تعالى إلا قليلا استثناء منقطع أي لكن قليلا ممن أنجينا منهم

ممن نهى عن الفساد قال مقاتل لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصي والشرك إلى قليلا ممن أنجينا من العذاب مع الرسل
قوله تعالى واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه أي اتبعوا مع ظلمهم ما أترفوا فيه مع استدامة نعيمهم فلم يقبلوا ما ينقص من ترفهم قال الفراء آثروا اللذات على أمر الآخرة قال ويقال اتبعوا ذنوبهم السيئة إلى النار وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون
قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم فيه قولان
أحدهما بغير جرم قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني بشرك ذكره ابن جرير وابو سليمان وفي قوله وأهلها مصلحون ثلاثة أقوال
أحدها ينتصف بعضهم من بعض رواه قيس بن أبي حازم عن جرير قال أبو جعفر الطبري فيكون المعنى لايهلكهم إذا تناصفوا وإن كانوا مشركين وإنما يهلكهم إذا تظالموا
والثاني مصلحون لأعمالهم متمسكون بالطاعة قاله أبو صالح عن ابن عباس والثالث مؤمنون قاله مقاتل

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة قال ابن عباس لو شاء أن يجعلهم كلهم مسلمين لفعل

قوله تعالى ولا يزالون مختلفين في المشار إليهم قولان

(١٧١/٤)

أحدهما أنهم أهل الحق وأهل الباطل رواه الضحاك عن ابن عباس فيكون المعنى إن هؤلاء يخالفون هؤلاء

والثاني أنهم أهل الأهواء لا يزالون مختلفين رواه عكرمة عن ابن عباس

قوله تعالى إلا من رحم ربك قال ابن عباس هم أهل الحق وقال الحسن أهل رحمة اللة لايختلفون

قولة تعالى ولذلك خلقهم في المشار إلية بذلك أربعة أقوال

أحدها أنه يرجع إلى ماهم عليه قال ابن عباس خلقهم فريقين فريقا يرحم فلا يختلف وفريقا لا يرحم يختلف

والثاني أنه يرجع إلى الشقاء والسعادة قاله ابن عباس أيضا واختاره الزجاج قال لأن اختلافهم مؤديهم إلى سعادة وشقاوة قال ابن جرير واللام في قوله ولذلك بمعنى على

والثالث أنه يرجع إلى الاختلاف رواه مبارك عن الحسن

والرابع أنه يرجع إلى الرحمة رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة فعلى هذا يكون المعنى ولرحمته خلق الذين لا يختلفون في دينهم

قوله تعالى وتمت كلمة ربك قال ابن عباس وجب قول ربك لأملأن جهنم من كفار الجنة وكفار الناس

وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق و موعظة وذكرى للمؤمنين

قوله تعالى وكلا نقص قال الزجاج كلا منصوب ب نقص

(١٧٢/٤)

المعنى كل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك و ما منصوبة بدلا من كل المعنى نقص عليك ما نثبت به فؤادك ومعنى تثبيت الفؤاد تسكين القلب هاهنا ليس للشك ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر كان القلب أثبت

قوله تعالى وجاءك في هذه الحق في المشار إليه ب هذه أربعة أقوال

أحدها أنها السورة قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو العالية ورواه شيبان عن قتادة
والثاني أنها الدنيا فالمعنى وجاءك في هذه الدنيا رواه سعيد عن قتادة وعن الحسن كالقولين
والثالث أنها الأقاصيص المذكورة
والرابع أنها هذه الآية بعينها ذكر القولين ابن الأنباري
وفي المراد بالحق هاهنا ثلاثة أقوال
أحدها أنها البيان والثاني صدق القصص والأنباء والثالث النبوة
فإن قيل أليس قد جاءه الحق في كل القرآن فلم خص هذه السورة
فالجواب أنا إن قلنا إن الحق النبوة فالإشارة ب هذه إلى الدنيا فيكون المعنى وجاءك في هذه الدنيا النبوة فيرتفع الإشكال وإن قلنا إنها السورة فعنه أربعة أجوبة
أحدها أن المراد بالحق البيان وهذه السورة جمعت من تبيين إهلاك الأمم وشرح آمالهم قالهم يجمع غيرها فبان أثر التخصيص وهذا مذهب بعض المفسرين
والثاني أن بعض الحق أوكد من بعض في ظهوره عندنا وخفائه علينا

ولهذا يقول الناس فلان في الحق إذا كان في الموت وإن لم يكن قبله في باطل ولكن لتعظيم ما هو فيه فكأن الحق المبين في هذه السورة أجلى من غيره وهذا مذهب الزجاج
والثالث أنه خص هذه السورة بذلك لبيان فضلها وإن كان في غيرها حق أيضا فهو كقوله والصلاة الوسطى البقرة ٢٣٨ وقوله وجبريل وميكال البقرة ٩٨ وهذا مذهب ابن الأنباري
والرابع أن المعنى وجاءك في هذه السورة الحق مع ما جاءك من سائر السور قاله ابن جرير الطبري
قوله تعالى وموعظة وذكرى للمؤمنين أي يتعظون إذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالأمم فتلين قلوبهم
وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون
قوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم هذا تهديد ووعيد والمعنى اعملوا ما أنتم عاملون فستعلمون عاقبة أمركم وانتظروا ما يعدكم الشيطان إنا منتظرون ما يعدنا ربنا
فصل
قال المفسرون وهذه الآية اقتضت تركهم على أعمالهم والاقتناع بانذارهم وهي منسوخة بآية السيف
واعلم أنه إذا قلنا إن المراد بالآية التهديد لم يتوجه نسخ

ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون قوله تعالى ولله غيب السموات والأرض أي علم ما غاب عن العباد فيهما وإليه يرجع الأمر كله قرأ نافع وحفص عن عاصم يرجع الأمر كله بضم الياء وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم يرجع بفتح الياء والمعنى إن كل الأمور ترجع إليه في المعاد فاعبده أي وحده وتوكل عليه أي ثق به وما ربك بغافل عما يعملون قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم تعملون بالتاء وقرأ الباقون بالياء قال أبو علي فمن قرأ بالياء فالمعنى قل لهم وما ربك بغافل عما يعملون ومن قرأ بالتاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم فهو أعم من الياء وهذا وعيد والمعنى إنه يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال كعب خاتمة التوراة خاتمة هود

(١٧٥/٤)

سورة يوسف عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم آلر تلك آيات الكتاب المبين

فصل في نزولها

هي مكية بالإجماع وفي سبب نزولها قولان أما القول الأول فروي عن سعد بن أبي وقاص قال أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه و سلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى آلر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله نحن نقص عليك أحسن القصص فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني الزمر ٢٣ كل ذلك يؤمرون بالقرآن وقال

(١٧٦/٤)

عون بن عبد الله مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ملة فقالوا يا رسول الله حدثنا فأنزل الله عز و جل الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني الزمر ٢٣ ثم إنهم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله نحن نقص عليك أحسن القصص فأراد الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص والثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه و سلم فقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فأنزل الله عز و جل الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا وذلك أن التوراة بالعبرانية والإنجيل بالسريانية وأنتم قوم عرب ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه وقد بينا تفسير أول هذه السورة في أول يونس إلا أنه قد ذكر ابن الأنباري زيادة وجه في هذه السورة فقال لما لحق أصحاب

رسول الله صلى الله عليه و سلم ملل وسآمة فقالوا له حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل فقال تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها وانصراف الملل هي آيات الكتاب المبين

وفي معنى المبين خمسة أقوال

أحدها البين حلاله وحرامه قاله ابن عباس ومجاهد والثاني المبين للحروف التي تسقط عن ألسن الأعاجم رواه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل والثالث البين هداه ورشده قاله قتادة والرابع المبين للحق من الباطل والخامس البين إعجازه فلا يعارض ذكرهما الماوردي

(١٧٧/٤)

إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون

قوله تعالى إنا أنزلناه في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الكتاب قاله الجمهور والثاني إلى خبر يوسف ذكره الزجاج وابن القاسم

قوله تعالى قرآنا عربيا قد ذكرنا معنى القرآن واشتقاقه في سورة النساء ٨٢ وقد اختلف الناس هل في القرآن شيء بغير العربية أم لا فمذهب أصحابنا أنه ليس فيه شيء بغير العربية وقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن لسانا سوى العربية فقد أعظم على الله القول واحتج بقوله إنا جعلناه قرآنا عربيا الزخرف ٣ وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة أن فيه من غير لسان العرب مثل سجيل و المشكاة و اليم و الطور و أباريق و إستبرق وغير ذلك وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال قال أبو عبيد وهؤلاء أعلم من أبي عبيدة ولكنهم ذهبوا إلى مذهب وذهب هو إلى غيره وكلاهما مصيب إن شاء الله وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل فقال أولئك على الأصل ثم لفظت به العرب بالسنتها فعربته فصار عربيا بتعريبها إياه فهي عربية في هذه الحالة أعجمية الأصل فهذا القول يصدق الفريقين جميعا

قوله تعالى لعلكم تعقلون قال ابن عباس لكي تفهموا نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين

قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص قد ذكرنا سبب نزولها في

(١٧٨/٤)

أول الكلام وقد خصت بسبب آخر فروي عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم إلى سلمان فقالوا حدثنا عن التوراة فإنها حسن ما فيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني قصص القرآن أحسن مما في التوراة قال الزجاج والمعنى نحن نبين لك أحسن

البيان والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها قال وقوله بما أوحينا إليك أي بوحينا إليك هذا القرآن قال العلماء وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص لأنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والأنعام وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والرجال والنساء وحيلهن وذكر التوحيد والفقه والسر وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش والصبر على الأذى والحلم والعز والحكم إلى غير ذلك من العجائب

قوله تعالى وإن كنت في إن قولان

أحدهما أنها بمعنى قد والثاني بمعنى ما

قوله تعالى من قبله قال ابن عباس من قبل نزول القرآن لمن الغافلين عن علم خبر يوسف وما صنع به إخوته إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رءياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين

قوله تعالى إذ قال يوسف لأبيه في إذ قولان

أحدهما أنها صلة للفعل المتقدم والمعنى نحن نقص عليك إذ قال يوسف

والثاني أنها صلة لفعل مضمر تقديره اذكر إذ قال يوسف ذكرهما الزجاج وابن الأنباري

قوله تعالى يا أبت قرأ أبو جعفر وابن عامر بفتح التاء ووقفا بالهاء وافقهما ابن كثير في الوقف بالهاء وقرأ الباقون بكسر التاء فمن فتح التاء أراد يا ابتا فحذف الألف كما تحذف الياء فبقيت الفتحة دالة على الألف كما أن الكسرة تبقى دالة على الياء ومن وقف على الهاء فلان تاء التأنيث تبدل منها الهاء في الوقف وقرأ أبو جعفر أحد عشر وتسعة عشر بسكون العين فيهما

وفي ما رآه يوسف قولان

أحدهما أنه رأى الشمس والقمر والكواكب وهو قول الأكثرين قال الفراء وإنما قال رأيتهم على جمع ما يعقل لأن السجود فعل ما يعقل كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم النمل ١٨ قال المفسرون كانت الكواكب في التأويل إخوته والشمس أمه والقمر أباه فلما قصها على يعقوب أشفق من حسد إخوته وقال السدي الشمس أبوه والقمر خالته لأن أمه كانت قد ماتت

والثاني أنه رآي أبويه وإخوته ساجدين له فكنى عن ذكرهم وهذا مروي عن ابن عباس وقتادة فأما تكرار قوله رأيتهم فقال الزجاج إنما كرره لما طال الكلام توكيدا

وفي سن يوسف لما رأى هذا المنام ثلاثة أقوال

أحدها سبع سنين والثاني اثنتا عشرة سنة والثالث سبع عشرة سنة

قال المفسرون علم يعقوب أن إخوة يوسف يعلمون تأويل رؤياه فقال لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا قال ابن قتيبة يحتالوا لك

(١٨٠/٤)

حيلة ويغتالوك وقال غيره اللام صلة والمعنى فيكيدوك والعدو المبين الظاهر العداوة وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم

قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك قال الزجاج وابن الأنباري ومثل ما رأيت من الرفعة والحال الجليلة يختارك ربك ويصطفيك من بين إخوتك وقد شرحنا في الأنعام ٨٧ معنى الاجتباء وقال ابن عباس يصطفيك بالنبوة

قوله تعالى ويعلمك من تأويل الأحاديث فيه ثلاثة اقوال

أحدها أنه تعبير الرؤيا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة فعلى هذا سمي تأويلا لأنه بيان ما يؤول أمر المنام إليه

والثاني أنه العلم والحكمة قاله ابن زيد

والثالث تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتب ذكره الزجاج قال مقاتل و من هاهنا صلة

قوله تعالى ويتم نعمته عليك فيه ثلاثة أقوال

أحدها بالنبوة قاله ابن عباس

والثاني باعلاء الكلمة

والثالث بأن أحوج إخوته إليه حتى أنعم عليهم ذكرهما الماوردي

وفي آل يعقوب ثلاثة أقوال

أحدها أنهم ولده قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني يعقوب وامرأته وأولاده الأحد عشر أتم عليهم نعمته بالسجود ليوسف قاله مقاتل

(١٨١/٤)

والثالث أهله قاله أبو عبيدة واحتج بأنك إذا صغرت الآل قلت أهيل

قوله تعالى كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحق قال عكرمة فنعمته على إبراهيم أن نجاه من النار ونعمته على إسحاق أن نجاه من الذبح

قوله تعالى إن ربك عليم أي عليم حيث يضع النبوة حكيم في تدبير خلقه لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين

قوله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته أي في خير يوسف وقصة إخوته آيات أي عبر لمن سأل عنهم فكل حال من أحواله آية وقرأ ابن كثير آية قال المفسرون وكان اليهود قد سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قصة يوسف فأخبرهم بها كما في التوراة فعجبوا من ذلك

وفي وجه هذه الآيات خمسة أقوال

أحدها الدلالة على صدق محمد صلى الله عليه و سلم حين أخبر أخبار قوم لم يشاهدهم ولا نظر في الكتب والثاني ما أظهر الله في قصة يوسف من عواقب البغي عليه والثالث صدق رؤياه وصحة تأويله والرابع ضبط نفسه وقهر شهوته حتى قام بحق الأمانة والخامس حدوث السرور بعد اليأس

فإن قيل لم خص السائلين ولغيرهم فيها آيات أيضا فعنه جوابان

أحدهما أن المعنى للسائلين وغيرهم فاكتفى بذكر السائلين من غيرهم كما اكتفى بذكر الحر من البرد في قوله تقيكم الحر النحل ٨١

والثاني أنه إذا كان للسائلين عن خبر يوسف آية كان لغيرهم آية أيضا وإنما خص السائلين لأن سؤالهم نتج الأعجوبة وكشف الخبر

إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين

قوله تعالى إذ قالوا يعني إخوة يوسف ليوسف وأخوه يعنون ابن يامين وإنما قيل له ابن يامين لأن أمه ماتت نفساء ويامين بمعنى الوجع وكان أخاه لأمه وأبيه والباقون إخوته لأبيه دون أمه

فأما العصبة فقال الزجاج هي في اللغة الجماعة الذين أمرهم واحد يتابع بعضهم بعضا في الفعل ويتعصب بعضهم لبعض

وللمفسرين في العصبة ستة أقوال

أحدها أنها ما كان أكثر من عشرة رواه الضحاك عن ابن عباس والثاني أنها ما بين العشرة إلى الأربعين روي عن ابن عباس أيضا وبه قال قتادة والثالث أنها ستة أو سبعة قاله سعيد بن جبير والرابع أنها من عشرة إلى خمسة عشر قاله مجاهد والخامس الجماعة قاله ابن زيد وابن قتيبة والزجاج والسادس عشرة قاله مقاتل وقال الفراء العصبة عشرة فما زاد

قوله تعالى إن أبانا لفي ضلال مين فيه ثلاثة اقوال

أحدها لفي خطأ من رايه قاله ابن زيد والثاني في شقاء قاله مقاتل والمراد به عناء الدنيا والثالث لفي

ضلال عن طريق الصواب الذي يقتضي تعديل المحبة بيننا لأن نفعنا له أعم قال الزجاج ولو نسبوه إلى الضلال في الدين كانوا كفارا إنما أرادوا إنه قدم ابنين صغيرين علينا في المحبة ونحن جماعة نفعنا أكثر اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين

(١٨٣/٤)

قوله تعالى اقتلوا يوسف قال أبو علي قرأ ابن كثير ونافع والكسائي مبين اقتلوا بضم التنوين لأن تحريكه يلزم لالتقاء السكانين فحركوه بالضم ليتبعوا الضمة الضمة كما قالوا مد وظلمات وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة بكسر التنوين فلم يتبعوا الضمة كما قالوا مد ظلمات قال المفسرون وهذا قولهم بينهم أو اطرحوه أرضا قال الزجاج نصب أرضا على إسقاط في وأفضى الفعل إليها والمعنى أو اطرحوه أرضا يبعد بها عن أبيه وقال غيره أرضا تأكله فيها السباع

قوله تعالى يخل لكم وجه أبيكم اي يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا من بعده أي من بعد يوسف قوما صالحين فيه قولان أحدهما صالحين بالتوبة من بعد قتله قاله ابن عباس

والثاني يصلح حالكم عند أبيكم قاله مقاتل وفي قصتهم نكتة عجيبة وهو أنهم عزموا على التوبة قبل الذنب وكذلك المؤمن لا ينسى التوبة وإن كان مرتكبا للخطايا قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون

قوله تعالى قال قائل منهم فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنه يهوذا قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال وهب بن منبه

(١٨٤/٤)

والسدي ومقاتل والثاني أنه شمعون قاله مجاهد والثالث روبيل قاله قتادة وابن إسحاق فأما غيابة الجب فقال أبو عبيدة كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة والجب الركية التي لم تطو وقال الزجاج الغيابة كل ما غاب عنك أو غيب شيئا عنك قال المنخل ... فإن أنا يوما غيبتني غيابتي ... فسيروا بسيري في العشيرة والأهل ...

والجب البئر التي لم تطو سميت جبا من أجل أنها قطعت قطعا ولم يحدث فيها غير القطع من طي وما أشبهه وقال ابن عباس في غيابة الجب أي في ظلماته وقال الحسن في قعره وقرأ نافع غيابات الجب

فجعل كل منه غيابة وروى خارجة عن نافع غيابات بتشديد الياء وقرأ الحسن وقتادة ومجاهد غيبة الجب بغرير ألف مع إسكان الياء وأين كان هذا الجب فيه قولان

أحدهما بأرض الأردن قاله وهب وقال مقاتل هو بأرض الأردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب والثاني ببيت المقدس قاله قتادة

قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة قال ابن عباس يأخذه بعض من يسير إن كنتم فاعلين أي إن أضمرتم له ما تريدون وأكثر القراء قرؤوا يلتقطه بالياء وقرأ الحسن وقتادة وابن أبي عبلة بالتاء قال الزجاج وجميع النحويين يجيزون ذلك لأن بعض السيارة سيارة فكأنه قال تلتقطه سيارة بعض السيارة وقال ابن الأنباري من قرأ بالتاء فقد أنث فعل بعض وبعض مذكر وإنما فعل ذلك حملا على المعنى إذ التأويل تلتقطه السيارة قال الشاعر ... رأت مر السنين أخذن مني ... كما أخذ السرار من الهلال

(١٨٥/٤)

أراد رأت السنين وقال الآخر ... طول الليالي أسرعت في نقضي ... طوين طولي وطوين عرضي ... أرادك الليالي أسرعت وقال جرير ... لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشع ... أراد تواضعت المدينة وقال الآخر ... وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم ...

أراد كما شرقت القناة

قال المفسرون فلما عزم القوم على كيد يوسف قالوا لأبيه مالك لا تأمنا قرأ الجماعة تأمنا بفتح الميم وإدغام النون الأولى في الثانية والإشارة إلى إعراب النون المدغمة بالضم قال مكي لأن الأصل تأمننا ثم أدغمت النون الأولى وبقي الإشمام يدل على ضمة النون الأولى والإشمام هو ضم شفتيك من غير صوت يسمع فهو بعد الإدغام وقبل فتحه النون الثانية وابن كيسان يسمي الإشمام الإشارة ويسمى الروم إشماما والروم صوت ضعيف يسمع خفيا وقرأ أبو جعفر تأمنا بفتح النون من غير إشمام إلى إعراب المدغم وقرأ الحسن مالك لا تأمنا بضم الميم وقرأ ابن مقسم تأمننا بنونين

(١٨٦/٤)

على الأصل والمعنى مالك لا تأمنا على يوسف فترسله معنا فإنه قد كبر ولا يعلم شيئا من أمر المعاش وإنا له لناصحون فيما أشرنا به عليك أرسله معنا غدا إلى الصحراء وقال مقاتل في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا له أرسله معنا فقال إني ليحزنني أن تذهبوا به فقالوا مالك لا تأمنا

قوله تعالى نرتع ونلعب قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو نرتع ونلعب بالنون فيهما والعين ساكنه وافقهم زيد عن يعقوب في نرتع فحسب

وفي معنى نرتع ثلاثة أقوال

أحدها نله قاله الضحاك والثاني نسع قاله قتادة والثالث نأكل يقال رتعت الإبل إذا رعت وأرتعتها إذا تركتها ترعى قال الشاعر ... وحبيب لي إذا لا قيته ... وإذا يخلوا له لحمي رتع ...

أي أكله هذا قول ابن الأنباري وابن قتيبة وقرأ عاصم و حمزة والكسائي يرتع ويلعب بالياء فيهما وجزم العين والباء يعنون يوسف وقرأ نافع نرتع بكسر العين من نرتع من غير بلوغ إلى الياء قال ابن قتيبة ومعناها نتحارس ويرعى بعضنا بعضا أي يحفظ ومنه يقال رعاك الله أي حفظك وقد رويت عن ابن كثير أيضا نرتعي باثبات ياء بعد العين في الوصل والوقف وقرأ أنس وأبو رجاء نرتع بنون مرفوعة وكسر التاء وسكون العين و نلعب بالنون قال أبو عبيدة أي نرتع إبلنا

فأما قوله ونلعب فقال ابن عباس نلهو

(١٨٧/٤)

فإن قيل كيف لم ينكر عليهم يعقوب ذكر اللعب

فالجواب من وجهين أحدهما أنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء قاله أبو عمرو ابن العلاء والثاني أنهم عنوا مباح اللعب قاله الماوردي

قوله تعالى إني ليحزنني أن تذهبوا به أي يحزنني ذهابكم به لأنه يفارقني فلا أراه وأخاف أن يأكله الذئب قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة الذئب بالهمز في الثلاثة المواضع وقرأ الكسائي وأبو جعفر وشيبة بغير همز قال أبو علي الذئب مهموز في الأصل يقال بذاءيت الريح إذا جاءت من كل جهة كما يأتي الذئب

وفي علة تخصيص الذئب بالذكر ثلاثة أقوال

أحدها أنه رأى في منامة أن الذئب شد على يوسف قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني أن أرضهم كانت كثيرة الذئاب قاله مقاتل والثالث أنه خافهم عليه فكنى بذكر الذئب قاله الماوردي

قوله تعالى وأنتم عنه غافلون فيه قولان

أحدهما غافلون في اللعب والثاني مشتغلون برعيتكم

قوله تعالى لئن أكله الذئب ونحن عصبة أي جماعة نرى الذئب قد قصده ولا نرد عنه إنا إذا لخاسرون أي عاجزون قال ابن الأنباري ومن قرأ عصبة بالنصب فتقديره ونحن نجتمع عصبة فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون

قوله تعالى فلما ذهبوا به في الكلام اختصار وإضمار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا وأجمعوا أي عزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب

(١٨٨/٤)

الإشارة إلى قصة ذهابهم

قال المفسرون قالوا ليوسف أما تشتاق أن تخرج معنا فتلعب وتتصيد قال بلى قالوا فسل أباك أن يرسلك معنا قال أفعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا أبانا إن يوسف قد أحب أن يخرج معنا فقال ما تقول يا بني قال نعم يا أبت قد أرى من إخوتي اللين واللطف فأنا أحب أن تأذن لي فأرسله معهم فلما أصحروا أظهروا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعل يلجأ إلى هذا فيضربه وإلى هذا فيؤذيه فلما فطن لما قد عزموا عليه جعل ينادي يا أبتاه يا يعقوب لو رأيت يوسف وما ينزل به من إخوته لأحزنك ذلك وأبكاك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاءا شديدا قال الضحاك عن ابن عباس فأخذه روبيل فجلد به الأرض ثم جثم على صدره وأراد قتله فقال له يوسف مهلا يا أخي لا تقتلني قال يا ابن راحيل صاحب الأحلام قل لرؤياك تخلصك من أيدينا ولوى عنقه ليكسرها فنادى يوسف يا يهوذا اتق الله في وخل بيني وبين من يريد قتلي فأدركته له رحمه فقال يهوذا يا إخوتاه ألا أدلكم على أمر هو خير لكم وأرفق به قالوا وما ذاك قال تلقونه في هذا الجب فيلتقطه بعض السيارة قالوا نفعل فانطلفوا به إلى الجب فخلعوا قميصه فقال يا إخوتاه لم نزعتم قميصي ردوه علي أستر به عورتي ويكون كفنا لي في مماتي فأخرج الله له حجرا في البئر مرتفعا من الماء فاستقرت عليه قدماه وقال السدي جعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا إخوتاه

(١٨٩/٤)

ردوا علي قيمصي أتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا فدلوه في الئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت فكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها فلما ألقوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وقال كعب جمعوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه فبعث الله إليه ملكا فحل عنه وأخرج له حجرا من الماء فقعد عليه وكان يعقوب قد أدرج قميص إبراهيم الذي كساه الله إياه يوم ألقي في النار في قصبة وجعلها في عنق يوسف فألبسه إياه الملك حينئذ وأضاء له الجب وقال الحسن

ألقي في الجب فعذب ماؤه فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض جبريل ليذهب فقال له يوسف إنك إذا خرجت عني استوحشت فقال إذا رهبت شيئا فقل يا صريخ المستصرخين وياغوث المستغيثين ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري فلما قالها حفته الملائكة فاستأنس في الجب ومكث فيه ثلاثة أيام وكان إخوته يرعون حول الجب وقال محمد بن مسلم الطائفي لما ألقي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما أنا فيه قال فما بات فيه

وفي مقدار سنة حين ألقي في الجب أربعة أقوال

(٤/١٩٠)

أحدها اثنتا عشرة سنة قاله الحسن والثاني ست سنين قاله الضحاك والثالث سبع عشرة قاله ابن السائب وروي عن الحسن ايضا والرابع ثمان عشرة

قوله تعالى وأوحينا إليه فيه قولان ١٩١

أحدهما أنه إلهام قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني أنه وحي حقيقة

قال المفسرون أوحي إليه لتخبرن إخوتك بأمرهم أي بما صنعوا بك وأنت عال عليهم

وفي قوله وهم لا يشعرون قولان

أحدهما لا يشعرون أنك يوسف وقت إخبارك لهم قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال مقاتل

والثاني لا يشعرون بالوحي قاله مجاهد وقتادة وابن زيد فعلى الأول يكون الكلام من صلة لتنبئنهم وعلى الثاني من صلة وأوحينا إليه قال حميد قلت للحسن أيحسد المؤمن المؤمن قال لا أبالك ما نساك بني يعقوب وجاؤا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين

قوله تعالى وجاؤوا أباهم عشاء يبكون وقرأ أبو هريرة والحسن وابن السميفع والأعمش عشاء بضم العين

قال المفسرون جاؤوا وقت العتمة ليكونوا أجرأ في الظلمة على الاعتذار بالكذب فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما اصابكم وأين يوسف قالوا يا ابانا إنا ذهبنا نستبق وفيه ثلاثة أقوال

أحدها ننتضل قاله ابن عباس وابن قتيبة قال والمعنى يسابق بعضنا

(٤/١٩١)

بعضا في الرمي والثاني نشتد قاله السدي والثالث نتصيد قاله مقاتل فيكون المعنى على الأول نستبق في الرمي لننظر أينا أسبق سهما وعلى الثاني نستبق على الأقدام وعلى الثالث للصيد

قوله تعالى وتركنا يوسف عند متاعنا أي ثيابنا وما أنت بمؤمن لنا أي يمصدق

وفي قوله ولو كنا صادقين قولان

أحدهما أن المعنى وإن كنا قد صدقنا قاله ابن إسحاق والثاني لو كنا عندك من أهل الصدق لا تهمتنا في يوسف لمحبتك إيان وظننت أنا قد كذبناك قاله الزجاج وجاؤ على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

قوله تعالى وجاؤوا على قيصه بدم كذب قال اللغويون معناه بدم مكذوب فيه والعرب تجعل المصدر في كثير من الكلام مفعولا فيقولون للكذب مكذوب وللعقل معقول وللجلد مجلود قال الشاعر ... حتى إذا لم يتركوا لعظامه ... لحما ولا لفؤاده معقولا ...

أراد عقلا وقال الآخر ... قد والذي سمك السماء بقدره ... بلغ العزاء وأدرك المجلود ...

يريد أدرك الجلد ويقولون ليس لفلان عقد رأي ولا معقود رأي ويقولون هذا ماء سكب يريدون مسكوبا وهذا شراب صب يريدون مصبوبا

(١٩٢/٤)

وماء غور يعنون غائرا ورجل صوم يريدون صائما وامرأة نوح يريدون نائحة وهذا الكلام مجموع قول الفراء والأحفش والزجاج وابن قتيبة في آخرين

قال ابن عباس أخذوا جديا فذبحوه ثم غمسوا قميص يوسف في دمه وأتوه به وليس فيه خرق فقال كذبتم لو كان أكله الذئب لخرق القميص وقال قتادة كان دم ظبية وقرأ ابن أبي عبلة بدم كذبا بالنصب وقرأ ابن عباس والحسن وأبو العالية بدم كذب بالدال غير معجمة أي بدم طري

قوله تعالى بل سولت أي زينت لكم أنفسكم أمرا غير ما تصفون فصبر جميل قال الخليل المعنى فشأني صبر جميل والذي أعتقده صبر جميل وقال الفراء الصبر مرفوع لأنه عزى نفسه وقال ما هو إلا الصبر ولو أمرهم بالصبر لكان نصبا وقال قطرب المعنى فصبري صبر جميل وقرأ ابن مسعود وأبي وأبو المتوكل فصبرا جميلا بالنصب قال الزجاج والصبر الجميل لا جزع فيه ولا شكوى إلى الناس

قوله تعالى والله المستعان على ما تصفون فيه قولان

أحدهما على ما تصفون من الكذب والثاني على احتمال ما تصفون وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون

قوله تعالى وجاءت سيارة أي قوم يسيرون فأرسلوا واردهم قال الأخفش أنث السيارة وذكر الوارد لأن السيارة في المعنى للرجال وقال الزجاج الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم

(١٩٣/٤)

وفي اسم هذا الوارد قولان
أحدهما مالك بن ذعر بن يؤيب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني مجلث بن رعويل قاله وهب بن منبه
قوله تعالى فأدلى دلوه أي أرسلها قال الزجاج يقال أدليت الدلو إذا أرسلتها لتملأها ودلوتها إذا أخرجتها قال يا بشراي قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر يا بشراي بفتح الياء وإثبات الألف وروى ورش عن نافع بشراي و محياي الأنعام ١٦٢ و مثواي يوسف ٢٣ بسكون الياء وقرأ عاصم وحمزة والكسائي يا بشرى بألف بغير ياء وعاصم بفتح الراء وحمزة والكسائي يميلانها قال الزجاج من قرأ يا بشراي فهذا النداء لتنبيه للمخاطبين لأن البشرى لا تجيب ولا تعقل فالمعنى أبشروا ويا أيها البشرى هذا من أوانك وكذلك إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا ويا أيها العجب هذا من حينك وقد شرحنا هذا المعنى هود ٦٩ و ٧٤
فأما قراءة من قرأ يا بشرى فيجوز أن يكون المعنى يا من حضر هذه بشرى ويجوز أن يكون المعنى يا بشرى هذا أوانك على ما سبق بيانه من تنبيه الحاضرين وذكر السدي أنه نادى بذاك أحدهم وكان اسمه بشرى وقال ابن الأنباري يجوز فيه هذه الأقوال ويجوز أن يكون اسم امرأة وقرأ أبو رجاء وابن أبي عبلة يا بشري بتشديد الياء وفتحها من غير ألف قال ابن عباس لما أدلى دلوه تعلق يوسف بالحبل فنظر إليه فإذا غلام أحسن ما يكون من الغلمان فقال لأصحابه البشرى فقالوا ما وراءك قال هذا غلام في البئر فأقبلوا يسألونه الشركة فيه واستخرجوه من الجب

(١٩٤/٤)

فقال بعضهم لبعض اكتموه عن أصحابكم لئلا يسألونكم الشركة فيه فإن قالوا ما هذا فقولوا استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر فجاء إخوة يوسف فطلبوه فلم يجدوه في البئر فنظروا فإذا هم بالقوم ومعهم يوسف فقالوا لهم هذا غلام أبق منا فقال مالك بن ذعر فأنا أشتريه منكم فباعوه بعشرين درهما وحلة ونعلين واسره مالك بن ذعر من أصحابه وقال استبضعناه أهل الماء لنبيعه لهم بمصر
قوله تعالى واسروه بضاعة قال الزجاج بضاعة منصوب على الحال كأنه قال وأسروه جاعليه بضاعة وقال

ابن قتيبة أسروا في أنفسهم أنه بضاعة وتجارة في الفاعلين لذاك قولان
أحدهما أنهم واردوا الجب أسروا ابتياعه عن باقي أصحابهم وتواصوا أنه بضاعة استبضعهم إياها أهل الماء وقد ذكرنا هذا المعنى عن ابن عباس وبه قال مجاهد
والثاني أنهم إخوته أسروا أمره وباعوه وقالوا هو بضاعة لنا وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضا
قوله تعالى والله عليم بما يعملون يعم الباعة والمشترين وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين

(١٩٥/٤)

قوله تعالى وشروه هذا حرف من حروف الأضداد تقول شريت الشيء بمعنى بعته وشريته يمعنى اشتريته فإن كان بمعنى باعه ففيهم قولان
أحدهما أنهم إخوته وهو قول الأكثرين
والثاني أنهم السيارة ولم يبعه إخوته قاله الحسن وقتادة وإن كان بمعنى اشتروه فإنهم السيارة
قوله تعالى بثمن بخس فيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه الحرام قاله ابن عباس والضحاك وقتادة في آخرين
والثاني أنه القليل قاله عكرمة والشعبي قال ابن قتيبة البخس الخسيس الذي بخس به البائع
والثالث الناقص وكانت الدراهم عشرين درهما في العدد وهي تنقص عن عشرين في الميزان قاله أبو سليمان الدمشقي
قوله تعالى دراهم معدودة قال الفراء إنما قيل معدودة ليستدل بها على القلة وقال ابن قتيبة أي يسيرة سهل عددها لقلتها فلو كانت كثيرة لثقل عددها وقال ابن عبسا كانوا في ذلك الزمان لا يزنون أقل من أربعين درهما وقيل إنما لم يزنوها لزهدهم فيه
وفي عدد تلك الدراهم خمسة أقوال
أحدها عشرون درهما قاله ابن مسعود وابن عباس في رواية وعكرمة في رواية ونوف الشامي ووهب بن منبه والشعبي وعطية والسدي ومقاتل في آخرين
والثاني عشرون درهما وحلة ونعلان روي عن ابن عباس أيضا

(١٩٦/٤)

والثالث اثنان وعشرون درهما رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال مجاهد
والرابع أربعون درهما قاله عكرمة في رواية وابن إسحاق
والخامس ثلاثون درهما ونعلان وحلة وكانوا قالوا له بالعبرانية إما أن تقر لنا بالعبودية وإما أن نأخذك منهم فنقتلك قال بل أقر لكم بالعبودية ذكره إسحاق بن بشر عن بعض أشياخه
قال المفسرون اقتسموا ثمنه فاشتروا به نعالا وخفافا
وكان بعض الصالحين يقول والله ما يوسف وإن باعه أعداؤه بأعجب منك في بيعك نفسك بشهوة ساعة من معاصيك
قوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين الزهد قلة الرغبة في الشيء
وفي المشار إليهم قولان أحدهما أنهم إخوته قاله ابن عباس فعلى هذا في هاء فيه قولان
أحدهما أنها ترجع إلى يوسف لأنهم لم يعلموا مكانه من الله تعالى قاله الضحاك وابن جريج والثاني أنها ترجع إلى الثمن وفي علة زهدهم قولان أحدهما ردائته والثاني أنهم قصدوا بعد يوسف لا الثمن
والثاني أنهم السيارة الذين اشتروه
وفي علة زهدهم ثلاثة أقوال أحدها أنهم ارتابوا لقلة ثمنه والثاني أن إخوته وصفوه عندهم بالخيانة والإباق والثالث أنهم علموا أنه حر وقال الذين اشتريه من مصر لامرأته أكرمي مثويه عسى أن يفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر قال وهب لما ذهبت به السيارة إلى مصر وقفوه في سوقها يعرضونه للبيع فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه بذلك الثمن رجل يقال له قطفير وكان أمين فرعون وخازنه وكان مؤمنا وقال ابن عباس إنما اشتراه قطفير من مالك بن ذعر بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين أبيضين فلما رجع إلى منزله قال لامرأته أكرمي مثواه وقال قوم اسمه أطفير
وفي اسم المرأة قولان أحدهما رعاييل بنت عاييل قاله ابن إسحاق والثاني أزليخا بنت تمليخا قاله مقاتل قال ابن قتيبة أكرمي مثواه يعني أكرمي منزله ومقامه عندك من قولك ثويت بالمكان إذا أقمت به وقال الزجاج أحسني إليه في طول مقامه عندنا قال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب حين قالت يا أبت استأجره القصص ٢٦ وأبو بكر حين استخلف عمر

وفي قوله عسى أن ينفعنا قولان
أحدهما يكفينا إذا بلغ أمورنا والثاني بالربح في ثمنه
قوله تعالى أو نتخذه ولدا قال ابن عباس نتبناه وقال غيره لم يكن لهما ولد وكان العزيز لا يأتي النساء
قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف أي وكما أنجيناه من إخوته وأخرجناه من ظلمة الجب مكنا له في الأرض أي ملكناه في أرض مصر فجعلناه على خزائنها ولنعلمه قال ابن الأنباري إنما دخلت الواو في ولنعلمه لفعل مضمر هو المجتلب للام والمعنى مكنا ليوسف في الأرض واختصصناه

بذلك لكي نعلمه من تأويل الأحاديث وقد سبق تفسير تأويل الأحاديث يوسف ٦ والله غالب على أمره في هاء الكناية قولان
أحدهما أنها ترجع إلى الله فالمعنى أنه غالب على ما أراد من قضائه وهذا معنى قول ابن عباس
والثاني أنها ترجع إلى يوسف فالمعنى غالب على أمر يوسف حتى يبلغه ما أراده له وهذا معنى قول مقاتل وقال بعضهم والله غالب على أمره حيث أمر يعقوب يوسف أن لا يقص رؤياه على إخوته فعلموا بها ثم أراد يعقوب أن لا يكيدوه فكادوه ثم أراد إخوة يوسف قتله فلم يقدر لهم ثم أرادوا أن يلتقطه بعض السيارة فنيدرس أمره فعلا أمره ثم باعوه ليكون مملوكا فغلب أمره حتى ملك وأرادوا أن يعطفوا أباهم فأباهم ثم أرادوا أن يغروا يعقوب بالبكاء والدم الذي ألقوه على القميص فلم يخف عليه ثم أرادوا أن يكونوا من بعده قوما صالحين فنسوا ذنبهم إلى أن أقروا به بعد سنين فقالوا إنا كنا خاطئين يوسف ٩٧ ثم أرادوا أن يمحوا محبته من قلب أبيه فازدادت ثم أرادت أزليخا أن تلقي عليه التهمة بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا يوسف ٢٥ فغلب أمره حتى شهد شاهد من أهلها وأراد يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقي فنسي الساقي حتى لبث في السجن بضع سنين ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
قوله تعالى ولما بلغ أشده قد ذكرنا معنى الأشد في الأنعام ١٥٢

واختلف العلماء في المراد به هاهنا علىثمانية أقوالأحدها أنه ثلاث وثلاثون سنة رواه عسد بن جبير عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقتادة والثاني ثماني عشرة سنة قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال عكرمة والثالث أربعون سنة قاله الحسن والرابع بلوغ الحلم قاله الشعبي وربيعة وزيد بن أسلم وابنه والخامس

عشرون سنة قاله الضحاك والسادس أنه من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين قاله الزجاج والسابع أنه بلوغ ثمان وثلاثين سنة حكاه ابن قتيبة والثامن ثلاثون سنة ذكره بعض المفسرين

قوله تعالى آتيناه حكما فيه أربعة أقوال

أحدها أنه الفقه والعقل قاله مجاهد والثاني النبوة قاله ابن السائب والثالث أنه جعل حكيما قاله الزجاج قال وليس كل عالم حكيما إنما الحكيم العالم المستعمل علمه الممتنع به من استعمال ما يجهل فيه والرابع أنه الإصابة في القول ذكره الثعلبي قال اللغويون الحكم عند العرب ما يصرف عن الجهل والخطأ ويمنع منهما ويرد النفس عما يشينها ويعود عليها بالضرر ومنه حكمة الدابة وأصل أحكمت في اللغة منعت وسمي الحاكم حاكما لأنه يمنع من الظلم والزيغ

(٤/٢٠٠)

وفي المراد بالعلم هاهنا قولان أحدهما الفقه والثاني علم الرؤيا

قوله تعالى وكذلك نجزي المحسنين أي ومثل ما وصفنا من تعلم يوسف وحراسته نثيب من أحسن عمله واجتنب المعاصي فننجيه من الهلكة ونستنفذه من الضلالة فنجعله من أهل العلم والحكمة كما فعلنا بيوسف

وفي المراد بالمحسنين هاهنا ثلاثة أقوال

أحدها الصابرون على النوائب والثاني المهتدون رويا عن ابن عباس والثالث المؤمنون قال محمد بن جرير هذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه و سلم والمعنى كما فعلت بيوسف بعد ما لقي من البلاء فمكنته في الأرض وآتيته العلم كذلك أفعل بك وأنجيك من مشركي قومك وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لايفلح الظالمون

قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه أي طلبت منه المواقعة وقد سبق اسمها قال الزجاج المعنى راودته عما أرادته مما يريد النساء من الرجال وقالت هيت لك قرأ ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وتسكين الياء وضم التاء وقرأ نافع وابن عامر هيت لك بكسر الهاء وتسكين الياء وفتح التاء وهي مروية عن علي بن أبي طالب وروى الحلواني عن هشام عن ابن عامر مثله إلا أنه همزه قال أبو علي الفارسي هو خطأ وروي عن ابن عامر هئت لك بكسر الهاء وهمز الياء وضم التاء وهي قراءة ابن عباس وأبي الدرداء وقتادة قال الزجاج هو من الهيئة كأنها قالت تهيأت لك وعن ابن محيصن وطلحة بن مصرف مثل قراءة ابن عباس

(٤/٢٠١)

إلا أنها بغير همز وعن ابن محيصن بفتح الهاء وكسر التاء وهي قراءة أبي رزين وحميد وعن الوليد بن عتبة بكسر الهاء والتاء مع الهمز وهي قراءة أبي العالية وقرأ ابن خثيم مثله إلا أنه لم يهمز وعن الوليد بن مسلم عن نافع بكسر الهاء وفتح التاء مع الهمز وقرأ ابن مسعود وابن السميفع وابن يعمر والجحدري هيئت لك برفع الهاء والتاء وبياء مشددة مكسورة بعدها همزة ساكنة وقرأ أبي بن كعب ها أنا لك وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء بغير همز قال الزجاج وهو أجود اللغات وأكثرها في كلام العرب ومعناها هلم لك أي أقبل على ما أدعوك إليه وقال الشاعر ... أبلغ أمير المؤمنين أخا العراق إذا أتيتا ...

... أن العراق وأهله عنق إليك فهيت هيتا ...

أي فأقبل وتعال وقال ابن قتيبة يقال هيت فلان لفلان إذا دعاه وصاح به قال الشاعر ... قد رابني أن الكري أسكتا ... لو كان معنيا بها لهيتا ...

أي صار ذا سكوت واختلف العلماء في قوله هيت لك بأي لغة هي على أربعة أقوال

أحدها أنها عربية قاله مجاهد وقال ابن الأنباري وقد قيل إنها من كلام

(٤/٢٠٢)

قريش إلا أنها مما درس وقل في أفواههم آخرا فأتى الله به لأن أصله من كلامهم وهذه الكلمة لا مصدر لها ولا تصرف ولا تثنية ولا جمع ولا تأنيث يقال للاثنين هيت لكما وللجميع هيت لكم وللنسوة هيت لكن

والثاني أنها بالسريانية قاله الحسن

والثالث بالحورانية قاله عكرمة والكسائي وقال الفراء يقال إنها لغة لأهل حوران سقطت إلى أهل مكة فتكلموا بها

والرابع أنها بالقبطية قاله السدي

قوله تعالى قال معاذ الله قال الزجاج هو مصدر والمعنى أعوذ بالله أن أفعل هذا يقال عذت عياذا ومعاذا ومعاذة إنه ربي أي إن العزيز صاحبي أحسن مثواي قال ويجوز أن يكون إنه ربي يعني الله عز و جل أحسن مثواي أي تولاني في طول مقامي

قوله تعالى إنه لا يفلح الظالمون أي إن فعلت هذا فخنته في أهله بعدما أكرمني فأنا ظالم وقيل الظالمون هاهنا الزناة ولقد همت به وهم بها لولا أن رآ برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين

قوله تعالى ولقد همت به الهم بالشيء في كلام العرب حديث المرء نفسه بمواقعته مالم يواقع فأما هم أزليخا فقال المفسرون دعته إلى نفسها واستلقت له واختلفوا في همه بها على خمسة أقوال
أحدها أنه كان من جنس همها فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل وإلى هذا المعنى ذهب الحسن وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وهو قول

(٢٠٣/٤)

عامة المفسرين المتقدمين واختاره من المتاخرين جماعة منهم ابن جرير وابن الأنباري وقال ابن قتيبة لا يجوز في اللغة هممت بفلان وهم بي وأنت تريد اختلاف الهمين واحتج من نصر هذا القول بأنه مذهب الأكثرين من السلف والعلماء الأكابر ويدل عليه ما سنذكره من أمر البرهان الذي رآه قالوا ورجوعه عما هم به من ذلك خوفا من الله تعالى يمحو عنه سيء الهم ويوجب له علو المنازل ويدل على هذا الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن ثلاثة خرجوا فلجؤوا إلى غار فانطبقت عليهم صخرة فقالوا ليذكر كل واحد منكم أفضل عمله فقال أحدهم اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم فراودتها عن نفسها فأبت إلا بمائة دينار فلما أتيتها بها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة أرعدت وقالت إن هذا لعمل ما عملته قط فقمت عنها وأعطيتها المائة الدينار فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فزال ثلث الحجر والحديث معروف وقد ذكرته في الحدائق فعلى هذا نقول إنما همت فترقت همتها إلى العزيمة فصارت مصرة على الزنا فأما هو فعارضه ما يعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس من غير عزم فلم يلزمه هذا الهم ذنبا فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هجس في نفسه وقد قال صلى الله عليه و سلم عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم أو تعمل وقال صلى الله عليه و سلم هلك المصرون وليس

(٢٠٤/٤)

الإصرار إلا عزم القلب فقد فرق بين حديث النفس وعزم القلب وسئل سفيان الثوري أيؤاخذ العبد بالهمة فقال إذا كانت عزما ويؤيده الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال يقول الله تعالى إذا هم عبدي بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه فإن عملها كتبتها عليه سيئة واحتج القاضي أبو يعلى على أن همته لم تكن من جهة العزيمة وإنما كانت من جهة دواعي الشهوة بقوله قال معاذ الله إنه ربي وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وكل ذلك إخبار ببراءة ساحتة من العزيمة على

المعصية

فإن قيل فقد سوى القرآن بين الهمتين فلم فرقتم

فالجواب أن الاستواء وقع في بداية الهمة ثم ترقت همتها إلى العزيمة بدليل مراودتها واستلقائها بين يديه ولم تتعد همته مقامها بل نزلت عن رتبتها وانحل معقودها بدليل هربه منها وقوله معاذ الله وعلى هذا تكون همته مجرد خاطر لم يخرج إلى العزم ولا يصح ما يروى عن المفسرين أنه حل السراويل وقعد منها مقعد الرجل فإنه لو كان هذا دل على العزم والأنبياء معصومون من العزم على الزنا

والقول الثاني أنها همت به أن يفترشها وهم بها أي تمناها أن تكون له زوجة رواه الضحاك عن ابن عباس

والقول الثالث أن في الكلام تقديما وتأخيرا تقديره ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها فلما رأى البرهان لم يقع منه الهم فقدم جواب لولا عليها كما يقال قد كنت من الهالكين لولا أن فلانا خلصك لكنت من الهالكين ومنه قول الشاعر

(٤/٢٠٥)

فلا يدعني قومي صريحا لحرة ... لئن كنت مقتولا وتسلم عامر ...

أراد لئن كنت مقتولا وتسلم عامر فلا يدعني قومي فقدم الجواب وإلى هذا القول ذهب قطرب وأنكره قوم منهم ابن الأنباري وقالوا تقديم جواب لولا عليها شاذ مستكره لا يوجد في فصيح كلام العرب فأما البيت المستشهد به فمن اضطرار الشعراء لأن الشاعر يضيق الكلام به عند اهتمامه بتصحيح أجزاء شعره فيضع الكلمة في غير موضعها ويقدم ما حكمه التأخير ويؤخر ما حكمه التقديم ويعدل عن الاختيار إلى المستقبح للضرورة قال الشاعر ... جزى ربه عني عدي بن حاتم ... بتركي وخذلاني جزاء موفرا ...

تقديره جزى عني عدي بن حاتم ربه فاضطره إلى تقديم الرب وقال الآخر ... لما جفا إخوانه مصعبا ... أدى بذلك البيع صاعا بصاع ...

أراد لما جفا مصعبا إخوانه وأنشد الفراء ... طلبا لعرفك يا ابن يحيى بعدما ... تتقطعت بي دونك الأسباب ...

فزاد تاء على تقطعت لا أصل لها ليصلح ون شعره وأنشد ثعلي ... إن شكلي وإن شكلك شتى ...

فالزمي الخفض وانعمي تبيضضي ... فزاد ضادا لا أصل لها لتكمل أجزاء البيت وقال الفرزدق ... هما تفلا في في من فمويهما ... على النابح العاوي أشد لجاميا ...

فزاد واوا بعد الميم ليصلح شعره ومثل هذه الأشياء لا يحمل عليها كتاب الله النازل بالفصاحة لأنها من

والقول الرابع أنه هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه فكان البرهان الذي

(٤/٢٠٦)

رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه إن ضربها كان ضربه كان ضربه إياها حجة عليه لأنها تقول راودني فمنعته فضربني ذكره ابن الأنباري

والقول الخامسس أنه هم بالفرار منها حكاه الثعلبي وهو قول مرذول أفتراه أراد الفرار منها فلما رأى البرهان أقام عندها قال بعض العلماء كان هم يوسف خطيئة من الصغائر الجائزة على الأنبياء وإنما ابتلاهم بذلك ليكونوا علىخوف منه وليعرفهم مواقع نعمته في الصفح عنهم وليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء الرحمة قال الحسن إن الله تعالى لم يقصص عليكم ذنوب الأنبياء تعييرا لهم ولكن لئلا تقنطوا من رحمته يعني الحسن أن الحجة للأنبياء ألزم فإذا قبل التوبة منهم كان إلى قولها منكم أسرع وروي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال ما من أحد يلقى الله تعالى إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلى يحيى بن زكريا فإنه لم يهم ولم يعملها

قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه جواب لولا محذوف قال الزجاج المعنى لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما هم به قال ابن الأنباري لزنا فلما رأى البرهان كان سبب انصراف الزنا عنه

وفي البرهان ستة أقوال

أحدها أنه مثل له يعقوب روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال نودي يا يوسف أتزني فتكون مثل الطائر الذي نتف ريشه فذهب يطير فلم

(٤/٢٠٧)

يستطع فلم يعط على النداء شيئا فنودي الثانية فلم يعط على النداء شيئا فتمثل له يعقوب فضرب صدره فقام فخرجت شهوته من أنامله وروى الضحاك عن ابن عباس قال رأى صورة أبيه يعقوب في وسط البيت عاضا على أنامله فأدبر هاربا وقال وحقك يا أبت لا أعود أبدا وقال أبو صالح عن ابن عباس رأى مثال يعقوب في الحائط عاضا على شفتيه وقال الحسن مثل له جبريل في صورة يعقوب في سقف البيت عاضا على إبهامه أو بعض أصابعه وإلى هذا المعنى ذهب مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وابن سيرين والضحاك في آخرين وقال عكرمة كل ولد يعقوب قد ولد له اثنا عشر ولدا إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولدا فنقص بتلك الشهوة ولدا

والثاني أنه جبريل عليه السلام روى ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال مثل له يعقوب فلم يزدجر فنودي أتزني فتكون مثل الطائر نتف ريشه فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره فوثب

والثالث أنها قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب فقال لها يوسف أي شيء تصنعين قالت استحي من إلهي هذا أن يراني على هذه السوأة فقال أتستحين من صنم لا يعقل ولا يسمع ولا أستحي من إلهي القائم على كل نفس بما كسبت فهو البرهان الذي رأى قاله علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين والضحاك

والرابع أن الله بعث إليه ملكا فكتب في وجه المرأة بالدم ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا قاله الضحاك عن ابن عباس وروي عن محمد ابن كعب القرظي أنه رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيها وفي رواية أخرى عنه

(٤/٢٠٨)

أنه رآهامكتوبة في الحائط وروى مجاهد عن ابن عباس قال بدت فيما بينهما كف ليس فيها عضد ولا معصم وفيها مكتوب ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا الاسراء ٣٢ فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنها الرعب عادت وعاد فلما قعد إذا بكف قد بدت فيما بينهما فيها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله البقرة ٢٨١ فقام هاربا فلما عاد قال الله تعالى لجبرئيل أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على كفه أو أصبعه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله في الأنبياء وقال وهب بن منبه ظهرت تلك الكف وعليها مكتوب بالعبرانية أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فانصرفا فلما عادا رجعت وعليها مكتوب وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين الأنفطار ١١ ١٢ فانصرفا فلما عادا عادت وعليها مكتوب ولا تقربوا الزنا الآية فعاد فعادت الرابعة وعليها مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فولى يوسف هاربا

الخامس أنه سيده العزيز دنا من الباب رواه ابن إسحاق عن بعض أهل العلم وقال ابن إسحاق يقال إن البرهان خيال سيده رآه عند الباب فهرب

والسادس أن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم الله فرأى تحريم الزنا روي عن محمد بن كعب القرظي قال ابن قتيبة رأى حجة الله عليه وهي البرهان وهذا هو القول الصحيح وما تقدمه فليس بشيء وإنما هي أحاديث من أعمال القصاص وقد أشرت إلى فسادها في كتاب المغني في التفسير

(٤/٢٠٩)

وكيف يظن بنبي الله كريم أنه يخوف ويرعب ويضطر إلى ترك هذه المعصية وهو مصر هذا غاية القبح
قوله تعالى كذلك أي كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه السوء وهوخيانة صاحبه والفحشاء ركوب الفاحشة إنه من عبادنا المخلصين قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام والمعنى إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام أرادوا من الذين أخلصهم الله من الأسواء والفواحش وبعض المفسرين يقول السوء الزنى والفحشاء المعاصي واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
قوله تعالى واستبقا الباب يعني يوسف والمرأة تبادرا إلى الباب يجتهد

كل واحد منهما أن يسبق صاحبه وأراد يوسف أن يسبق ليفتح الباب ويخرج وأرادت هي إن سبقت إمساك الباب لئلا يخرج فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها فقدت قميصه من دبر أي قطعته من خلفه لأنه كان هو الهارب وهي الطالبة له قال المفسرون قطعت قميصه نصفين فلما خرجا ألفيا سيدها أي صادفا زوجها عند الباب فحضرها في ذلك الوقت كيد فقالت سابقة بالقول مبرئة لنفسها من الأمر ما جزاء من أراد بأهلك سوءا قال ابن عباس تريد الزني إلا أن يسجن أي ما جزاؤه إلا السجن أو عذاب أليم تعني الضرب السياط فغضب يوسف حينئذ وقال هي راودتني وقال وهب ابن منبه قال له العزيز حينئذ اخنتني يا يوسف في أهلي وغدرت بي وغررتني بما كنت أرى من صلاحك فقال حينئذ هي راودتني عن نفسي
قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها وذلك أنه لما تعارض قولاهما احتاجا إلى شاهد يعل به قول الصادق وفي ذلك الشاهد ثلاثة أقوال
أحدها أنه كان صبيا في المهد رواه عكرمة عن ابن عباس وشهر بن حوشب عن أبي هريرة وبه قال سعيد بن جبير والضحاك وهلال بن يساف في آخرين
والثاني أنه كان من خاصة الملك رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس وقال أبو صالح عن ابن عباس كان ابن عم لها وكان رجلا حكيما فقال قد سمعنا الاشتداد والجلبة من وراء الباب فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة وهو كاذب وإن كان من خلفه فهو صادق وأنت كاذبة وقال بعضهم كان ابن خالة المرأة

والثالث أنه شق القميص رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد وفيه ضعف لقوله من أهلها

فإن قيل كيف وقعت شهادة الشاهد هاهنا معلقة بشرط والشارط غير عالم بما يشرطه

فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري

أحدهما أن الشاهد شاهد بأمر قد علمه فكأنه سمع بعض كلام يوسف وأزليخا فعلم غير أنه أوقع في شهادته شرطا ليلزم المخاطبين قبول شهادته من جهة العقل والتمييز فكأنه قال هو الصادق عندي فإن تدبر تم ما اشترطه لكم عقلتم قولي ومثل هذا قول الحكماء إن كان القدر حقا فالحرص باطل وإن كان الموت يقينا فالطمأنينة إلى الدنيا حمق

والجواب الثاني أن الشاهد لم يقطع بالقول ولم يعلم حقيقة ما جرى وإنما قال ما قال على جهة إظهار ما يسنح له من الرأي فكان معنى قوله وشهد شاهد أعلم وبين فقال الذي عندي من الرأي أن نقيس القميص ليوقف على الخائن فهذان الجوابان يدلان على أن المتكلم رجل فإن قلنا إنه صبي في المهد كان دخول الشرط مصححا لبراءة يوسف لأن كلام مثله أعجوبة ومعجزة لا يبقى معها شك فلما رآ قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم

قوله تعالى فلما رأى قميصه في هذا الرائي والقائل إنه من كيدكن قولان

أحدهما أنه الزوج والثاني الشاهد

وفي هاء الكناية في قوله إنه من كيدكن ثلاثة أقوال

أحدها أنها ترجع إلى تمزيق القميص قاله مقاتل

والثاني إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا فالمعنى قولك هذا من كيدكن قاله الزجاج

والثالث إلى السوء الذي دعته إليه ذكره الماوردي قال ابن عباس إن كيدكن أي عملكن عظيم تخلطن البريء والسقيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتيها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنريها في ضلال مبين

قوله تعالى يوسف أعرض عن هذا المعنى يا يوسف أعرض

وفي القائل له هذا قولان

أحدهما أنه ابن عمها وهو الشاهد قاله ابن عباس

والثاني أنه الزوج ذكره جماعة من المفسرين قال ابن عباس أعرض عن هذا الأمر فلا تذكره لأحد واكتمه عليها وروى الحلبي عن عبد الوراث يوسف أعرض عن هذا بفتح الراء على الخبر

قوله تعالى واستغفري لذنبك فيه قولان

أحدهما استعفي زوجك لئلا يعاقبك قاله ابن عباس

والثاني توبي من ذنبك فإنك قد أثمت

وفي القائل لهذا قولان أحدهما ابن عمها والثاني الزوج

قوله تعالى إنك كنت من الخاطئين يعني من المذنبين قال المفسرون ثم شاع ذلك الحديث في مصر حتى تحدث بذلك النساء وهو قوله وقال نسوة في المدينة وفي عددهن قولان

(٤/٢١٣)

أحدهما أنهن كن أربعا امرأة ساقي الملك وامرأة صاحب دوانه وامرأة خبازه وامرأة صاحب سجنه قاله ابن عباس

والثاني أنهن خمس امرأة الخباز وامرأة الساقي وامرأة السجان وامرأة صاحب الدواة وامرأة الآذن قاله مقاتل

فأما العزيز فهو بلغتهم الملك والفتى بمعنى العبد قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى وإنما تكلم النسوة في حقها طعنا فيها وتحقيقا لبراءة يوسف

قوله تعالى قد شغفها حبا أي بلغ حبه شغاف قلبها

وفي الشغاف أربعة أقوال

أحدها أنه جلدة بين القلب الفؤاد رواه عكرمة عن ابن عباس

والثاني أنه غلاف القلب قاله أبو عبيدة قال ابن قتيبة ولم يرد الغلاف إنما أراد القلب يقال شغفت فلانا إذا أصبت شغافه كما يقال كبدته إذا أصبت كبده وبطنته إذا أصبت بطنه

والثالث أنه حبة القلب وسويداؤه

والرابع أنه داء يكون في الجوف في الشراسيف وأنشدوا ... وقد حال هم دون ذلك داخل ... دخول الشغاف تبتغيه الأصابع ...

ذكر القولين الزجاج وقال الأصمعي الشغاف عند العرب داء يكون تحت الشراسيف في الجانب الأيمن من البطن والشراسيف مقاط رؤوس الأضلاع

(٤/٢١٤)

واحدها شرسوف

وقرأ عبد الله بن عمرو وعلي بن الحسين والحسن البصري ومجاهد وابن محيصن وابن أبي عبلة قد شعفها بالعين قال الفراء كأنه ذهب بها كل مذهب والشعف رؤوس الجبال

قوله تعالى إنا لنراها في ضلال مبين أي عن طريق الرشد لحبها إياه والمبين الظاهر فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين

قوله تعالى فلماسمعت يعني امرأة العزيز بمكرهن وفيه قولان

أحدهما أنه قولهن وعيبهن لها قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن قتيبة قال الزجاج وإنما سمي هذا القول مكرا لأنها كانت أطلعتهن على أمرها واستكتمتهن فمكرن وأفشين سرها

والثاني أنه مكر حقيقة وإنما قلن ذلك مكرا بها لتريهن يوسف قاله ابن إسحاق

قوله تعالى وأعتدت قال الزجاج أفعلت من العتاد وكل ما اتخذته عدة لشيء فهو عتاد والعتاد الشيء الثابت اللازم وقال ابن قتيبة أعتدت بمعنى أعدت فأما المتكأ ففيه ثلاثة اقوال

أحدها أنه المجلس فالمعنى هيأت لهن مجلسا قاله الضحاك عن ابن عباس

والثاني أنه الوسائد اللائي يتكئن عليها قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال الزجاج المتكأ ما يتكأ عليه لطعام أو شراب أو حديث

والثالث أنه الطعام قاله الحسن ومجاهد وقتادة قال ابن قتيبة يقال اتكأنا عند فلان إذا طعمنا قال جميل بن معمر ... فظللنا في نعمة واتكأنا ... وشربنا الحلال من قلله ...

والأصل في هذا أن من دعوته ليطعم أعددت له التكأة للمقام والطمأنينة فسمي الطعام متكأ على الاستعارة قال الأزهري إنما قيل للطعام متكأ لأن القوم إذا قعدوا على الطعام اتكؤوا ونهيت هذه الأمة عن ذلك وقرأ مجاهد متكا باسكان التاء خفيفة وفيه أربعة أقوال

أحدها أنه الأترج قاله ابن عباس ومجاهد ويحيى بن يعمر في آخرين ومنه قول الشاعر ... نشرب الإثم بالصواع جهارا ... وترى المتك بيننا مستعارا ...

يريد الأترج

والثاني أنه الطعام أيضا قاله عكرمة الثالث أنه كل شيء يحز بالسكاكين قاله الضحاك والرابع أنه الزماورد روي عن الضحاك أيضا وقد

روي عن جماعة أنهم فسروا المتكأ بما فسروا به المتك فروي عن ابن جريج أنه قال المتكأ الأترج وكل ما يحز بالسكاكين وعن الضحاك قال المتكأ كل ما يحز السكاكين وفرق آخرون بين القراءتين فقال مجاهد من قرأ متكأ بالتثقيل فهو الطعام ومن قرأ بالتخفيف فهو الأترج قال ابن قتيبة من قرأ متكا فإنه يريد الأترج ويقال الزماورد وأيا ما كان فإني لا أحسبه سمي متكا إلا بالقطع كأنه مأخوذ من البتك فأبدلت الميم منه باء كما يقال سمد رأسه وسبده إذا استأصله وشر لازم ولازب والميم تبدل من الباء كثيرا لقرب مخرجيهما

قوله تعالى وآتت كل واحدة منهم سكينا إنما فعلت ذلك لأن الطعام الذي قدمت لهن يحتاج إلى السكاكين وقيل كان مقصودها افتضاحهن بتقطيع أيديهن كما فضحنها قال وهب بن منبه ناولت كل واحدة منهن أترجة وسكينا وقالت لهن لا تقطعن ولا تأكلن حتى أعلمكن ثم قالت ليوسف اخرج عليهن قال الزجاج إن شئت ضممت التاء من قوله وقالت وإن شئت كسرت والكسر الأصل لسكون التاء والخاء ومن ضم التاء فلثقل الضمة بعد الكسرة ولم يمكنه أن لا يخرج لأنه بمنزلة العبد لها وذكر بعض أهل العلم أنها إنما قالت اخرج وأضمرت في نفسها عليهن فأخبر الحق عما في النفس كأن اللسان قد نطق به ومثله إنما نطعمكم لوجه الله الآية الانسان ٩ لم يقولوا ذلك إنما أضمروه ويدل على صحة هذا أنها لو قالت له وهو شاب مستحسن اخرج على نسوة من طبعهن الفتنة ما فعل

وفي قوله أكبرنه قولان

أحدهما أعظمنه رواه أبو صالح عن ابن عباس وابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال قتادة وابن زيد والثاني حضن رواه الضحاك عن ابن عباس وروى علي بن عبد الله ابن عباس عن أبيه قال حضن من الفرح قال وفي ذلك يقول الشاعر ... تأني النساء لدى أطهارهن ولا ... نأتي النساء إذا أكبرن إكبارا ...

وقد روى هذا المعنى ليث عن مجاهد واختاره ابن الأنباري ورده بعض اللغويين فروي عن أبي عبيدة أنه قال ليس في كلام العرب أكبرن بمعنى حضن ولكن عسى أن يكن من شدة ما أعظمنه حضن وكذلك روي عن الزجاج أنه أنكره

قوله تعالى وقطعن أيديهن فيه ثلاثة أقوال

أحدها حززن أيديهن وكن يحسبن أنهن يقطعن طعاما قاله ابن عباس وابن زيد

والثاني قطعن أيديهن حتى ألقينها قاله مجاهد وقتادة
والثالث كلمن الأكف وابن الأنامل قاله وهب بن منبه
قوله تعالى وقلن حاشا لله قرأ أبو عمرو حاشا بألف في الوصل في الموضعين واتفقوا عن حذف الألف في الوقف وأبو عمرو جاء به على التمام والأصل والباقون حذفوا وهذه الكلمة تستعمل في موضعين أحدهما الاستثناء والثاني التبرئة من الشر والأصل حاشا وهي مشتقة من قولك كنت في حشا فلان أي في ناحيته والحشا الناحية وأنشدوا ... بأي الحشا أمسى الخليط المباين

(٢١٨/٤)

أي بأي النواحي والمعنى صار يوسف في حشا من أن يكون بشرا لفرط جماله وقيل صار في حشا مما قرفته به امرأة العزيز وقال ابن عباس ومجاهد حاش لله بمعنى معاذ الله قال الفراء و بشرا منصوب لأن الباء قد استعملت فيه فلا يكاد اهل الحجاز ينطقون إلا بالباء فلما حذفوها أحبوا أن يكون لها أثر فيما خرجت منه فنصبوا على ذلك وكذلك قوله ماهن أمهاتهم المجادلة ٢ وأما أهل نجد فيتكلمون بالباء وبغير الباء فإذا أسقطوها رفعوا وهو أقوى الوجهين في العربية قال الزجاج قوله الرفع أقوى الوجيهن غلط لأن كتاب الله أقوى اللغات ولم يقرأ بالرفع أحد وزعم الخليل وسيبويه وجميع النحويين القدماء أن بشرا منصوب لأنه خبر ما و ما بمنزلة ليس قلت وقد قرأ أبو المتوكل وابو نهيك و عكرمة ومعاذ القارئ في آخرين ما هذا بشر بالرفع وقرأ أبي بن كعب وأبو الجوزاء وأبو السوار ما هذا بشرى بكسر الباء والشين مقصورا منونا قال الفراء أي ما هذا بمشترى وقرأ ابن مسعود بشراء بالمد والهمز مخفوضا منونا
قوله تعالى إن هذا إلا ملك قرأ أبي وأبو رزين وعكرمة وأبو حيوة والجحدري ملك بكسر اللام
قوله تعالى فذلكن الذي لمتنني فيه قال المفسرون لما ذهبت عقولهن فقطعن أيديهن قالت لهن ذلك فإن قيل كيف أشارت إليه وهو حاضر بقولها فذلكن فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري
أحدهما أنها أشارت ب ذلكن إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس
والثاني أن في الكلام إضمار هذا تقديره فهذا ذلكن ومعنى

(٢١٩/٤)

لمتنني فيه أي في حبه ثم أقرت عندهن فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أي امتنع
قوله تعالى وليكونن من الصاغرين قال الزجاج القراءة الجيدة تخفيف وليكونن والوقوف عليها بالألف لأن النون الخفيفة تبدل منها في الوقف الألف تقول اضربن زيدا وإذا وقفت قلت اضربا وقد قرئت

وليكونن بتشديد النون وأكرهها لخلاف المصحف لأن الشديدة لا يبدل منها شيء والصاغرون المذلون
قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم
قوله تعالى قال رب السجن أحب إلي قال وهب بن منبه لما قالت فذلكن الذي لمتنني فيه قلن لا لوم
عليك قالت فاطلبن إلى يوسف أن يسعفني بحاجتي فقلن يا يوسف افعل فقالت لئن لم يفعل لأخلدنه
السجن فعند ذلك قال رب السجن أحب إلي وقرأ يعقوب السجن بفتح السين هاهنا فحسب قال
الزجاج من كسر سين السجن فعلى اسم المكان فيكون المعنى نزول السجن أحب إلي من ركوب
المعصية ومن فتح فعلى المصدر المعنى أن أسجن أحب إلي وإلا تصرف عني كيدهن أي إلا تعصمني
أصب إليهن أي أمل إليهن يقال صبا إلى اللهو يصبو صبوا وصبوا وصباء إذا مال وقال ابن الأنباري
ومعنى هذا الكلام اللهم اصرف عني كيدهن ولذلك قال فاستجاب له ربه
قال فإن قيل إنما كادته امرأة العزيز وحدها فكيف قال كيدهن

فعنه ثلاثة أجوبة
أحدها أن العرب توقع الجمع على الواحد فيقول قائلهم خرجت إلى البصرة في السفن وهو لم يخرج
إلا في سفينة واحدة
والثاني أن المكني عنه امرأة العزيز والنسوة اللاتي عاضدنها على أمرها
والثالث أنه عنى امرأة العزيز وغيرها من نساء العالمين اللاتي لهن مثل كيدها ثم بدا لهم من بعد ما رأوا
الآيات ليسجننه حتى حين
قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات في المراد بالآيات ثلاثة أقوال أحدها أنها شق القميص
وقضاء ابن عمها عليها رواه أبو صالح عن ابن عباس
والثاني أنها قد القميص وشهادة الشاهد وقطع الأيدي وإعظام النار إياه رواه مجاهد عن ابن عباس
والثالث جماله وعفته ذكره الماوردي قال وهب بن منبه فأشار النسوة عليها بسحنه رجاء أن يستهوينه
حين يخلو لهن في السجن وقلن متى سجنتيه قطع ذلك عنك قالة الناس التي قد شاعت ورأوا أنك
تبغضينه ويذله السجن لك فلما انصرفن عادت إلى مراودته فلم يزدد إلا بعدا عنها فلما يئست قالت
لسيدها إن هذا العبد قد فضحني وقد أبغضت رؤيته فائذن لي في سجنه فأذن لها فسجنته وأضرت به
وقال السدي قالت إما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر بعذري وإما أن تحبسه كما حبستني فظهر للعزيز
واصحابه من الرأي حبس يوسف قال الزجاج كان العزيز أمر بالإعراض فقط ثم تغير رأيه عن ذلك قال

ابن الأنباري وفي معنى الآية قولان
أحدهما ثم بدا لهم أي ظهر لهم بالقول والرأي والفكر سجنه

(٤/٢٢١)

والثاني ثم بدا لهم في يوسف بدء فقالوا والله لنسجننه فاللام جواب يمين مضمرة فأما الحين فهو يقع على قصير الزمان وطويله
وفي المراد به هاهنا للمفسرين خمسة أقوال
أحدها خمس سنين رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني سنة روي عن ابن عباس أيضا والثالث سبع سنين قاله عكرمة والرابع إلى انقطاع القالة قاله عطاء والخامس أنه زمان غير محدود ذكره الماوردي وهذا هو الصحيح لأنهم لم يعزموا على حبسه مدة معلومة وإنما ذكر المفسرون قدر مالبث ودخل معه السجن فتيان قال أحدها إني أريني أعصر خمرا وقال الآخر إني أريني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنانريك من المحسنين
قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قال الزجاج فيه دليل على أنه حبس وإن لم يذكر ذلك و فتيان جائز أن يكونا حدثين أو شيخين لأنهم يسمون المملوك فتى قال ابن الأنباري إنما قال فتيان لأهما كانا مملوكين والعرب تسمي الملموك فتى شابا كان أو شيخا قال المفسرون عمر ملك مصر فملوه فدسوا إلى خبازه وصاحب شرابه أن يسماه فبلغه ذلك فحبسهما فكان يوسف قال لأهل السجن إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتين هلم فلنجرب هذا العبد العبراني
واختلفوا هل كانت رؤياهما صادقة أم لا على ثلاثة أقوال
أحدها أنها كانت كذبا وإنما سألاه تجريبا قاله ابن مسعود والسدي

(٤/٢٢٢)

والثاني أنها كانت صدقا قاله مجاهد وابن إسحاق والثالث أن الذي صلب منهما كان كاذبا وكان الآخر صادقا قاله أبو مجلز
قوله تعالى قال أحدهما يعني الساقي إني أراني أي في النوم أعصر خمرا أي عنبا وفي تسمية العنب خمرا ثلاثة أقوال
أحدها أنه سماه باسم ما يؤول إليه لأن المعنى لا يلتبس كما يقال فلان يطبخ الآجر ويعمل الدبس وإنما يطبخ اللبن ويصنع التمر وهذا قول أكثر المفسرين قال ابن الأنباري وإنما كان كذلك لأن العرب توقع

بالفرع ما هو واقع بالأصل كقولهم فلان يطبخ آجرا
والثاني أن الخمر في لغة أهل عمان اسم للعنب قاله الضحاك والزجاج قال ابن القاسم وقد نطقت قريش بهذه اللغة وعرفتها والثالث أن المعنى أعصر عنب خمر وأصل خمر وسبب خمر فحذف المضاف وخلفه المضاف إليه كقوله واسأل القرية يوسف ٨٢ قال أبو صالح عن عن ابن عباس رأى يوسف ذات يوم الخباز والساقي مهمومين فقال ما شأنكما قالا رأينا رؤيا قال قصاها علي قال الساقي إني رأيت كأني دخلت كرما فجنيت ثلاثة عناقيد عنب فعصرتهن في الكأس ثم أتيت به الملك فشربه وقال الخباز رايت أني خرجت من مطبخ الملك أحمل فوق رأسي ثلاث سلال من خبز فوقع طير على أعلاهن فأكل منها نبئنا بتأويله أي أخبرنا بتفسيره وفي قوله إنا نراك من المحسنين خمسة أقوال
أحدها أنه كان يعود المرضى ويداويهم ويعزي الحزين رواه مجاهد عن ابن عباس
والثاني إنا نراك محسنا إن أنبأتنا بتأويله قاله ابن إسحاق

والثالث إنا نراك من العالمين قد أحسنت العلم قاله الفراء قال ابن الأنباري فعلى هذا يكون مفعول الإحسان محذوفا كما حذف في قوله وفيه يعصرون يوسف ٤٩ يعني العنب والسمسم وإنما علموا أنه عالم لنشره العلم بينهم
والرابع إنا نراك ممن يحسن التأويل ذكره الزجاج
والخامس إنا نراك محسنا إلى نفسك بلزومك طاعة الله ذكره ابن الأنباري قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
قوله تعالى قال لا يأتيكما طعام ترزقانه في معنى الكلام قولان
أحدهما لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليقظة إلا أخبرتكما به قبل أن يصل إليكما لأنه كان يخبر بما غاب كعيسى عليه السلام وهو قول الحسن
والثاني لا يأتيكما طعام ترزقانه في المنام إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما في اليقظة هذا قول السدي قال ابن عباس فقالا له وكيف تعلم ذلك ولست بساحر ولا عراف ولا صاحب نجوم فقال ذلكما مما علمني ربي

فإن قيل هذا كله ليس بجواب سؤالهما فأين جواب سؤالهما فعنه أربعة أجوبة
أحدها أنه لما علم أن أحدهما مقتول دعاهما إلى نصيبهما من الآخرة قاله قتادة

(٤/٢٢٤)

والثاني أنه عدل عن الجواب لما فيه من المكروه لأحدهما قاله ابن جريج
والثالث أنه ابتدأ بدعائهما إلى الإيمان قبل جواب السؤال قاله الزجاج
والرابع أنه ظنهما كاذبين في رؤياهما فعدل عن جوابهما ليعرضا عن مطالبته بالجواب فلما ألحا أجابهما ذكره ابن الأنباري فأما الملة فهي الدين وتكرير قوله هم للتوكيد
قوله تعالى ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء قال ابن عباس يريد أن الله عصمنا من الشرك ذلك من فضل الله علينا أي اتباعنا الإيمان بتوفيق الله وعلى الناس يعني المؤمنين بأن دلهم على دينه وقال ابن عباس ذلك من فضل الله عينا أن جعلنا أنبياء وعلى الناس أن بعثنا إليهم ولكن أكثر الناس من أهل مصر لا يشكرون نعم الله فيوحدونه
قوله تعالى أأرباب متفرقون يعني الأصنام من صغير وكبير خير أي أعظم صفة في المدح أم الله الواحد القهار يعني أنه أحق بالإلهية من الأصنام فأما الواحد فقال الخطابي هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هوالمنقطع القرين المعدوم الشريك والنظير وليس كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة فإن كل شيء سواه يدعى واحدا من جهة غير واحد من جهات والواحد لا يثنى من لفظه لايقال واحدان والقهار الذي قهر الجبابرة من عتاة خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار الذي قهر كل شيء فذلله فاستسلم وذل له ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا

(٤/٢٢٥)

إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان
قوله تعالى ما تعبدون من دونه إنما جمع في الخطاب لهما لأنه أراد جميع من شاركهما في شركهما وقوله من دونه أي من دون الله إلا أسماء يعني الأرباب والآلهة ولا يصح معاني تلك الأسماء للأصنام فكأنها أسماء فارغة فكأنهم يعبدون الأسماء لأنها لا تصح معانيها ما أنزل الله بها من سلطان أي من حجة بعبادتها إن الحكم إلا لله أي ما القضاء والأمر والنهي إلا له ذلك الدين القيم أي المستقيم يشير

إلى التوحيد
ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيه قولان
أحدهما لا يعلمون أنه لا يجوز عبادة غيره والثاني لا يعلمون ماللمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب
قوله تعالى أما أحدكما فيسقي ربه خمرا الرب هاهنا السيد قال ابن السائب لما قص الساقي رؤياه على يوسف قال له ما أحسن ما رأيت أما الأغصان الثلاثة فثلاثة أيام يبعث إليك الملك عند انقضائها فيردك إلى عملك فتعود كأحسن ما كنت فيه وقال للخباز بئس ما رأيت السلال الثلاث ثلاثة ايام ثم يبعث إليك الملك عند انقضائهن فيقتلك ويصلبك ويأكل الطير من رأسك فقالا ما رأينا شيئا فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي فرغ منه وسبقع بكما صدقتما أو كذبتما
فإن قيل لم حتم على وقوع التأويل وربما صدق تأويل الرؤيا وكذب فعنه جوابان

أحدهما أنه حتم ذلك لوحي أتاه من الله وسبيل المنام المكذوب فيه أن لا يقع تأويله فلما قال قضي الأمر دل على أنه بوحي
والثاني أنه لم يحتم بدليل قوله وقال للذي ظن أنه ناج منهما قال أصحاب هذا الجواب معنى قضي الأمر قطع الجواب الذي التمستماه من جهتي ولم يعن أن الأمر واقع بكما وقال أصحاب الجواب الأول الظن هاهنا بمعنى العلم وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنسيه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين
قوله تعالى وقال للذي ظن أنه ناج منهما يعني الساقي
وفي هذا الظن قولان
أحدهما أنه بمعنى العلم قاله ابن عباس والثاني أنه الظن الذي يخالف اليقين قاله قتادة
قوله تعالى اذكرني عند ربك أي عند صاحبك وهو الملك وقل له إن في السجن غلاما حبس ظلما واسم الملك الوليد بن الريان
قوله تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه فيه قولان
أحدهما فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف لربه قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال ابن إسحاق
والثاني فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه وأمره بذكر الملك ابتغاء الفرج من عنده قاله مجاهد ومقاتل والزجاج وهذا نسيان عمد لا نسيان سهو وعكسه القول الذي قبله

قوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين أي غير ما كان قد لبث قبل ذلك عقوبة له على تعلقه بمخلوق وفي البضع تسعة أقوال

أحدها ما بين السبع والتسع روى ابن عباس أن أبا بكر لما ناحب قريشا عند نزول آلم غلبت الروم الروم ١٢ قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم ألا احتطت فإن البضع ما بين السبع إلى التسع والثاني اثنتا عشرة سنة قاله الضحاك عن ابن عباس والثالث سبع سنين قاله عكرمة والرابع أنه ما بين الخمس إلى السبع قاله الحسن والخامس أنه ما بين الأربع إلى التسع قاله مجاهد والسادس ما بين الثلاث والتسع والعشر قاله قتادة والثامن أنه ما دون العشرة قاله الفراء وقال الأخفش البضع من واحد إلى عشرة والتاسع أنه مالم يبلغ العقد ولا نصفه قاله أبو عبيدة قال ابن قتيبة يعني ما بين الواحد إلى الأربعة وروى الأثرم عن أبي عبيدة البضع ما بين ثلاث وخمس

وفي جملة ما لبث في السجن ثلاثة أقوال

أحدها اثنتا عشرةسنة قاله ابن عباس والثاني أربع عشرة قاله الضحاك والثالث سبع سنين قاله قتادة قال مالك بن دينار لما قال يوسف

للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى وقال يارب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة فويل لإخوتي وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات يا أيها الملأ افتوني في رءياي إن كنتم للرءيا تعبرون قوله تعالى وقال الملك يعني ملك مصر الأكبر إني أرى يعني في المنام ولم يقل رايت وهذا جائز في اللغة أن يقول القائل أرى بمعنى رأيت قال وهب بن منبه لما انقضت المدة التي وقتها الله تعالى ليوسف في حبسه دخل عليه جبريل إلى السجن فبشره بالخروج وملك مصر ولقاء أبيه فلما أمسى الملك من ليلتئذ رأى سبع بقرات سمان خرجن من البحر في آثارهن سبع عجاف فأقبلت العجاف على السمان فأخذن بأذنابهن فأكلنهن إلى القرنين ولم يزد في العجاف شيء ورأى سبع سنبلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فأكلنهن حتى أتين عليهن ولم يزدد في اليابسات شيء فدعا أشراف قومه فقصها عليهم فقالوا أضغاث أحلام قال الزجاج والعجاف التي قد بلغت في الهزال الغاية والملأ الذين يرجع إليهم في الأمور ويقتدى برأيهم واللام في قوله للرؤيا دخلت على المفعول للتبيين المعنى إن كنتم تعبرون ثم يبن باللام فقال للرؤيا ومعنى عبرت الرؤيا وعبرتها أخبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها واشتقاقه من عبر النهر وهو شاطئ النهر فتأويل عبرت النهر بلغت إلى عبره أي إلى شطه وهو آخر عرضه

(٤/٢٢٩)

وذكر ابن الأنباري في اللام قولين
أحدهما أنها للتوكيد والثاني أنها أفادت معنى إلى والمعنى إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين
قوله تعالى قالوا أضغاث أحلام قال أبو عبيدة واحدها ضغث مكسورة وهي ما لا تأويل له من الرؤيا تراه جماعات تجمع من الرؤيا كما يجمع الحشيش فيقال ضغث أي ملء كف منه وقال الكسائي الأضغاث الرؤيا المختلطة وقال ابن قتيبة أضغاث أحلام أي أخلاط مثل أضغاث النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضروب مختلفة وقال الزجاج الضغث في اللغة الحزمة والباقة من الشيء كالبقل وما أشبهه فقالوا له رؤياك أخلاط أضغاث أي حزم أخلاط ليست برؤيا بينه وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين أي ليس للرؤيا المخلتطة عندنا تأويل وقال غيره وما نحن بتأويل الأحلام الذي هذا وصفها بعالمين والأحلام جمع حلم وهو ما يراه الإنسان في نومه مما يصح ومما يبطل وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلى قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون

(٤/٢٣٠)

قولة تعالي وقال اللذي نجا منهما يعني اللذي تخلص من القتل من الفتيين وهو الساقي وادكر اي تذكر شأن يوسف وما وصاة بة قال الزجاج وأصل ادكر اذتكر ولكن التاء ابدلت منها الدال وأدغمت الذال في الدال وقرأ الحسن واذكر بالذال المشددة وقوله بعد أمة أي بعد حين وهو الزمان الذي لبثه يوسف بعده في السجن وقد سبق بيانه وقرأ ابن عابس والحسن بعد امة أراد بعد نسيان
فإن قيل هذا يدل على أن الناسي في قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه هو الساقي ولا شك أن من قال إن الناسي يوسف يقول لم ينس الساقي
فالجواب أن من قال إن يوسف نسي يقول معنى قوله وادكر ذكر كما تقول العرب احتلب بمعنى حلب واغتدى بمعنى غدا فلا يدل إذا على نسيان سبقه وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال إنما لم يذكر الساقي خبر يوسف للملك حتى احتاج الملك إلى تأويل رؤياه خوفا من أن يكون ذكره ليوسف سببا لذكره الذنب الذي من أجله حبس ذكر هذا الجواب ابن الأنباري

قوله تعالى أنا أنبئكم بتأويله أي من جهة يوسف فأرسلون أثبت الياء فيها وفي ولا تقربون يوسف ٦٠ أن تفندون يوسف ٩٤ يعقوب في الحالين فخاطب الملك وحده بخطاب الجميع تعظيما وقيل خاطبه وخاطب أتباعه وفي الكلام اختصار المعنى فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا يوسف يا أيها الصديق والصديق الكثير الصدق كما يقال فسيق وسكير وقد سبق بيانه النساء ٦٩

(٤/٢٣١)

قوله تعالى لعلي أرجع إلى الناس يعني الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه وفي قوله لعلهم يعلمون قولان

أحدهما يعلمون تأويل رؤيا الملك والثاني يعلمون بمكانك فيكون سبب خلاصك

وذكر ابن الأنباري في تكرير لعلي قولين أحدهما أن لعل الأولى متعلقة بالإفتاء والثانية مبنية على الرجوع وكلتاهما بمعنى كي

والثاني أن الأولى بمعنى عسى والثانية بمعنى كي فأعيدت لاختلاف المعنيين وهذا هو الجواب عن قوله لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون يوسف ٦٣ قال المفسرون كان سيده العزيز قد مات واشتغلت عنه امرأته وقال بعضهم لم يكن العزيز قد مات فقال يوسف للساقي قل للملك هذه سبع سنين مخصبات ومن بعدهن سبع سنين شداد إلا أن يحتال لهن فانطلق الرسول إلى الملك فأخبره فقال له الملك ارجع إليه فقل له كيف يصنع فقال تزرعون سبع سنين دأبا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم دأبا ساكنه الهمزة إلا أن أبا عمرو كان إذا أدرج القراءة لم يهمزها وروى حفص عن عاصم دأبا بفتح الهمزة قال أبو علي الأكثر في دأب الإسكان ولعل الفتح لغة ومعنى دأبا أي زراعة متوالية على عادتكم والمعنى تزرعون دائبين فناب دأب عن دائبين وقال الزجاج المعنى تدأبون دأبا ودل على تدأبون تزرعون والدأب الملازمة للشيء والعادة

فإن قيل كيف حكم بعلم الغيب فقال تزرعون ولم يقل إن شاء الله فعنه أربعة أجوبة

(٤/٢٣٢)

أحدها أنه كان بوحي من الله عز و جل والثاني أنه بنى على علم ما علمه الله من التأويل الحق فلم يشك والثالث أنه أضمر إن شاء الله كما أضمر إخوته في قولهم ونمير أهلنا ونحفظ أخانا يوسف ٦٥ فاضمروا الاستثناء في نياتهم لأنهم على غير ثقة مما وعدوا ذكره ابن الأنباري والرابع أنه كالآمر لهم فكأنه قال ازرعوا

قوله تعالى فذروه في سنبله فإنه أبقى له وأبعد من الفساد والشداد المجدبات التي تشتد على الناس يأكلن أي يذهبن ما قدمتم لهن في السنين المخصبات فوصف السنين بالأكل وإنما يؤكل فيها كما يقال ليل نائم

قوله تعالى إلا قليلا مما تحصنون أي تحرزون وتدخرون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون

قوله تعالى ثم يأتي من بعد ذلك عام إن قيل لم أشار إلى السنين وهي مؤنثة ب ذلك

فعنه جوابان ذكرهما ابن القاسم

أحدهما أن السبع مؤنثه ولا علامة للتأنيث في لفظها فأشبهت المذكر كقوله السماء منفطر به المزمل ١٨ فذكر منفطرا لما لم يكن في السماء علم التأنيث قال الشاعر ... فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل إبقالها ...

فذكر أبقل لما وصفنا

والثاني أن ذلك إشارة إلى الجدب وهذا قول مقاتل والأول قول الكلبي قال قتادة زاده الله علم عام لم يسألوه عنه

قوله تعالى فيه يغاث الناس فيه قولان

أحدهما يصيبهم الغيث قاله ابن عباس والثاني يغاثون بالخصب ذكره الماوردي

قوله تعالى وفيه يعصرون قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وعاصم يعصرون بالياء وقرأ حمزة والكسائي بالتاء فوجها الخطاب إلى المستفتين

وفي قوله يعصرون خمسة أقوال

أحدها يعصرون العنب والزيت والثمرات رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال قتادة والجمهور

والثاني يعصرون بمعنى يحتلبون رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وروى ابن الأنباري عن أبيه عن أحمد بن عيد قال تفسير يعصرون يحتلبون الألبان لسعة خيرهم واتساع خصبهم واحتج بقول الشاعر ... فما عصمة الأعراب إن لم يكن لهم ... طعام ولا در من المال يعصر ...

أي يحلب

والثالث ينجون وهو من العصر والعصر النجاء والعصرة المنجاة ويقال فلان في عصرة إذا كان في حصن لا يقدر عليه قال الشاعر

صاديا يستغيث غير مغاث ... ولقد كان عصرة المنجود ...
أي غياثا للمغلوب المقهور وقال عدي ... لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري ...
والرابع يصيبون ما يحبون روي عن أبي عبيدة أيضا أنه قال المعتصر الذي يصيب الشيء ويأخذه ومنه هذه الآية ومنه قول ابن أحمر
فإنما العيش بريانه ... وأنت من أفنانه معتصر ...
والخامس يعطون ويفضلون لسعة عيشهم رواه ابن الأنباري عن بعض أهل الغة وقرأ سعيد بن جبير يعصرون بضم الياء وفتح الصاد وقال الزجاج أراد يمطرون من قوله وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا النبأ ١٤ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فسئله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الئن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصاداقين

(٤/٢٣٥)

قوله تعالى وقال الملك ائتوني به قال المفسرون لما رجع الساقي إلى الملك وأخبره بتأويل رؤياه وقع في نفسه صحة ما قال فقال ائتوني بالذي عبر رؤياي فجاءه الرسول فقال أجب الملك فأبى أن يخرج حتى تبين براءته مما قرف به فقال ارجع إلى ربك يعني الملك فاسأله ما بال النسوة وقرأ ابن أبي عبلة النسوة بضم النون والمعنى فاسأل الملك أن يتعرف ما شأن تلك النسوة وحالهن ليعلم صحة براءتي وإنما أشفق أن يراه اللمك بعين مشكوك في أمره أو متهم بفاحشة وأحب أن يراه بعد استقرار براءته عنده وظاهر قوله إن ربي بكيدكن عليم أنه يعني الله تعالى وحكى ابن جرير الطبري أنه أراد به سيده العزيز والمعنى أنه يعلم براءتي وقد روي عن نبينا صلى الله عليه و سلم أنه استحسن حزم يوسف وصبره عن التسرع إلى الخروج فقال صلى الله عليه و سلم إن الكريم بن الكريم بن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجبت
وفي ذكره للنسوة دون امرأة العزيز أربعة أقوال
أحدها أنه خلطها بالنسوة لحسن عشرة فيه وأدب قاله الزجاج والثاني لأنها زوجة ملك فصانها والثالث لأن النسوة شاهدات عليها له والرابع لأن في ذكره لها نوع تهمة ذكر الأقوال الثلاثة الماوردي قال المفسرون فرجع الرسول إلى الملك برسالة يوسف فدعا الملك النسوة وفيهن

(٤/٢٣٦)

امرأة العزيز فقال ما خطبكن أي ما شأنكن وقصتكن إذ راودتن يوسف
فإن قيل إنما راودته واحدة فلم جمعن فعنه ثلاثة أجوبة
أحدها أنه جمعهن في السؤال ليعلم عين المراودة والثاني أن أزليخا راودته على نفسه وراوده باقي النسوة على القبول منها والثالث أنه جمعهن في الخطاب والمعنى لواحدة منهن لأنه قد يوقع على النوع وصف الحبس إذا أمن من اللبس يدل عليه قول النبي صلى الله عليه و سلم للنساء إنكن أكثر أهل النار فجمعهن في الخطاب والمعنى لبعضهن ذكره ابن الأنباري
قوله تعالى قلن حاش لله قال الزجاج قرأ الحسن بتسكين الشين ولا اختلاف بين النحويين أن الإسكان غير جائز لأن الجمع بين ساكنين لا يجوز ولا هو من كلام العرب فأعلم النسوة الملك براءة يوسف من السوء فقالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أي برزوتبين واشتقاقه في اللغة من الحصة أي بانت حصة الحق وجهته من حصة جهة الباطل وقال ابن القاسم

(٢٣٧/٤)

حصحص بمعنى وضح وانكشف تقول العرب حصحص البعير في بروكة إذا تمكن وأثر في الأرض وفرق الحصى
وللمفسرين في ابتداء أزليخا بالإقرار قولان
أحدهما أنها لما رأت النسوة قد برأنه قالت لم يبق إلا أن يقبلن على بالتقرير فأقرت قاله الفراء
والثاني أنها أظهرت التوبة وحققت صدق يوسف قاله الماوردي ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين
قوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال مقاتل ذلك بمعنى هذا وقال ابن الأنباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع وأشباهه لقرب الخبر من أصحابه فصار كالمشاهد الذي يشار إليه بهذا ولما كان متقضيا أمكن أن يشار إليه بذلك لأن المقتضي كالغائب
واختلفوا في القائل لهذا على ثلاثة أقوال
أحدها أنه يوسف وهو من أغمض ما يأتي من الكلام أن تحكي عن شخص شيئا ثم تصله بالحكاية عن آخر ونظير هذا قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم الأعراف ١١٠ هذا قول الملأ فماذا تأمرون قول فرعون ومثله وجعلوا أعزة أهلها أذلة النمل ٣٤ هذا قول بلقيس وكذلك يفعلون قول الله تعالى ومثله من بعثنا من مرقدنا يس ٥٢ هذا قول الكفار فقالت الملائكة هذا ما وعد الرحمن وإنما يجوز مثل هذا في الكلام لظهور الدلالة على المعنى

واختلفوا أين قال يوسف هذا على قولين
أحدهما أنه لما رجع الساقي إلى يوسف فأخبره وهو في السجن بجواب امرأة العزيز والنسوة للملك قال حينئذ ذلك ليعلم رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال ابن جريج
والثاني أنه قاله بعد حضوره مجلس الملك رواه عطاء عن ابن عباس
قوله تعالى ذلك ليعلم أي ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك ليعلم
واختلفوا في المشار إليه بقوله ليعلم وقوله لم أخنه على أربعة أقوال
أحدها أنه العزيز والمعنى ليعلم العزيز أني لم أخنه في امرأته بالغيب أي إذا غاب عني رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة والجمهور
والثاني أن المشار إليه بقوله ليعلم الملك والمشار إليه بقوله لم أخنه العزيز والمعنى ليعلم الملك أني لم أخن العزيز في أهله بالغيب رواه الضحاك عن ابن عباس
والثالث أن المشار إليه بالشيئين الملك فالمعنى ليعلم الملك أني لم أخنه يعني الملك أيضا بالغيب وفي وجه خيانة الملك في ذلك قولان
أحدهما لكون العزيز وزيره فالمعنى لم أخنه في امرأة وزيره قاله ابن الأنباري
والثاني لم أخنه في بنت أخته وكانت أزليخا بنت أخت الملك قاله أبو سليمان الدمشقي

والرابع أن المشار إليه بقوله ليعلم الله فالمعنى ليعلم الله أني لم أخنه روي عن مجاهد قال ابن الأنباري نسب العلم إلى الله في الظاهر وهو في المعنى للمخلوقين كقوله حتى نعلم المجاهدين منكم محمد ٣١
فإن قيل إن كان يوسف قال هذا في مجلس الملك فكيف قال ليعلم ولم يقل لتعلم وهو يخاطبه فالجواب أنا إن قلنا إنه كان حاضرا عند الملك فإنما آثر الخطاب بالياء توقيرا للملك كما يقول الرجل للوزير إن رأى الوزير أن يوقع في قصتي وإن قلنا إنه كان غائبا فلا وجه لدخول التاء وكذلك إن قلنا إنه عني العزيز والعزيز غائب عن مجلس الملك حينئذ
والقول الثاني أنه قول امرأة العزيز فعلى هذا يتصل بما قبله والمعنى ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته الآن بالكذب عليه
والثالث أنه قول العزيز والمعنى ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب فلم أغفل عن مجازاته على أمانته

حكى القولين الماوردي
قوله تعالى وأن الله لا يهدي كيد الخائنين قال ابن عباس لا يصوب عمل الزناة وقال غيره لا يرشد من خان أمانته ويفضحه في عاقبته وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين

(٤/٢٤٠)

قوله تعالى وما أبرئ في القائل لهذا ثلاثة أقوال وهي التي تقدمت في الآية قبلها
فالذين قالوا هو يوسف اختلفوا في سبب قوله لذلك على خمسة أقوال
أحدها أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه بالغيب غمزه جبريل فقال ولا حين هممت فقال وما أبرئ نفسي رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال الأكثرون
والثاني أن يوسف لما قال لم أخنه ذكر أنه قد هم بها فقال وما أبرئ نفسي رواه العوفي عن ابن عباس
والثالث أنه لما قال ذلك خاف أن يكون قد زكى نفسه فقال وما أبرئ نفسي قاله الحسن
والرابع أنه لما قاله قال له الملك الذي معه اذكر ما هممت به فقال وما أبرئ نفسي قاله قتادة
والخامس أنه لما قاله قالت امرأة العزيز ولا يوم حللت سراويلك فقال وما أبرئ نفسي قاله السدي
والذين قالوا هذا قول امرأة العزيز فالمعنى وما أبرئ نفسي أني كنت راودته
والذين قالوا هو العزيز فالمعنى وما أبرئ نفسي من سوء الظن بيوسف لأنه قد خطر لي
قوله تعالى لأمارة بالسوء قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ويعقوب إلا رويسا بالسوء إلا بتحقيق الهمزتين وقرأ أبو عمرو وابن شنبوذ عن قنبل بتحقيق الثانية وحذف الأولى وروى نظيف عن قنبل بتحقيق الأولى وقلب الثانية ياء وقرأ أبو جعفر وورش ورويس بتحقيق الأولى وتليين الثانية

(٤/٢٤١)

بين بين مثل السوء علا وروى ابن فليح بتحقيق الثانية وقلب الأولى واوا وأدغمها في الواو التي قبلها فتصير واوا مكسورة مشددة قبل همزة إلا
قوله تعالى إلا ما رحم ربي قال ابن الأنباري قال اللغويون هذا استثناء منقطع والمعنى إلا أن رحمة ربي عليها المعتمد قال أبو صالح عن ابن عباس المعنى إلا من عصم ربي وقيل ما بمعنى من قال الماوردي

ومن قال هو قول امرأة العزيز فالمعنى إلا من رحم ربي في قهره لشهوته أو في نزعها عنه ومن قال هو قول العزيز فالمعنى إلا من رحم ربي بأن يكفيه سوء الظن أو يثبته فلا يعجل قال ابن الأنباري والقول بأن هذا قول يوسف أصح لوجين

أحدهما لأن العلماء عليه والثاني لأن المرأة كانت عابدة وثن وما تضمنته الآية أليق أن يكون قول يوسف من قول من لا يعرف الله عز و جل وقال المفسرون فلما تبين الملك عذر يوسف وعلم أمانته قال أئتوني به أستخلصه لنفسي أي أجعله خالصا لي لا يشركني فيه أحد

فإن قيل فقد رويتم في بعض ما مضى أن يوسف قال في مجلس الملك ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب فكيف قال الملك ائتوني به وهو حاضر عنده

فالجواب أن أرباب هذا القول يقولون أمر الملك باحضاره ليقلده الأعمال في غير المجلس الذي استحضره فيه لتعبير الرؤيا قال وهب لما دخل يوسف على الملك وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا كان كلما كلمة بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان فعجب الملك وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة فقال إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاها فذكرها له قال فما ترى أيها الصديق

(٤/٢٤٢)

قال أرى أن تزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجمع الطعام فيأتيك الناس فيمتارون وتجمع عندك من الكنوز مالم يجتمع لأحد فقال الملك ومن لي بهذا فقال يوسف اجعلني على خزائن الأرض قال ابن عباس ويريد بقوله مكين أمين أي قد مكنتك في ملكي وائتمنتك فيه وقال مقاتل المكين الوجيه والأمين الحافظ

قوله تعالى اجعلني على خزائن الأرض أي خزائن أرضك

وفي المراد بالخزائن قولان

أحدهما خزائن الأموال قاله الضحاك والزجاج

والثاني خزائن الطعام فحسب قاله ابن السائب قال الزجاج وإنما سأل ذلك لأن الأنبياء بعثوا بالعدل فعلم أنه لا أحد أقوم بذلك منه

وفي قوله إني حفيظ عليم ثلاثة أقوال

أحدها حفيظ لما وليتني عليم بالمجاعة متى تكون قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني حفيظ لما استودعتني عليم بهذه السنين قاله الحسن

والثالث حفيظ للحساب عليم بالألسن قاله السدي وذلك أن الناس كانوا يردون على الملك من كل ناحية فيتكلمون بلغات مختلفة

واختلفوا هل ولاه الملك يومئذ أم لا على ثلاثة أقوال
أحدها أنه ولاه بعد سنة روى الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل أجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة وذكر مقاتل أن النبي صلى الله عليه و سلم

(٤/٢٤٣)

قال لو أن يوسف قال إني حفيظ عليم إن شاء الله لملك من وقته قال مجاهد أسلم الملك على يد يوسف وقال أهل السير أقام في بيت الملك سنة فلما انصرمت دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وأمر له بسرير من ذهب وضرب عليه كلة من إستبرق فجلس على السرير كالقمر ودانت له الملوك ولزم الملك بيته وفوض أمره إليه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم إن قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف بامرأة قطفير فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمني فإني كنت امرأة حسناء في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فولدت له ابنين إفراييم وميشا واستوسق له ملك مصر
والقول الثاني أنه ملكه بعد سنة ونصف حكاه مقاتل عن ابن عباس
والثالث أنه سلم إليه الأمر من وقته قاله وهب وابن السائب
فإن قيل كيف قال يوسف إني حفيظ عليم ولم يقل إن شاء الله فعنه ثلاثة أجوبة
أحدها أن ترك الاستثناء أوجب عقوبة بأن أخر تمليكه على ما ذكرنا عن النبي صلى الله عليه و سلم
والثاني أنه أضمر الاستثناء كما أضمروه في قولهم ونمير أهلها
والثالث أنه أراد أن حفظي وعلمي يزيدان على حفظ غيري وعلمه فلم يحتج هذا إلى الاستثناء لعدم الشك فيه ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري
فإن قيل كيف مدح نفسه بهذا القول ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع

(٤/٢٤٤)

فالجواب أنه لما خلا مدحه لنفسه من بغي وتكبر وكان مراده به الوصول إلى حق يقيمه وعدل يحيه وجور يبطله كان ذلك جميلا جائزا وقد قال نبينا صلى الله عليه و سلم أنا أكرم ولد آدم على ربه وقال علي بن أبي طالب عليه السلام والله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار وقال ابن مسعود لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لأتيته فهذه الأشياء خرجت مخرج الشكر لله وتعريف

المستفيد ما عند المفيد ذكر هذا محمد بن القاسم قال القاضي أبو يعلى في قصة يوسف دلالة على أنه يجوز للانسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه وأنه ليس من المحظور في قوله فلا تزكوا أنفسكم النجم ٣٢

قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الكلام محذوف تقديره اجعلني على خزائن الأرض قال قد فعلت فحذف ذلك لأن قوله وكذلك مكنا ليوسف يدل عليه والمعنى ومثل ذلك الإنعام الذي أنعما عليه في دفع المكروه عنه وتخليصه من السجن وتقريبه من قلب الملك أقدرناه على ما يريد في أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء قال ابن عباس ينزل حيث أراد وقرأ ابن كثير والمفضل حيث نشاء بالنون

قوله تعالى نصيب برحمتنا أي نختص بنعمتنا من النبوة والنجاة من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين يعني المؤمنين يقال إن يوسف باع أهل مصر الطعام بأموالهم وحليهم ومواشيهم وعقارهم وعبيدهم ثم بأولادهم ثم برقابهم ثم قال للملك كيف ترى صنع ربي فقال الملك إنما نحن لك تبع قال

(٤/٢٤٥)

فإني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقت أهل مصر ورددت عليهم أملاكهم وكان يوسف لا يشبع في تلك الأيام ويقول إني أخاف أن أنسى الجائع ولأجر الآخرة خير للذين آمنواوكانوا يتقون

قوله تعالى ولأجر الآخرة خير المعنى ما نعطي يوسف في الآخرة خير مما أعطيناه في الدنيا وكذلك غيره من المؤمنين ممن سلك طريقه في الصبر وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

قوله تعالى وجاء إخوة يوسف روى الضحاك عن ابن عباس قال لما فوض الملك إلى يوسف أمر مصر تلطف يوسف للناس ولم يزل يدعوهم إلى الإسلام فآمنوا به وأحبوه فلما أصاب الناس القحط نزل ذلك بأرض كنعان فأرسل يعقوب ولده للميرة وذاع أمر يوسف في الآفاق وانتشر عدله ورحمته ورأفته فقال يعقوب يا بني إنه قد بلغني أن بمصر ملكا صالحا فانطلقوا إليه وأقرئوه مني السلام وانتسبوا له لعله يعرفكم فانطلقوا فدخلوا عليه فعرفهم وأنكروه فال من أين أقبلتم قالوا من أرض كنعان ولنا شيخ يقال له يعقوب وهو يقرئك السلام فبكى وعصر عينيه وقال لعلكم جواسيس جئتم تنظرون عورة بلدي فقالوا لا والله ولكنا من كنعان أصابنا الجهد فأمرنا أبونا أن نأتيك فقد بلغه عنك خير قال فكم أنتم قالوا أحد عشر أخا وكنا اثنى عشر فأكل أحدنا الذئب قال فمن يعلم صدقكم ائتوني بأخيكم الذي من أبيكم وروى أبو صالح عن ابن عباس قال لما دخلوا عليه كلموه بالعبرانية فأمر الترجمان فكلمهم ليشبه عليهم فقال الترجمان قل لهم أنتم عيون بعثكم ملككم لتنظروا إلى أهل مصر فتخبرونه فيأتينا بالجنود فقالوا لا

(٤/٢٤٦)

ولكنا قوم لنا أب شيخ كبير وكنا اثنى عشر فهلك منا واحد في الغنم وقد خلفنا عند أبينا أخا له من أمه فقال إن كنتم صادقين فخلفوا عندي بعضكم رهنا وائتوني بأخيكم فحبس عنده شمعون

واختلفوا بماذا عرفهم يوسف على قولين أحدهما أنه عرفهم برؤيتهم قاله ابن عباس والثاني أنه ما عرفهم حتى تعرفوا إليه قاله الحسن

قوله تعالى وهم له منكرون قال مقاتل لا يعرفونه

وفي علة كونهم لم يعرفوه قولان

أحدهما أنهم جاؤوه مقدرين أنه ملك كافر فلم يتأملوا منه ما يزول به عنهم الشك

والثاني أنهم عاينوا من زيه وحليته ما كان سببا لإنكارهم وقد روى أبو صالح عن ابن عباس أنه كان لا بسا ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب

فإن قيل كيف يخفى من قد أعطي نصف الحسن وكيف يشتبه بغيره

فالجواب أنهم فارقوه طفلا ورأوه كبيرا والأحوال تتغير وما توهموا أنه ينال هذه المرتبة وقال ابن قتيبة معنى كونه أعطي نصف الحسن أن الله جعل للحسن غاية وحدا وجعله لمن شاء من خلقه إما للملائكة أو للحور فجعل ليوسف نصف ذلك الحسن فكأنه كان حسنا مقاربا لتلك الوجوه الحسنة وليس كما يزعم الناس من أنه أعطي هذا الحسن وأعطي الناس كلهم نصف الحسن ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون

قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم يقال جهزت القوم تجهيزا إذا هيأت

لهم ما يصلحهم وجهاز البيت متاعه قال المفسرون حمل لكل رجل منهم بعيرا وقال ألا ترون أني أوفي الكيل أي أتمه ولا أبخسه وأنا خير المنزلين يعني المضيفين وذلك أنه أحسن ضيافتهم ثم أوعدهم على ترك الإتيان بأخيهم فقال فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي وفيه قولان

أحدهما أنه يعني به فيما بعد وهو قول الأكثرين

والثاني أنه منعهم الكيل في الحال قاله وهب بن منبه قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون

قوله تعالى قالوا سنراود عنه أباه أي نطلبه منه والمراودة الاجتهاد في الطلب

وفي قوله وإنا لفاعلون ثلاثة أقوال

أحدها أن المعنى وإنا لجاؤوك به وضامنون لك المجيء به هذا مذهب الكلبي

والثاني أنه توكيد قاله الزجاج فعلى هذا يكون الفعل الذي ضمنوه عائدا إلى المراودة فيصح معنى

التوكيد
والثالث وإنما لمديمون المطالبة به لأبينا ومتابعون المشورة عليه بتوجيهه وهذا غير المراودة ذكره ابن الأنباري
فإن قيل كيف جاز ليوسف أن يطلب أخاه وهو يعلم مافي ذلك من إدخال الحزن على أبيه فعنه خمسة أجوبة
أحدها أنه يجوز أن يكون ذلك بأمر عن الله تعالى زيادة لبلاء يعقوب ليعظم ثوابه وهذا الأظهر

(٤/٢٤٨)

والثاني أنه طلبه لا ليحبسه فلما عرفه قال لا أفارقك يا يوسف قال لا يمكنني حبسك إلا أن أنسبك إلى أمر فظيع قال أفعل ما بدا لك قاله كعب
والثالث أن يكون قصد تنبيه يعقوب بذلك على حال يوسف
والرابع ليتضاعف سرور يعقوب برجوع ولديه
والخامس ليعجل سرور أخيه باجتماعه به قبل إخوته وكل هذه الأجوبة مدخوله إلا الأول فإنه الصحيح ويدل عليه ما روينا عن وهب بن منبه قال لما جمع الله بين يوسف ويعقوب قال له يعقوب بيني وبينك هذه المسافة القريبة ولم تكتب إلى تعرفني فقال إن جبريل أمرني أن لا أعرفك فقال له سل جبريل فسأله فقال إن الله أمرني بذلك فقال سل ربك فسأله فقال قل ليعقوب خفت عليه الذئب ولم تؤمني
وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون
قوله تعالى وقال لفتيته قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم لفتيته وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم لفتيانه قال أبو علي الفتية جمع فتى في العدد القليل والفتيان في الكثير والمعنى قال لغلمانه اجعلوا بضاعته وهي التي اشتروا بها الطعام في رحالهم والرحل كل شيء يعد للرحيل لعلهم يعرفونها أي ليعرفوها إذا انقلبوا أي رجعوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون أي لكي يرجعوا
وفي مقصوده بذلك خمسة أقوال
أحدها أنه تخوف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به مرة أخرى فجعل دراهمهم في رحالهم قاله أبو صالح عن ابن عباس

(٤/٢٤٩)

والثاني أنه أراد أنهم إذا عرفوها لم يستحلوا إمساكها حتى يردوها قاله الضحاك
والثالث أنه استقبح أخذ الثمن من والده وإخوته مع حاجتهم إليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون سبب رده تكرما وتفضلا ذكره ابن جرير الطبري وأبو سليمان الدمشقي
والرابع ليعلموا أن طلبه لعودهم لم يكن طمعا في أموالهم ذكره الماوردي
والخامس أنه أراهم كرمه وبره ليكون أدعى إلى عودهم فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له الحافظون قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافضا وهو أرحم الراحمين
قوله تعالى فلما رجعوا إلى أبيهم قال المفسرون لما عادوا إلى يعقوب قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته
وفي قوله منع منا الكيل قولان قد تقدما في قوله فلا كيل لكم عندي يوسف ٦١
فإن قلنا إنه لم يكل لهم فلفظ منع بين
وإن قلنا إنه خوفهم منع الكيل ففي المعنى قولان
أحدهما حكم علينا بمنع الكيل بعد هذا الوقت كما تقول للرجل دخلت والله النار بما فعلت

والثاني أن المعنى يا أبانا يمنع منا الكيل إن لم ترسله معنا فناب منع عن يمنع كقوله يحسب أن ماله أخلده الهمزة ٣ أي يخلده وقوله ونادى أصحاب النار الأعراف ٥٠ وإذ قال الله يا عيسى المائدة ١١٦ أي وإذ يقول ذكرهما ابن الأنباري
قوله تعال فأرسل معنا أخانا نكتل قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر نكتل بالنون وقرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء والمعنى إن أرسلته معنا اكتلنا وإلا فقد منعنا الكيل قوله تعالى هل آمنكم عليه أي لا آمنكم إلا كأمني على يوسف يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إذ خانوه فالله خير حفظا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم حفظا والمعنى خير حفظا من حفظكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم خير حافظا بألف قال أبو علي ونصبه على التمييز دون الحال ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا

حاجة في نفس يعقوب قضيها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون
قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم يعني أوعية الطعام وجدوا بضاعتهم التي حملوها ثمنا للطعام ردت قال الزجاج الأصل رددت فأدغمت الدال الأولى في الثانية وبقيت الراء مضمومة ومن قرأ بكسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال كما فعل ذلك في قيل وبيع ليدل على أن أصل الدال ال كسر
قوله تعالى ما نبغي في ما قولان
أحدهما أنها استفهام المعنى أي شيء نبغي وقد ردت بضاعتنا إلينا
والثاني أنها نافية المعنى ما نبغي شيئا أي لسنا نطلب منك دراهم نرجع بها إليه بل تكفينا هذه في الرجوع إليه وأرادوا بذلك تطييب قلبه ليأذن لهم بالعود وقرأ ابن مسعود وابن يعمر والجحدري وأبو حيوة ما تبغي بالتاء على الخطاب ليعقوب
قوله تعالى ونمير أهلنا أي نجلب لهم الطعام قال ابن قتيبة يقال مار أهله يميرهم ميرا وهو مائر لأهله إذا حمل إليهم أقواتهم من غير بلده
قوله تعالى ونحفظ أخانا فيه قولان
أحدهما نحفظ أخانا بنيامين الذي ترسله معنا قاله الأكثرون
والثاني ونحفظ أخانا شمعون الذي أخذه رهينة عنده قاله الضحاك عن ابن عباس
قوله تعالى ونزداد كيل بعير أي وقر بعير يعنون بذلك نصيب أخيهم لأن يوسف كان لا يعطي الواحد أكثر من حمل بعير

قوله تعالى ذلك كيل يسير فيه ثلاثة أقوال
أحدها ذلك كيل سريع لا حبس فيه يعنون إذا جاء معنا عجل الملك لنا الكيل قاله مقاتل
والثاني ذلك كيل سهل على الذي نمضي إليه قاله الزجاج
والثالث ذلك الذي جئناك به كيل يسير لا يقنعنا قاله الماوردي
قوله تعالى حتى تؤتون موثقا من الله أي تعطوني عهدا أثق به والمعنى حتى تحلفوا لي بالله لتأتنني به أي لتردنه إلي قال ابن الأنباري وهذه اللام جواب لمضمر تلخيصه وتقولوا والله لتأتنني به
قوله تعالى إلا أن يحاط بكم فيه قولان
أحدهما أن يهلك جميعكم قاله مجاهد

والثاني أن يحال بينكم وبينه فلا تقدرون على الإتيان به قاله الزجاج

قوله تعالى فلما آتوه موثقهم أي أعطوه العهد وفيه قولان

أحدهما أنهم حلفوا له بحق محمد صلى الله عليه و سلم ومنزلته من ربه قاله الضحاك عن ابن عباس

والثاني أنهم حلفوا بالله تعالى قاله السدي

قوله تعالى قال الله على ما نقول وكيل فيه قولان

أحدهما أنه الشهيد والثاني كفيل بالوفاء رويا عن ابن عباس

قوله تعالى لا تدخلوا من باب واحد قال المفسرون لما تجهزوا للرحيل قال لهم يعقوب لا تدخلوا يعني مصر من باب واحد

وفي المراد بهذا الباب قولان

أحدهما أنه أراد بابا من أبواب مصر وكان لمصر أربعة أبواب قاله الجمهور

والثاني أنه أراد الطرق لا الأبواب قاله السدي وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس

وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال

أحدها أنه خاف عليهم العين وكانوا أولي جمال وقوة وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة

والثاني أنه خاف أن يغتالوا لماظهر لهم في أرض مصر من التهمة قاله وهب بن منبه

والثالث أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة قاله إبراهيم النخعي

قوله تعالى وما أغني عنكم من الله من شيء أي لن أدفع عنكم شيئا قضاه الله فإنه إن شاء أهلككم متفرقين ومصداقة في الآية التي بعدها ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي إرادته أن يكون دخولهم كذلك شفقة عليهم قال الزجاج إلا حاجة استثناء ليس من الأول والمعنى لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها قال ابن عباس قضاها أي أبداها وتكلم بها

قوله تعالى وإنه لذو علم لما علمناه فيه سبعة أقوال

أحدها إنه حافظ لما علمناه قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثاني وإنه لذو علم أن دخلوهم من أبواب متفرقة لا يغني عنهم من الله شيئا قاله الضحاك عن ابن عباس

والثالث وإنه لعامل بما علم قاله قتادة وقال ابن الأنباري سمي العمل علما لأنه العلم أول أسباب العمل

والرابع وإنه لمتيقن لوعدنا قاله الضحاك
والخامس وإنه لحافظ لوصيتنا قاله ابن السائب
والسادس وإنه لعالم بما علمناه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضاه الله قاله مقاتل
والسابع وإنه لذو علم لتعليمنا إياه قاله الفراء ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون
قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف يعني إخوته آوى إليه أخاه يعني بنيامين وكان أخاه لأبيه وأمه قاله قتادة وضمه إليه وأنزله معه قال ابن قتيبة يقال آويت فلانا إلي بمد الألف إذا ضممته إليك وأويت إلى بني فلان بقصر الألف إذا لجأت إليهم
وفي قوله قال إني أنا أخوك قولان
أحدهما أنهم لما دخلوا عليه حبسهم بالباب وأدخل أخاه فقال له ما اسمك فقال بنيامين قال فما اسم أمك قال راحيل بنت لاوي فوثب إليه فاعتنقه فقال إني أنا أخوك قاله أبو صالح عن ابن عباس وكذلك قال ابن إسحاق أخبره أنه يوسف
والثاني أنه لم يعترف له بذلك وإنما قال أنا أخوك مكان أخيك الهالك قاله وهب بن منبه وقيل إنه أجلسهم كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحيدا يبكي وقال لو كان أخي حيا لأجلسني معه فضمه يوسف إليه وقال إني أرى هذا وحيدا فأجسله معه على مائدته فلما جاء الليل نام كل اثنين على منام فبقي وحيدا فقال يوسف هذا ينام معي فلما خلا به

قال هل لك أخ من أمك قال كان لي أخ من أمي فهلك فقال أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك فقال أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه فاعتنقه وقال إني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس قال قتادة لا تأس ولا تحزن وقال الزجاج لا تحزن ولا تستكن قال ابن الأنباري تبتئس تفتعل من البؤس وهو الضر والشدة أي لا يلحقنك بؤس بالذي فعلوا
قوله تعالى بما كانوا يعملون فيه ثلاثة اقوال
أحدها أنهم كانوا يعيرون يوسف وأخاه بعبادة جدهما أبي أمهما للأصنام فقال لا تبتئس بما كانوا يعملون من التعيير لنا روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس
والثاني لا تحزن بما سيعملون بعد هذا الوقت حين يسرقونك فتكون كانوا بمعنى يكونون قال الشاعر
... فأدركت من قد كان قبلي ولم أدع ... لمن كان بعدي من القصائد مصنعا ...
وقال آخر ... وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح ...

أرادك فقد كان وهذا مذهب مقاتل
والثالث لا تحزن بما عملوا من حسدنا وحرصوا على صرف وجه أبينا عنا وإلى هذا المعنى ذهب ابن إسحاق

(٤/٢٥٦)

فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم
قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم قال المفسرون أوفى لهم الكيل وحمل ل بنيامين بعيرا باسمه كما حمل لهم وجعل السقاية في رحل أخيه وهي الصواع فهما اسمان واقعان على شيء واحد كالبر والحنطة والمائدة والخوان وقال بعضهم الاسم الحقيقي الصواع والسقاية وصف كما يقال كوز وإناء فالاسم الخاص الكوز قال المفسرون جعل يوسف ذلك الصاع مكيالا لئلا يكال بغيره وقيل كال لإخوته بذلك إكراما لهم قالوا ولما ارتحل إخوة يوسف وأمعنوا أرسل الطلب في أثرهم فأدركوا وحبسوا ثم أذن مؤذن قال الزجاج أعلم معلم يقال آذنته بالشيء فهو مؤذن به أي أعلمته وآذنت أكثرت الإعلام بالشيء يعني أنه إعلام بعد إعلام أيتها العير يريد أهل العير فأنث لأنه جعلها للعير قال الفراء لا يقال عير إلا لأصحاب الإبل وقال أبو عبيدة العير الإبل المرحولة المركوبة وقال ابن قتيبة العير القوم على الإبل
فإن قيل كيف جاز ليوسف أن يسرق من لم يسرق فعنه أربعة أجوبة
أحدها أن المعنى إنكم لسارقون يوسف حين قطعتموه عن أبيه وطرحتموه في الجب قاله الزجاج

(٤/٢٥٧)

والثاني أن المنادي نادى وهو لا يعلم أن يوسف أمر بوضع السقاية في رحل أخيه فكان غير كاذب في قوله قاله ابن جرير
والثالث أن المنادي نادى بالتسريق لهم بغير أمر يوسف
والرابع أن المعنى إنكم لسارقون فيما يظهر لمن لم يعلم حقيقة أخباركم كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم الدخان ٤٩ أي عند نفسك لا عندنا وقول النبي صلى الله عليه و سلم كذب إبراهيم ثلاث كذبات أي قال قولا يشبه الكذب وليس به
قوله تعالى قالوا يعني إخوة يوسف وأقبوا عليهم فيه قولان
أحدهما على المؤذن وأصحابه والثاني أقبل المنادي ومن معه على إخوة يوسف بالدعوى ماذا تفقدون

مالذي ضل عنكم قالوا نفقد صواع الملك قال الزجاج الصواع هو الصاع بعينه وهو يذكر ويؤنث وكذلك الصاع يذكر ويؤنث وقد قرئ صياع بياء وقرئ صوغ بغين معجمة وقرئ صوع بعين غيرمعجمة مع فتح الصاد وضمها وقرأ أبو هريرة صاع الملك وكل هذه لغات ترجع إلى معنى واحد إلا أن الصوغ بالغين المعجمة مصدر صغت وصف الإناء به لأنه كان مصوغا من ذهب

واختلفوا في جنسه على خمسة أقوال

أحدها أنه كان قدحا من زبرجد والثاني أنه كان من نحاس رويا عن ابن عباس والثالث أنه كان شربة من فضة مرصعة بالجوهر قاله عكرمة

(٢٥٨/٤)

والرابع كان كأسا من ذهب قاله ابن زيد والخامس كان من مس حكاه الزجاج

وفي صفته قولان

أحدهما أنه كان مستطيلا يشبه المكوك والثاني أنه كان يشبه الطاس

قوله تعالى ولمن جاء به يعني الصواع حمل بعير من الطعام وأنا به زعيم أي كفيل لمن رده بالحمل يقوله المؤذن قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين

قوله تعالى قالوا تالله قال الزجاج تالله بمعنى والله إلا أن التاء لا يقسم بها إلى في الله عز و جل ولا يجوز تالرحمن لأفعلن ولا تربي لأفعلن والتاء تبدل من الوار كما قالوا في وراث تراث وقالوا يتزن وأصله يوتزن من الوزن قال ابن الأنباري أبدلت التاء من الواو كما أبدلت في التخمة والتراث والتجاه وأصلهن من الوخمة والوجاه لأنهن من الوخامة والوراثة والوجه ولا تقول العرب تالرحمن كما قالوا تالله لأن الاستعمال في الإقسام كثر بالله ولم يكن بالرحمن فجاءت التاء بدلا من الواو في الموضع الذي يكثر استعماله

قوله تعالى لقد علمتم يعنون يوسف ما جئنا لنفسد في الأرض أي لنظلم أحدا أو نسرق

فإن قيل كيف حلفوا على علم قوم لا يعرفونهم

(٢٥٩/٤)

فالجواب من ثلاثة أوجه

أحدها أنهم قالوا ذلك لأنهم رددوا الدراهم ولا يستحلوها فالمعنى لقد علمتم أنا رددنا عليكم

دراهمكم وهي أكثر من ثمن الصاع فكيف نستحل صاعكم رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال مقاتل والثاني لأنهم لما دخلوا مصر كعموا أفواه إبلهم وحميرهم حتى لا تتناول شيئا وكان غيرهم لا يفعل ذلك رواه أبو صالح عن ابن عباس

والثالث أن أهل مصر كانوا قد عرفوهم أنهم لا يظلمون أحدا

قوله تعالى فما جزاؤه المعنى قال المنادي وأصحابه فما جزاؤه قال الأخفش إن شئت رددت الكناية إلى السارق وإن شئت رددتها إلى السرق

قوله تعالى إن كنتم كاذبين أي في قولكم وما كنا سارقين قالوا يعني إخوة يوسف جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه أي يستعبد بذلك قال ابن عباس وهذه كانت سنة آل يعقوب فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من عاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم

قوله تعالى فبدأ بأوعيتهم قال المفسرون انصرف بهم المؤذن إلى يوسف وقال لا بد من تفتيش أمتعتكم فبدأ يوسف بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لإزالة التهمة فلما وصل إلى وعاء أخيه قال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نبرح حتى تنظر في رحله فهو أطيب لنفسك فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فذلك قوله ثم استخرجها

(٤/٢٦٠)

وفي هاء الكناية ثلاثة أقوال

أحدها أنها ترجع إلى السرقة قاله الفراء والثاني إلى السقاية قاله الزجاج والثالث إلى الصواع على لغة من أنثه ذكره ابن الأنباري قال المفسرون فأقبلوا على بنيامين وقالوا أي شيء صنعت فضحتنا وأزريت بأبيك الصديق فقال وضع هذا في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم وقد كان يوسف أخبر أخاه بما يريد أن يصنع به

قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف فيه أربعة أقوال

أحدها كذلك صنعنا له قاله الضحاك عن ابن عباس

والثاني احتلنا له والكيد الحيلة قاله ابن قتيبة

والثالث أردنا ليوسف ذكره ابن القاسم

والرابع دبرنا له بأن ألهمناه ما فعل بأخيه ليتوصل إلى حبسه قال ابن الأنباري لما دبر الله ليوسف ما دبر من ارتفاع المنزلة وكمال النعمة على غير ما ظن إخوته شبه بالكيد من المخلوقين لأنهم يسترون ما يكيدون به عمن يكيدونه

قوله تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك في المراد بالدين هاهنا قولان
أحدهما أنه السلطان فالمعنى في سلطان الملك رواه العوفي عن ابن عباس
والثاني أنه القضاء فالمعنى في قضاء الملك لأن قضاء الملك أن من سرق إنما يضرب ويغرم قاله أبو صالح عن ابن عباس وبيانه أنه لو أجرى أخاه على حكم الملك ما أمكنه حبسه لأن حكم الملك الغرم والضرب فحسب فأجرى الله على ألسنة إخوته أن جزاء السارق الاسترقاق فكان ذلك مما كاد الله ليوسف لطفا حتى أظفره بمراده بمشيئة الله فذلك معنى قوله إلا أن يشاء الله وقيل إلا أن يشاء الله إظهار علة يستحق بها أخاه

(٢٦١/٤)

قوله تعالى نرفع درجات من نشاء وقرأ يعقوب يرفع درجات من يشاء بالياء فيهما وقرأ أهل الكوفة درجات بالتنوين والمعنى نرفع الدرجات بصنوف العطاء وأنواع الكرامات وابواب العلوم وقهر الهوى والتوفيق للهدى كما رفعنا يوسف وفوق كل ذي علم عليم أي فوق كل ذي علم رفعه الله بالعلم من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى الله تعالى والكمال في العلم معدوم من غيره
وفي مقصود هذا الكلام ثلاثة أقوال
أحدها أن المعنى يوسف أعلم من إخوته وفوقه من هو أعلم منه
والثاني أنه نبه على تعظيم العلم وبين أنه أكثر من أن يحاط به
والثالث أنه تعليم للعالم التواضع لئلا يعجب قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نريك من المحسنين قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون
قوله تعالى قالوا يعني إخوة يوسف إن يسرق يعنون بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف قال المفسرون عوقب يوسف ثلاث مرات قال للساقي اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وقال للعزيز ليعلم أني لم أخنه بالغيب فقال له جبريل ولا حين هممت فقال وما أبرئ نفسي وقال لإخوته إنكم لسارقون فقالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل

(٢٦٢/٤)

وفي ما عنوا بهذه السرقة سبعة اقوال
أحدها أنه كان يسرق الطعام من مائدة أبيه في سني المجاعة فيطعمه للمساكين رواه عطاء عن ابن عباس
والثاني أنه سرق مكحلة لخالته رواه أبو مالك عن ابن عباس
والثالث أنه سرق صنما لجده أبي أمه فكسره وألقاه في الطريق فعيره إخوته بذلك قاله سعيد بن جبير ووهب بن منبه وقتادة
والرابع أن عمه يوسف وكانت أكبر ولد إسحاق كانت تحضن يوسف وتحبه حبا شديدا فلما ترعرع طلبه يعقوب فقالت ما أقدر أن يغيب عني فقال والله ما أنا بتاركه فعمدت إلى منطقة إسحاق فربطتها على يوسف تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة إسحاق فانظروا من أخذها فوجدوها مع يوسف فأخبرت يعقوب ذلك وقالت والله إنه لي أصنع فيه ما شئت فقال أنت وذاك فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت فذاك الذي عيره به إخوته رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد
والخامس أنه جاءه سائل يوما فسرق شيئا فأعطاه السائل فعيروه بذلك وفي ذلك الشيء ثلاثة اقوال أحدهما أنه كان بيضه قاله مجاهد والثاني أنه شاة قاله كعب والثالث دجاجة قاله سفيان بن عيينة
والسادس أن بني يعقوب كانوا على طعام فنظر يوسف إلى عرق فخبأه فعيروه بذلك قاله عطية العوفي وإدريس الأودي قال ابن الأنباري وليس في هذه الأفعال كلها ما يوجب السرقة لكنها تشبه السرقة فعيره إخوته بذلك عند الغضب

والسابع أنهم كذبوا عليه فيما نسبوه إليه قاله الحسن وقرأ أبو رزين وابن أبي عبلة فقد سرق بضم السين وكسر الراء وتشديدها
قوله تعالى فأسرها يوسف في نفسه في هاء الكناية ثلاثة أقوال
أحدها أنها ترجع إلى الكلمة التي ذكرت بعد هذا وهي قوله أنتم شر مكانا روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس
والثاني أنها ترجع إلى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق أخ له من قبل وهذا معنى قول أبي صالح عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى أسر جواب الكلمة فلم يجبهم عليها
والثالث أنها ترجع إلى الحجة المعنى فأسر الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ذكره ابن الأنباري
قوله تعالى أنتم شر مكانا فيه قولان
أحدهما شر صنيعا من يوسف لما قدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم قاله ابن عباس

والثاني شر منزلة عند الله ذكره الماوردي
قوله تعالى والله أعلم بما تصفون فيه قولان
أحدهما تقولون قاله مجاهد والثاني بما تكذبون قاله قتادة قال الزجاج المعنى والله أعلم أسرق أخ له أم لا وذكر بعض المفسرين أنه لما استخرج الصواع من رحل أخيه نقر الصواع ثم أدناه من أذنه فقال إن صواعي هذا يخبرني أنكم كنتم اثنى عشر رجلا وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه فقال بنيامين أيها الملك سل صواعك عن أخي أحي هو فنقره ثم قال

(٢٦٤/٤)

هو حي وسوف تراه فقال سل صواعك من جعله في رحلي فنقره وقال إن صواعي هذا غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رأيت مع من كنت فغضب روبيل وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فإذا مس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال والله أيها الملك لتتركنا أو لأصيحن صيحة لا يبقى بمصر امرأة حامل إلا ألقت ما في بطنها فقال يوسف لابنه قم إلى جنب روبيل فامسسه ففعل الغلام فذهب غضبه فقال روبيل ما هذا إن في هذا البلد من ذرية يعقوب قال يوسف ومن يعقوب فقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله فلما لم يجدوا إلى خلاص أخيهم سبيلا سألوه أن يأخذ منهم بديلا به فذلك قوله يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا أي في سنة وقيل في قدره فخذ أحدنا مكانه أي تستعبده بدلا عنه إنا نراك من المحسنين فيه قولان
أحدهما فيما مضى والثاني إن فعلت قال معاذ الله قد سبق تفسيره يوسف ٣٣ والمعنى أعوذ بالله أن نأخذ بريئا بسقيم فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين إرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين قوله تعالى فلما استيأسوا منه أي أيسوا

(٢٦٥/٤)

وفي هاء منه قولان
أحدهما أنها ترجع إلى يوسف فالمعنى يئسوا من يوسف أن يخلي سبيل أخيهم
والثاني إلى أخيهم فالمعنى يئسوا من أخيهم
قوله تعالى خلصوا نجيا أي اعتزلوا الناس ليس معهم غيرهم يتناجون ويتناظرون ويتشاورون يقال قوم

نجي والجمع أنجيه قال الشاعر ... إني إذا ما القوم كانوا أنجيه ... واضطربت أعناقهم كالأرشية ...
وإنما وحد نجيا لأنه يجري مجرى المصدر الذي يكون للاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد وقال
الزجاج انفردوا متناجين فيما يعملون في ذهابهم إلى أبيهم وليس معهم أخوهم
قوله تعالى قال كبيرهم فيه قولان
أحدهما أنه كبيرهم في العقل ثم فيه قولان أحدهما أنه يهوذا ولم يكن أكبرهم سنا وإنما كان أكبرهم
سنا روبيل قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الضحاك ومقاتل والثاني أنه شمعون قاله مجاهد
والثاني أنه كبيرهم في السن وهو روبيل قاله قتادة والسدي
قوله تعالى ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثق من الله في حفظ

أخيكم ورده إليه ومن قبل ما فرطتم في يوسف قال الفراء ما في موضع رفع كأنه قال ومن قبل هذا
تفريطكم في يوسف وإن شئت جعلتها نصبا المعنى ألم تعلموا هذا وتعلموا من قبل تفريطكم في يوسف
وإن شئت جعلت ما صلة كأنه قال ومن قبل فرطتم في يوسف قال الزجاج وهذا أجود الوجوه أن تكون
ما لغوا
قوله تعالى فلن أبرح الأرض أي لن أخرج من أرض مصر يقال برح الرجل براحا إذا تنحى عن موضعه
حتى يأذن لي قال ابن عباس حتى يبعث إلي أن آتيه أو يحكم الله لي فيه ثلاثة أقوال
أحدها أو يحكم الله لي فيرد أخي علي والثاني يحكم الله لي بالسيف فأحارب من حبس أخي والثالث
يقضي في أمري شيئا وهو خير الحاكمين أي أعدلهم وأفضلهم
قوله تعالى إن ابنك سرق وقرأ ابن عباس والضحاك وابن أبي سريج عن الكسائي سرق بضم السين
وتشديد الراء وكسرها
قوله تعالى وما شهدنا إلا بما علمنا فيه قولان
أحدهما وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمنا لأنا رأينا المسروق في رحله قاله أبو صالح عن ابن عباس
والثاني وما شهدنا عن يوسف بأن السارق يؤخذ بسرقته إلا بما علمنا من دينك قاله ابن زيد
وفي قوله وما كنا للغيب حافظين ثمانية أقوال
أحدها أن الغيب هو الليل والمعنى لم نعلم ما صنع بالليل قاله أبو صالح عن ابن عباس وهذا يدل على
أن التهمة وقعت به ليلا

والثاني ما كنا نعلم أن ابنك يسرق رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد وبه قال عكرمة وقتادة ومكحول قال ابن قتيبة فالمعنى لم نعلم الغيب حين أعطيناك الموثق لنأتينك به أنه يسرق فيؤخذ

والثالث لم نستطع أن نحفظه فلا يسرق رواه عبد الوهاب عن مجاهد

والرابع لم نعلم أنه سرق للملك شيئا ولذلك حكمنا باسترقاق السارق قاله ابن زيد

والخامس أن المعنى قد رأينا السرقة قد أخذت من رحله ولا علم لنا بالغيب فلعلهم سرقوه قاله ابن إسحاق

والسادس ما كنا لغيب ابنك حافظين إنما نقدر على حفظه في محضره فإذا غاب عنا خفيت عنا أموره

والسابع لو علمنا من الغيب أن هذه البلية تقع بابنك ما سافرنا به ذكرهما ابن الأنباري

والثامن لم نعلم أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ولو علمنا لم نذهب به قاله ابن كيسان وسئل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون

قوله تعالى واسأل القرية المعنى قولوا لأبيكم سل أهل القرية التي كنا فيها يعنون مصر والعير التي أقبلنا فيها أي وأهل العير وكان قد صحبهم قوم من الكنعانيين قال ابن الأنباري ويجوز أن يكون المعنى وسل القرية والعير فإنها تعقل عنك لأنك نبي والأنبياء قد تخاطبهم الأحجار والبهائم فعلى هذا تسلم الآية من إضمار

قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله أن ياتيني بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم

قوله تعالى قال بل سولت لكم أنفسكم في الكلام اختصار والمعنى فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ذلك فقال لهم هذا وقد شرحناه في اول السورة يوسف ١٨

واختلفوا لأي علة قال لهم هذا القول على ثلاثة أقوال

أحدها أنه ظن أن الذي تخلف منهم إنما تخلف حيلة ومكرا ليصدقهم قاله وهب بن منبه

والثاني أن المعنى سولت لكم أنفسكم أن خروجكم بأخيكم يجلب نفعا فجر ضررا قاله ابن الأنباري

والثالث سولت لكم أنه سرق وما سرق

قوله تعالى عسى اله أن يأتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين وأخاهما المقيم بمصر وقال مقاتل أقام بمصر يهوذا وشمعون فاراد بقوله أن يأتيني بهم يعني الأربعة

قوله تعالى إنه هو العليم أي بشدة حزني وقيل بمكانهم الحكيم فيما حكم علي وتولي عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم

قوله تعالى وتولى عنهم أي أعرض عن ولده أن يطيل معهم الخطب وانفرد بحزنه وهيج عليه ذكر يوسف وقال يا أسفى على يوسف قال ابن

عباس يا طول حزني على يوسف قال ابن قتيبة الأسف أشد الحسرة قال سعيد بن جبير لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة مالم يعط الأنبياء قبلهم إنا لله وإنا إليه راجعون البقرة ١٥٦ ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب إذ يقول يا أسفى على يوسف

فإن قيل هذا لفظ الشكوى فأين الصبر

فالجواب من وجهين

أحدهما أنه شكا إلى الله تعالى لا منه والثاني أنه أراد به الدعاء فالمعنى يارب ارحم أسفي على يوسف وذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين أنه قال نداء يعقوب الأسف في اللفظ من المجاز الذي يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه يا إلهي ارحم أسفي أو أنت راء أسفي وهذا أسفي فنادى الأسف في اللفظ والمنادى في المعنى سواه كما قال يا حسرتنا والمعنى يا هؤلاء تنبهوا على حسرتنا قال والحزن ونفور النفس من المكروه والبلاء لا عيب فيه ولا مأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم ولم يشك إلا إلى ربه فلما كان قوله يا أسفي شكوى إلى ربه كان غير ملوم وقد روي عن الحسن أن أخاه مات فجزع الحسن جزعا شديدا فعوتب في ذلك فقال ما وجدت الله عاب على يعقوب الحزن حيث قال يا أسفي على يوسف

قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن أي انقلبت إلى حال البياض وهل ذهب بصره أم لا فيه قولان

أحدهما أنه ذهب بصره قاله مجاهد

والثاني ضعف بصره لبياض تغشاه من كثرة البكاء ذكره الماوردي وقال مقاتل لم يبصر بعينيه ست سنين

قال ابن عباس وقوله من الحزن أي من البكاء يريد أن عينيه ابيضتا لكثرة بكائه فلما كان الحزن سببا للبكاء سمي البكاء حزنا وقال ثابت البناني دخل جبريل على يوسف فقال أيها الملك الكريم على ربه هل لك علم بيعقوب قال نعم قال ما فعل قال ابيضت عيناه قال ما بلغ حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فهل له على ذلك من أجر قال أجر مائة شهيد وقال الحسن البصري ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة وما جفت عينه وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره

قوله تعالى فهو كظيم الكظيم بمعنى الكاظم وهو الممسك على حزنه فلا يظهره قاله ابن قتيبة وقد شرحنا هذا عند قوله والكاظمين الغيظ آل عمران ١٣٤ قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تايئسوا من روح الله إنه لا يايئس من روح الله إلا القوم الكافرون

قوله تعالى قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف قال ابن الأنباري معناه والله وجواب هذا القسم لا المضمرة التي تأويلها تالله لا تفتأ فلما كان موضعها معلوما خفف الكلام بسقوطها من ظاهره كما تقول العرب والله أقصدك أبدا يعنون لا أقصدك قال امرؤ القيس

(٢٧١/٤)

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي ...

يريد لا أبرح وقالت الخنساء ... فأقسمت آسى على هالك ... أو اسأل نائحة مالها ...

أرادت لا آسى وقال الآخر ... لم يشعر النعش ما عليه من ال ... عرف ولا الحاملون ما حملوا ...

... تالله أنسى مصيبتي أبدا ... ما أسمعتني حنينها الإبل ...

وقرأ أبو عمران وابن محيصن وأبو حيوة قالوا بالله بالباء وكذلك كل قسم في القرآن وأما قوله تفتأ فقال المفسرون وأهل اللغة معنى تفتأ تزال فمعنى الكلام لا تزال تذكر يوسف وأنشد أبو عبيدة ... فما فتئت خيل تثوب وتدعي ... ويلحق منها لا حق وتقطع ...

وأنشد ابن القاسم ... فما فتئت منا رعال كأنها ... رعال القطا حتى احتوين بني صخر ...

قوله تعالى حتى تكون حرضا فيه أربعة أقوال

أحدها أنه الدنف قاله أبو صالح عن ابن عباس قال ابن قتيبة يقال

(٢٧٢/٤)

أحرضه الحزن أي أدنفه قال أبو عبيدة الحرض الذي قد أذابه الحزن أو الحب وهي في موضع محرض وأنشد ... إني امرؤ لج بي حب فأحرضني ... حتى بليت وحتى شفني السقم أي أذابني وقال الزجاج الحرض الفاسد في جسمه والمعنى حتى تكون مدنفا مريضا

والثاني أنه الذاهب العقل قاله الضحاك عن ابن عباس وقال ابن إسحق الفاسد العقل قال الزجاج وقد يكون الحرض الفاسد في أخلاقه

والثالث أنه الفاسد في جسمه وعقله يقال رجل حارض وحرض فحارض يثني ويجمع ويؤنث وحرض لا

يجمع ولا يثنى لأنه مصدر قاله الفراء
والرابع أنه الهرم قاله الحسن وقتادة وابن زيد
قوله تعالى أو تكون من الهالكين يعنون الموتى
فإن قيل كيف حلفوا على شيء يجوز أن يتغير
فالجواب أن في الكلام إضمارا تقديره إن هذا في تقديرنا وظننا
قوله تعالى إنما أشكو بثي قال ابن قتيبة البث أشد الحزن سمي بذلك لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه
قوله تعالى إلى الله المعنى إني لا أشكو إليكم وذلك لما عنفوه بما تقدم ذكره وروى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث أنس بن

(٢٧٣/٤)

مالك عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال كان ليعقوب أخ مؤاخ فقال له ذات يوم يا يعقوب مالذي أذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرئك السلام ويقول لك أما تستحي أن تشكو إلى غيري فقال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فقال جبريل الله أعلم بما تشكو ثم قال يعقوب أي رب أما ترحم الشيخ الكبير أذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحاني أشمه شمة قبل الموت ثم اصنع بي يا رب ما شئت فأتاه جبريل فقال يا يعقوب إن الله يقرأ عليك السلام ويقول أبشر فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاما للمساكين فإن أحب عبادي إلي المساكين وتدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع إخوة يوسف بيوسف ما صنعوا لأنكم ذبحتم شاة فأتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر مناديا فنادى ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغد مع يعقوب وإذا كان صائما أمر مناديا فنادى من كان صائما فليفطر مع يعقوب وقال وهب بن منبه أوحى الله تعالى إلى يعقوب أتدري لم عاقبتك وجبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا

(٢٧٤/٤)

قال لأنك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقرة بين يديها وهي تخور فلم يرحمها

فإن قيل كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكا

فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة

أحدها أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى وهو الأظهر

والثاني لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله شدة فاقتهم

والثالث أنه أحب بعد خروجه من السجن أن يدرج نفسه إلى كمال السرور والصحيح أن ذلك كان عن أمر الله تعالى ليرفع درجة يعقوب بالصبر على البلاء وكان يوسف يلاقي من الحزن لأجل حزن أبيه عظيما ولا يقدر على دفع سببه

قوله تعالى وأعلم من الله مالا تعلمون فيه أربعة أقوال

أحدها أعلم أن رؤيا يوسف صادقة وأنا سنسجد له رواه العوفي عن ابن عباس

والثاني أعلم من سلامة يوسف مالا تعلمون قال ابن السائب وذلك أن ملك الموت أتاه فقال له يعقوب هل قبضت روح ابني يوسف قال لا

والثالث أعلم من رحمة الله وقدرته مالا تعلمون قاله عطاء

والرابع أنه لما أخبره بنوه بسيرة العزيز طمع أن يكون هو يوسف قاله السدي قال ولذلك قال لهم اذهبوا فتحسسوا وقال وهب بن منبه لما قال له ملك الموت ما قبضت روح يوسف تباشر عند ذلك ثم أصبح فقال لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه قال أبو عبيدة تحسسوا أي تخبروا والتمسوا في المظان

(٤/٢٧٥)

فإن قيل كيف قال من يوسف والغالب أن يقال تحسست عن كذا فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري

أحدهما أن المعنى عن يوسف ولكن نابت عنها من كما تقول العرب حدثني فلان من فلان يعنون عنه

والثاني أن من أوثرت للتبعيض والمعنى تحسسوا خبرا من أخبار يوسف

قوله تعالى ولا تيأسوا من روح الله فيه ثلاثة أقوال

أحدها من رحمة الله قاله ابن عباس والضحاك والثاني من فرج الله قاله ابن زيد والثالث من توسعة الله حكاه ابن القاسم قال الأصمعي الروح الاستراحة من غم القلب وقال أهل المعاني لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون لأن المؤمن يرجوا الله في الشدائد فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعةمزجة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله

لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وائتوني بأهلكم أجمعين

(٤/٢٧٦)

قوله تعالى فلما دخلوا عليه في الكلام محذوف تقديره فخرجوا إلى مصر فدخلوا على يوسف ف قالوا يا أيها العزيز وكانوا يسمون ملكهم بذلك مسنا وأهلنا الضر يعنون الفقر والحاجة وجئنا ببضاعة مزجاه أحدها أنها كانت دراهم رواه العوفي عن ابن عباس والثاني أنها كانت متاعا رثا كالحبل والغرارة رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس والثالث كانت أقطا قاله الحسن والرابع كانت نعالا وأدما رواه جويبر عن الضحاك والخامس كانت سويق المقل روي عن الضحاك أيضا والسادس حبة الخضراء وصنوبر قاله أبو صالح والسابع كانت صوفا وشيئا من سمن قاله عبد الله بن الحارث

وفي المزجاة خمسة أقوال

أحدها أنها القليلة روى العوفي عن ابن عباس قال دراهم غير طائلة وبه قال مجاهد وابن إسحاق وابن قتيبة قال الزجاج تأويله في اللغة أن التزجية الشيء الذي يدافع به يقال فلان يزجي العيش أي يدفع بالقليل ويكتفي به فالمعنى جئنا ببضاعة إنما ندافع بها ونتقوت وليست مما يتسع به قال الشاعر

(٤/٢٧٧)

الواهب المائة الهجان وعبدها ... عوذا تزجي خلفها أطفالها ...

أي تدفع أطفالها

والثاني أنها الرديئة رواه الضحاك عن ابن عباس قال أبو عبيدة إنما قيل للرديئة مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها قال وهي من الإزجاء والإزجاء عند العرب السوق والدفع وأنشد ...

ليبك على ملحان ضيف مدفع ... وأرملة تزجي من الليل أرملا ... أي تسوقه

والثالث الكاسدة رواه الضحاك أيضا عن ابن عباس

والرابع الرثة وهي المتاع الخلق رواه ابن أبي مليكة عن ابن عباس

والخامس الناقصة رواه أبو حصين عن عكرمة

قوله تعالى فأوف لنا الكيل أي أتمه لنا ولا تنقصه لرداءة بضاعتنا

قوله تعالى وتصدق علينا فيه ثلاثة أقوال

أحدها تصدق علينا بما بين سعر الجياد والرديئة قاله سعيد بن جبير والسدي قال ابن الأنباري كان

الذي سألوه من المسامحة يشبه التصدق وليس به
والثاني برد أخينا قال ابن جريج قال وذلك أنهم كانوا أنبياء والصدقة لا تحل للأنبياء

(٢٧٨/٤)

والثالث وتصدق علينا بالزيادة على حقنا قاله ابن عيينة وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحل للأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه و سلم حكاه أبو سليمان الدمشقي وأبو الحسن الماوردي وابو يعلى بن الفراء
قوله تعالى إن الله يجزي المتصدقين أي بالثواب قال الضحاك لم يقولوا إن الله يجزيك إن تصدقت علينا لأنهم لم يعلموا أنه مؤمن
قوله تعالى هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه في سبب قوله لهم هذا ثلاثة اقوال
أحدها أنه أخرج إليهم نسخة الكتاب الذي كتبوه على أنفسهم ببيعه من مالك بن ذعر وفي آخر الكتاب وكتب يهوذا فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا هذا كتاب كتبناه على أنفسنا عند بيع عبد كان لنا فقال يوسف عند ذلك إنكم تستحقون العقوبة وأمر بهم ليقتلوا فقالوا إن كنت فاعلا فاذهب بأمتعتنا إلى يعقوب ثم أقبل يهوذا على بعض إخوته وقال قد كان ابونا متصل الحزن لفقد واحد من ولده فكيف به إذا أخبر بهلكنا أجمعين فرق يوسف عند ذلك وكشف لهم أمره وقال لهم هذا القول رواه أبو صالح عن ابن عباس
الثاني أنهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر أدركته الرحمة فقال لهم هذا قاله ابن إسحاق
والثالث أن يعقوب كتب إليه كتابا إن رددت ولدي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فبكى وقال لهم هذا
وفي هل قولان
أحدهما أنها استفهام لتعظيم القصة لا يراد به نفس الاستفهام قال ابن

(٢٧٩/٤)

الأنباري والمعنى ما أعظم ما ارتكبتم وما أسمج ما آثرتم من قطيعة الرحم وتضييع الحق وهذا مثل قول العربي أتدري من عصيت هل تعرف من عاديت لا يرد بذلك الاستفهام ولكن يريد تفظيع الأمر قال الشاعر ... أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي ...
لم يرد الاستفهام إنما أراد أن هذا غير مرجو عندهم قال ويجوز أن يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه وهذه الآية تصديق قوله لتنبئنهم بأمرهم

والثاني أن هل بمعنى قد ذكره بعض أهل التفسير
فإن قيل فالذي فعلوا بيوسف معلوم فما الذي فعلوا بأخيه وما سعوا في حبسه ولا أرادوه
فالجواب من وجوه أحدها أنهم فرقوا بينه وبين يوسف فنغصوا عيشه بذلك والثاني أنهم آذوه بعد فقد يوسف والثالث أنهم سبوه لما قذف بسرقة الصاع
وفي قوله إذ أنتم جاهلون أربعة أقوال
أحدها إذ أنتم صبيان قاله ابن عباس والثاني مذنبون قاله مقاتل والثالث جاهلون بعقوق الأب وقطع الرحم وموافقة الهوى والرابع جاهلون بما يؤول إليه أمر يوسف ذكرهما ابن الأنباري
قوله تعالى أئنك لأنت يوسف قرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن محيصن إنك على الخبر وقرأه آخرون بهمزتين محققتين وأدخل بعضهم بينهما ألفا

واختلف المفسرون هل عرفوه أم شبهوه على قولين
أحدهما أنهم شبهوه بيوسف قاله ابن عباس في رواية
والثاني أنهم عرفوه قاله ابن إسحاق وفي سبب معرفتهم له ثلاثة أقوال
أحدها أنه تبسم فشبهوا ثناياه بثنايا يوسف قاله الضحاك عن ابن عباس
والثاني أنه كانت له علامة كالشامة في قرنه وكان ليعقوب مثلها ولإسحاق مثلها ولسارة مثلها فلما وضع التاج عن رأسه عرفوه رواه عطاء عن ابن عباس
والثالث أنه كشف الحجاب فعرفوه قاله ابن إسحاق
قوله تعالى قال أنا يوسف قال ابن الأنباري إنما أظهر الاسم ولم يقل أنا هو تعظيما لما وقع به من ظلم إخوته فكأنه قال أنا المظلوم المستحل منه المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني ولهذا قال وهذا أخي وهم يعرفونه وإنما قصد وهذا المظلوم كظلمي
قوله تعالى قد من الله علينا فيه ثلاثة أقوال
أحدها بخير الدنيا والآخرة والثاني بالجمع بعد الفرقة والثالث بالسلامة ثم بالكرامة
قوله تعالى إنه من يتق ويصبر قرأ ابن كثير في رواية قنبل من يتقي ويصبر بياء في الوصل والوقف وقرأ الباقون بغير ياء الحالين
وفي معنى الكلام أربعة أقوال
أحدها من يتق الزنى ويصبر على البلاء والثاني من يتق الزنى ويصبر

على العزبة والثالث من يتق الله ويصبر على المصائب رويت هذه الأقوال عن ابن عباس والرابع يتق معصية الله ويصبر على السجن قاله مجاهد

قوله تعالى فإن الله لا يضيع أجر المحسنين أي أجر من كان هذا حاله

قوله تعالى لقد آثرك الله علينا أي اختارك وفضلك

وبماذا عنوا أنه فضله فيه أربعة أقوال

أحدها بالملك قاله الضحاك عن ابن عباس والثاني بالصبر قاله أبو صالح عن ابن عباس والثالث بالحلم والصفح عنا ذكره أبو سليمان الدمشقي والرابع بالعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه

قوله تعالى وإن كنا لخاطئين قال ابن عباس لمذنبين آثمين في أمرك قال ابن الأنباري ولهذا اختير خاطئين على مخطئين وإن كان أخطأ على ألسن الناس أكثر من خطئ يخطأ لأن معنى خطئ يخطأ فهو خاطئ آثم ومعنى أخطأ يخطئ فهو مخطئ ترك الصواب ولم يأثم قال الشاعر ... عبادك يخطأون وأنت رب ... بكفيك المنايا والحتوم ...

أراد يأثمون قال ويجوز أن يكون آثر خاطئين على مخطئين لموافقة رؤوس الآيات لأن خاطئين أشبه بما قبلها

وذكر الفراء في معنى إن قولين

أحدهما وقد كنا خاطئين والثاني وما كنا إلا خاطئين

قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم قال أبو صالح عن ابن عباس لا أعيركم بعد اليوم بهذا أبدا قال ابن الأنباري إنما أشار إلى ذلك اليوم لأنه أول أوقات العفو وسبيل العافي في مثله أن لا يراجع عقوبة وقال ثعلب قد ثرب

فلان على فلان إذا عدد عليه ذنوبه وقال ابن قتيبة لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم وأصل التثريب الإفساد يقال ثرب علينا إذا أفسد وفي الحديث إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب أي لا يعيرها بالزنى قال ابن عباس جعلهم في حل وسأل الله المغفرة لهم وقال السدي لما عرفهم نفسه سألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وهذا القميص كان في قصبة من فضة معلقا في عنق يوسف لما ألقي في الجب وكان من الجنة وقد سبق ذكره يوسف ١٨٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨

قوله تعالى يأت بصيرا قال أبو عبيدة يعود مبصرا

فإن قيل من أين قطع على الغيب

فالجواب أن ذلك كان بالوحي إليه قاله مجاهد

قوله تعالى وائتوني بأهلكم أجمعين قال الكلبي كان أهله نحوا من سبعين إنسانا ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون

قوله تعالى ولما فصلت العير أي خرجت من مصر متوجهة إلى كنعان وكان الذي حمل القميص يهوذا قال السدي قال يهوذا ليوسف أنا الذي حملت القميص إلى يعقوب بدم كذب فأحزنته وأنا الآن أحمل قميصك لأسرة فحمله قال ابن عباس فخرج حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها

(٢٨٣/٤)

قوله تعالى قال لهم أبوهم يعني يعقوب لمن حضره من أهله وقرابته وولد ولده إني لأجد ريح يوسف ومعنى أجد أشم قال الشاعر ... وليس صرير النعش ما تسمعونه ... ولكنها أصلاب قوم تقصف ... ... وليس فتيق المسك ما تجدونه ... ولكنه ذاك الثناء المخلف ...

فإن قيل كيف وجد يعقوب ريحه وهو بمصر ولم يجد ريحه من الجب وبعد خروجه منه والمسافة هناك أقرب

فعنه جوابان أحدهما أن الله تعالى أخفى أمر يوسف على يعقوب في بداية الأمر لتقع البلية التي يتكامل بها الأجر وأوجده ريحه من المكان النازح عند تقضي البلاء ومجيء الفرج

والثاني أن هذا القميص كان في قصبة من فضة معلقا في عنق يوسف على ما سبق بيانه فلما نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتصلت بيعقوب فعلم أن الرائحة من جهة ذلك القميص قال مجاهد هبت ريح فضربت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال إني لأجد ريح يوسف وقيل إن ريح الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل البشير فأذن لها فلذلك يستروح كل محزون إلى ريح الصبا ويجد المكروبون لها روحا وهي ريح لينة تأتي من ناحية المشرق قال أبو صخر الهذلي ... إذا قلت هذا حين اسلو يهيجني ... نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر ...

قال ابن عباس وجد ريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال ثمانين فرسخا

(٢٨٤/٤)

قوله تعالى لولا أن تفندون فيه خمسة أقوال
أحدها تجهلون رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال مقاتل
والثاني تسفهون رواه عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس وبه قال عطاء وقتادة ومجاهد في رواية وقال في رواية أخرى لولا أن تقولوا ذهب عقلك
والثالث تكذبون رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير والضحاك
والرابع تهرمون قاله الحسن ومجاهد في رواية قال ابن فارس الفند إنكار العقل من هرم
والخامس تعجزون قاله ابن قتيبة وقال أبو عبيدة تسفهون وتعجزون وتلومون وأنشد ... يا صاحبي دعا لومي وتفنيدي ... فليس ما فات من أمر بمردود ...
قال ابن جرير وأصل التفنيد الإفساد وأقوال المفسرين تتقارب معانيها وسمعت الشيخ أبا محمد إبن الخشاب يقول قوله لولا أن تفندون فيه إضمار تقديره لأخبرتكم أنه حي قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم
قوله تعالى قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم قال ابن عباس بنو بنيه خاطبوه بهذا وكذلك قال السدي هذا قول بني بنيه لأن بنيه كانوا بمصر
وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال

أحدها أنه بمعنى الخطأ قاله ابن عباس وابن زيد والثاني أنه الجنون قاله سعيد بن جبير والثالث الشقاء والعناء قاله مقاتل يريد بذلك شقاء الدنيا فلما أن جاء البشير ألقه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم
قوله تعالى فلما أن جاء البشير فيه قولان
أحدهما أنه يهوذا قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال وهب بن منبه والسدي والجمهور والثاني أنه سمعون قاله الضحاك
فإن قيل ما الفرق بين قوله هاهنا فلما أن جاء وقال في موضع فلما جاءهم البقرة ٨٩
فالجواب أنهما لغتان لقريش خاطبهم الله بهما جميعا فدخول أن لتوكيد مضي الفعل وسقوطها للاعتماد على إيضاح الماضي بنفسه ذكره ابن الأنباري
قوله تعالى ألقاه يعني القميص على وجهه يعني يعقوب فارتد بصيرا الارتداد رجوع الشيء إلى حال قد كان عليها قال ابن الأنباري إنما قال ارتد ولم يقل رد لأن هذا من الأفعال المنسوبة إلى المفعولين

كقولهم طالت النخلة والله أطالها وتحركت الشجرة والله حركها قال الضحاك رجع إليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن

وروى يحيى بن يمان عن سفيان قال لما جاء البشير يعقوب قال على أي دين تركت يوسف قال على الإسلام قال الآن تمت النعمة

(٤/٢٨٦)

قوله تعالى ألم أقل لكم إني أعلم من الله مالا تعلمون فيه أقوال قد سبق ذكرها قبل هذا بقليل

قوله تعالى يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا سألوه يستغفر لهم ما أتوا لأنه نبي مجاب الدعوة قال سوف أستغفر لكم ربي في سبب تأخيره لذلك ثلاثة أقوال

أحدهما أنه أخرهم لانتظار الوقت الذي هو مظنة الإجابة ثم فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه أخرهم إلى ليلة الجمعة رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة والثاني إلى وقت السحر من ليلة الجمعة رواه أبو صالح عن ابن عباس قال طاووس فوافق ذلك ليلة عاشوراء والثالث إلى وقت السحر رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال ابن مسعود وابن عمر وقتادة والسدي ومقاتل قال الزجاج إنماأراد الوقت الذي هو أخلق لإجابة الدعاء لا أنه ضن عليهم بالاستغفار وهذا أشبه بأخلاق الأنبياء عليهم السلام

والقول الثاني أنه دفعهم عن التعجيل بالوعد قال عطاء الخراساني طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منها عند الشيوخ ألا ترى إلى قول يوسف لا تثريب عليكم اليوم وإلى قول يعقوب سوف أستغفر لكم ربي

والثالث أنه أخرهم ليسأل يوسف فإن عفا عنهم استغفر لهم قاله الشعبي وروي عن أنس بن مالك أنهم قالوا يا أبانا إن عفا الله عنا وإلا فلا

(٤/٢٨٧)

قرة عين لنا في الدنيا فدعا يعقوب وأمن يوسف فلم يجب فيهم عشرين سنة ثم جاء جبريل فقال إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعفا عما صنعوا به واعتقد مواثيقهم من بعد على النبوة قال المفسرون وكان يوسف قد بعث مع البشير إلى يعقوب جهازا ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده فلما ارتحل يعقوب ودنا من مصر استأذن يوسف الملك الذي فوقه في تلقي يعقوب فأذن له وأمر الملأ من أصحابه بالركوب معه فخرج في أربعة آلاف من الجند وخرج معهم أهل مصر

وقيل إن الملك خرج معهم أيضا فلما التقى يعقوب ويوسف بكيا جميعا فقال يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك أما علمت أن القيامة تجمعني وإياك قال أي بني خشيت أن تسلب دينك فلا نجتمع

وقيل إن يعقوب ابتدأه بالسلام فقال السلام عليكم يا مذهب الأحزان فلما دخلوا على يوسف آوى إليه ابويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين

قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف يعني يعقوب وولده

وفي هذا الدخول قولان

أحدهما أنه دخول أرض مصر ثم قال لهم ادخلوا مصر يعني البلد

والثاني أنه دخول مصر ثم قال لهم ادخلوا مصر أي استوطنوها

وفي قوله آوى إليه أبويه قولان

أحدهما أبوه وخالته لأن أمه كانت قد ماتت قاله ابن عباس والجمهور

والثاني أبوه وأمه قاله الحسن وابن إسحاق

(٢٨٨/٤)

وفي قوله إن شاء الله آمنين أربعة أقوال

أحدها أن في الكلام تقديما وتأخيرا فالمعنى سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله إنه هو الغفور الرحيم هذا قول ابن جريج

والثاني أن الاستثناء يعود إلى الأمن ثم فيه قولان أحدهما أنه لم يثق بانصراف الحوادث عنهم والثاني أن الناس كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر فلا يدخلون إلا بجوارهم

والثالث أنه يعود إلى دخول مصر لأنه قال لهم هذا حين تلقاهم قبل دخولهم على ما سبق بيانه

والرابع أن إن بمعنى إذ كقوله إن أردن تحصنا النور ٣٣ قال ابن عباس دخلوا مصر يومئذ وهم نيف وسبعون من ذكر وأنثى وقال ابن مسعود دخلوا وهم ثلاثة وتسعون وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رءياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين

قوله تعالى ورفع أبويه على العرش في أبويه قولان قد تقدما في

(٢٨٩/٤)

الآية التي قبلها والعرش هاهنا سرير المملكة أجلس أبويه عليه وخروا له يعني أبويه وإخوته
وفي هاء له قولان
أحدهما أنها ترجع إلى يوسف قاله الجمهور قال أبو صالح عن ابن عباس كان سجودهم كهيأة الركوع كما يفعل الأعاجم وقال الحسن أمرهم الله بالسجود لتأويل الرؤيا قال ابن الأنباري سجدوا له على جهة التحية لا على معنى العبادة وكان أهل ذلك الدهر يحيى بعضهم بعضا بالسجود والانحناء فحظره رسول الله صلى الله عليه و سلم فروى أنس بن مالك قال قال رجل يا رسول الله أحدنا يلقى صديقه اينحني له قال لا
والثاني أنها ترجع إلى الله فالمعنى وخروا لله سجدا رواه عطاء والضحاك عن ابن عباس فيكون المعنى أنهم سجدوا شكرا لله إذ جمع بينهم وبين يوسف
قوله تعالى هذا تأويل رؤياي اي تصديق ما رأيت وكان قد رآهم في المنام يسجدون له فأراه الله ذلك في اليقظة
واختلفوا فيما بين رؤياه وتأويلها على سبعة أقوال
أحدها أربعون سنة قاله سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد بن الهاد ومقاتل والثاني اثنتان وعشرون سنة قاله أبو صالح عن ابن عباس والثالث ثمانون سنة قاله الحسن والفضيل بن عياض والرابع ست وثلاثون سنة

قاله سعيد بن جبير وعكرمة والسدي والخامس خمس وثلاثون سنة قاله قتادة والسادس سبعون سنة قاله عبد الله بن شوذب السابع ثماني عشرة سنة قاله ابن إسحاق
قوله تعالى وقد أحسن بي أي إلي والبدو البسط من الأرض وقال ابن عباس البدو البادية وكانوا أهل عمود وماشية
قوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد بيننا قال أبو عبيدة يقال نزغ بينهم ينزغ أي أفسد وهيج وبعضهم يكسر زاي ينزغ إن ربي لطيف لما يشاء أي عالم بدقائق الأمور وقد شرحنا معنى اللطيف في الأنعام ١٠٢
فإن قيل قد توالت على يوسف نعم خمسة فما اقتصاره على ذكر السجن وهلا ذكرالجب وهو أصعب فالجواب من وجوه
أحدها أنه ترك ذكر الجب تكرما لئلا يذكر إخوته صنيعهم وقد قال لا تثريب عليكم اليوم

والثاني أنه خرج من الجب إلى الرق ومن السجن إلى الملك فكانت هذه النعمة أوفى
والثالث أن طول لبثه في السجن كان عقوبة له بخلاف الجب فشكر الله على عفوه
قال العلماء بالسير أقام يعقوب بعد قدومه مصر أربعا وعشرين سنة وقال بعضهم سبع عشرة سنة في أهنأ عيش فلما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف

(٤/٢٩١)

أن يحمل إلى الشام حتى يدفنه عند أبيه إسحاق ففعل به ذلك وكان عمره مائة وسبعا وأربعين سنة ثم إن يوسف تاق إلى الجنة وعلم أن الدنيا لا تدوم فتمنى الموت قال ابن عباس وقتادة ولم يتمن الموت نبي قبله فقال رب قد آتيتني من الملك يعني ملك مصر وعلمتني من تأويل الأحاديث وقد سبق تفسيرها يوسف ٦
وفي من قولان
أحدهما أنها صلة قاله مقاتل والثاني أنها للتبعيض لأنه لم يؤت كل الملك ولا كل تأويل الأحاديث قوله تعالى فاطر السموات والأرض قد شرحناه في الأنعام ٦
أنت وليي أي الذي تلي أمري توفني مسلما قال ابن عباس يريد لا تسلبني الإسلام حتى تتوفاني عليه وكان ابن عقيل يقول لم يتمن يوسف الموت وإنما سأل أن يموت على صفة والمعنى توفني إذا توفيتني مسلما قال الشيخ وهذا الصحيح
قوله تعالى وألحقني بالصالحين والمعنى ألحقني بدرجاتهم وفيهم قولان
أحدهما أنهم أهل الجنة قاله عكرمة
والثاني آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب قاله الضحاك قالوا فلما احتضر يوسف أوصى إلى يهوذا ومات فتشاح الناس في دفنه كل يحب أن يعرفن في محلته رجاء البركة فاجتمعوا على دفنه في النيل ليمر الماء عليه ويصل إلى الجميع فدفنوه في صندوق من رخام فكان هنالك إلى أن حمله موسى حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان قال الحسن مات يوسف وهو ابن مائة وعشرين سنة وذكر مقاتل أنه مات بعد يعقوب بسنتين

(٤/٢٩٢)

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون
قوله تعالى ذلك من أنباء الغيب أي ذلك الذي قصصنا عليك من أمر يوسف وإخوته من الأخبار التي

كانت غائبة عنك فأنزله الله عليك دليلا على نبوتك وما كنت لديهم أي عند إخوة يوسف إذ أجمعوا أمرهم أي عزموا على إلقائه في الجب وهم يمكرون بيوسف وفي هذا احتجاج على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه و سلم لأنه لم يشاهد تلك القصة ولا كان يقرأ الكتاب وقد أخبر عنها بهذا الكلام المعجز فدل على أنه أخبر بوحي ووما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين

قوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين قال ابن الأنباري إن قريشا واليهود سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قصة يوسف وإخوته فشرحها شرحا شافيا وهو يؤمل ان يكون ذلك سبا لإسلامهم فخالفوا ظنه فحزن رسول الله صلى الله عليه و سلم فعزاه الله تعالى بهذه الآية قال الزجاج ومعناها وما أكثر الناس بمؤمنين ولو حرصت على أن تهديهم وما تسألهم عليه أي على القرآن وتلاوته وهدايتك إياهم من أجر إن هو أي ما هو إلا تذكرة لهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون

قوله تعالى وكأين أي وكم من آية أي علامة ودلالة تدلهم

على توحيد الله من أمر السموات والأرض يمرون عليها أي يتجاوزونها غير متفكرين ولا معتبرين وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون

قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون فيهم ثلاثة أقوال

أحدها أنهم المشركون ثم في معناها المتعلق بهم قولان أحدهما أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به رواه أبوصالح عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة والثاني أنها نزلت في تلبية مشركي العرب كانوا يقولون لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك رواه الضحاك عن ابن عباس

والثاني انهم النصارى يؤمنون بأنه خالقهم ورازقهم ومع ذلك يشركون به رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث أنهم المنافقون يومنون في الظاهر رئاء الناس وهم في الباطن كافرون قاله الحسن

فإن قيل كيف وصف المشرك بالإيمان

فالجواب أنه ليس المراد به حقيقة الإيمان وإنما المعنى أن أكثرهم مع إظهارهم الإيمان بألسنتهم مشركون أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون

قوله تعالى أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله قال ابن قتيبة الغاشية المجللة تغشاهم وقال الزجاج المعنى يأتيهم ما يغمرهم من العذاب والبغتة الفجأة من حيث لم تتوقع

قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين
قوله تعالى قل هذه سبيلي المعنى قل يا محمد للمشركين هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي أي سنتي ومنهاجي والسبيل تذكر وتؤنث وقد ذكرنا ذلك في آل عمران ١٩٥ أدعوا إلى الله على بصيرة أي على يقين قال ابن الأنباري وكل مسلم لا يخلو من الدعاء إلى الله عز و جل لأنه إذا تلا القرآن فقد دعا إلى الله بما فيه ويجوز أن يتم الكلام عند قوله إلى الله ثم ابتدأ فقال على بصيرة أنا ومن اتبعني
قوله تعالى وسبحان الله المعنى وقل سبحان الله تنزيها له عما أشركوا وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون
قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا هذا نزل من أجل قولهم هلا بعث الله ملكا فالمعنى كيف تعجبوا من إرسالنا إياك وسائر الرسل كانوا على مثل حالك يوحى إليهم وقرأ حفص عن عاصم نوحي بالنون والمراد بالقرى المدائن وقال الحسن لم يبعث الله نبيا من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء قال قتادة لأن أهل القرى أعلم وأحلم من اهل العمود
قوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض يعني المشركين المنكرين نبوتك فينظروا إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بذلك ولدار الآخرة يعني الجنة خير من الدنيا للذين اتقوا الشرك قال الفراء أضيفت الدار إلى الآخرة وهي الآخرة لأن العرب قد تضيف الشيء إلى نفسه إذا

اختلف لفظه كقوله لهو حق اليقين الواقعة ٩٦ والحق هو اليقين وقولهم أتيتك عام الأول ويوم الخميس
قوله تعالى أفلا يعقلون قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص والمفضل ويعقوب تعقلون بالتاء وقرأ الآخرون بالياء والمعنى أفلا يعقلون هذا فيؤمنوا حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
قوله تعالى حتى إذا استيأس الرسل المعنى متعلق بالآية الأولى فتقديره وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فدعوا قومهم فكذبوهم وصبروا وطال دعاؤهم وتكذيب قومهم حتى إذا استيأس الرسل وفيه قولان
أحدهما استيأسوا من تصديق قومهم قاله ابن عباس
والثاني من أن نعذب قومهم قاله مجاهد وظنوا أنهم قد كذبوا قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر

كذبوا مشددة الذال مضمومة الكاف والمعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيكون الظن هاهنا بمعنى اليقين هذا قول الحسن وعطاء وقتادة وقرأ عاصم وحمزة والكسائي كذبوا خفيفة والمعنى ظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من النصر لأن الرسل لا يظنون ذلك وقرأ أبو رزين ومجاهد والضحاك كذبوا بفتح الكاف والذال خفيفة والمعنى ظن قومهم أيضا أنهم قد كذبوا قاله الزجاج

قوله تعالى جاءهم نصرنا يعني الرسل فننجي من نشاء قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي فننجي بنونين الأولى

(٢٩٦/٤)

مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحفص جميعا عن عاصم ويعقوب فنجي مشدده الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة يعني المؤمنين نجوا عند نزول العذاب لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

قوله تعالى لقد كان في قصصهم اي في خبر يوسف وإخوته وروى عبد الوارث كسر القاف وهي قراءة قتادة وأبي الجوزاء عبرة أي عظة لأولي الألباب أي لذوي العقول السليمة وذلك من وجهين

أحدهما ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكه بعد استعباده فإن من فعل ذلك به قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه و سلم وتعلية كلمته

والثاني أن من تفكر علم أن محمدا صلى الله عليه و سلم مع كونه أميا لم يأت بهذه القصة على موافقة ما في التوراة من قبل نفسه فاستدل بذلك على صحة نبوته

قوله تعالى ما كان حديثا يفترى في المشار إليه قولان

أحدهما أنه القرآن قاله قتادة

والثاني ما تقدم من القصص قاله ابن إسحاق فعلى القول الأول يكون معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه ولكن كان تصديقا لما بين يديه من الكتب وتفصيل كل شيء يحتاج إليه من أمور الدين وهدى بيانا

(٢٩٧/٤)

ورحمة لقوم يؤمنون أي يصدقون بما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم وعلى القول الثاني وتفصيل كل شيء من نبأ يوسف وإخوته

سورة الرعد

فصل في نزولها

اختلفوا في نزولها على قولين

أحدهما أنها مكية رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية إلا آيتين منها قوله ولا يزال الذين كفروا تعيبهم بما صنعوا قارعة إلى آخر الآية الرعد ٣١ وقوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا الرعد ٤٣

والثاني أنها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر ابن زيد وروي عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال إلى آخرها الرعد ٣١ وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق إلى قوله له دعوة الحق الرعد ١٤

بسم الله الرحمن الرحيم آلمر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك

الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون

قوله تعالى آلمر قد ذكرنا في سورة البقرة جملة من الكلام في معاني هذه الحروف وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الكلمة ثلاثة أقوال

أحدها أن معناها أنا الله أعلم وأرى رواه أبو الضحى عنه والثاني أنا الله أرى رواه سعيد بن جبير عنه والثالث أنا الله الملك الرحمن رواه عطاء عنه

قوله تعالى تلك آيات الكتاب في تلك قولان وفي الكتاب قولان قد تقدمت في أول يونس

قوله تعالى و الذي أنزل إليك من ربك الحق يعني القرآن وغيره من الوحي ولكن أكثر الناس لا يؤمنون قال ابن عباس يعني أهل مكة قال الزجاج لما ذكر أنهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال الله الذي رفع السموات بغير عمد قال أبو عبيدة العمد متحرك الحروف بالفتحة وبعضهم يحركها بالضمة لأنها جمع عمود وهو القياس لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها ألف أو ياء أو واو فجميعه مضموم الحروف نحو رسول والجمع رسل وحمار والجمع حمر غير أنه قد جاءت أسامي استعملوا جميعها بالحركة والفتحة نحو عمود وأديم وإهاب قالوا ادم

وأهب ومعنى عمد سوار ودعائم وما يعمد البناء وقرأ أبو حيوة بغير عمد بضم العين والميم
وفي قوله ترونها قولان
أحدهما أن هاء الكناية ترجع إلى السموات فالمعنى ترونها بغير عمد قاله أبو صالح عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة والجمهور وقال ابن الأنباري ترونها خبر مستأنف والمعنى رفع السموات بلا دعامة تمسكها ثم قال ترونها أي ما تشاهدون من هذا الأمر العظيم يغنيكم عن إقامة الدلائل عليه
والثاني أنها ترجع إلى العمد فالمعنى إنها بعمد لا ترونها رواه عطاء والضحاك عن ابن عباس وقال لها عمد على قاف ولكنكم لا ترون العمد وإلى هذا القول ذهب مجاهد وعكرمة والأول أصح
قوله تعالى وسخر الشمس والقمر اي ذللهما لما يراد منهما كل يجري لأجل مسمى أي إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا يدبر الأمر أي يصرفه بحمته يفصل الآيات أي يبين الآيات التي تدل أنه قادر على البعث لكي توقنوا بذلك وقرأ أبو دزيني وقتادة والنخعي ندبر الأمر نفصل الآيات بالنون فيهما

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
قوله تعالى وهو الذي مد الأرض قال ابن عباس بسطها على الماء
قوله تعالى وجعل فيها رواسي قال الزجاج أي جبالا ثوابت يقال رسا الشي يرسوا رسوا فهر راس إذا ثبت و جعل فيها زوجين اثنين أي نوعين والزوج الواحد الذي له قريب من جنسه قال المفسرون ويعني بالزوجين الحلو والحامض والعذب والملح والأبيض والأسود
قوله تعالى يغشى الليل النهار قد شرحناه في الأعراف ٥٤ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون
قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات فيها قولان
أحدهما أنها الأرض السبخة والأرض العذبة تنبت هذه وهذه إلى جنبها لا تنبت هذا قول ابن عباس وأبي العالية ومجاهد والضحاك
والثاني أنها القرى المتجاورات قاله قتادة وابن قتيبة وهو يرجع إلى معنى الأول

قوله تعالى وزرع ونخيل قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان رفعا في الكل وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وزرع ونخيل صنوان

(٣٠٢/٤)

وغير صنوان خفضا في الكل قال أبو علي من دفع فالمعنى وفي الأرض قطع متجاورات وجنات وفي الأرض زرع ومن خفض حمله على الأعناب فالمعنى جنات من أعناب ومن زرع ومن نخيل
قوله تعالى صنوان وغير صنوان هذا من صفة النخيل قال الزجاج الصنوان جمع صنو وصنو ومعناه أن يكون الأصل واحدا وفيه النخلتان والثلاث والأربع وكذلك قال المفسرون الصنوان النخل المجتمع وأصله واحد وغير صنوان المتفرق وقرأ أبو رزين وابو عبد الرحمن السلمي وابن جبير وقتادة صنوان بضم الصاد قال الفراء لغة أهل الحجاز صنوان بكسر الصاد وتميم وقيس يضمون الصاد
قوله تعالى تسقى بماء واحد قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو تسقى بالتاء ونفضل بالنون وقرأ حمزة والكسائي تسقى بالتاء أيضا لكنهما أمالا القاف وقرأ الحسن ويفضل بالياء وقرأ عاصم وابن عامر يسقى بالياء ونفضل بالنون وكلهم كسر الضاد وروى الحلبي عن عبد الوارث ضم الياء من يفضل وفتح الضاد بعضها برفع الضاد وقال الفراء من قرأ تسقى بالتاء ذهب إلى تأنيث الزرع والجنات والنخيل ومن كسر ذهب إلى النبت وذلك كله يسقى بماء واحد وأكله مختلف حامض وحلو ففي هذا آية قال المفسرون الماء الواحد ماء المطر والأكل الثمر بعضه أكبر من بعض وبعضه أفضل من بعض وبعضه حامض وبعضه حلو إلى غير ذلك وفي هذا دليل على بطلان قول الطبائعيين لأنه لو كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء والماء وجب أن يتفق ما يحدث لاتفاق ما أوجب

(٣٠٣/٤)

الحدوث فلما وقع الاختلاف دل على مدبر قادر إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون أنه لا تجوز العبادة إلا لمن يقدر على هذا وإن تعجب فعجب قولهم ءإذا كنا ترابا ءإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
قوله تعالى وإن تعجب أي من تكذيبهم وعبادتهم مالا ينفع ولا يضر بعدما رأوا من تأثير قدرة الله عز و جل في خلق الأشياء فانكارهم البعث موضع عجب وقيل المعنى وإن تعجب بما وقفت عليه من القطع المتجاورات وقدرة ربك في ذلك فعجب جحدهم البعث لأنه قد بان لهم من خلق السموات والأرض ما يدل على أن البعث أسهل من القدرة

قوله تعالى أإذا كنا ترابا قرأ ابن كثير وأبو عمرو آيذا كنا ترابا آينا جميعا بالاستفهام غير أن أبا عمرو يمد الهمزة ثم يأتي بالياء ساكنة وابن كثير يأتي بياء ساكنة بعد الهمزة من غير مد وقرأ نافع آيذا مثل أبي عمرو واختلف عنه في المد وقرأ إنا لفي خلق مكسورة على الخبر وقرأ عاصم وحمزة أإذا كنا أإنا بهمزتين فيهما وقرأ ابن عامر إذا كنا ترابا مكسورة الألف من غير استفهام أإنا يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا وروي عن ابن عامر أيضا أإذا بهمزتين لا ألف بينهما

والأغلال جمع غل وفيها قولان أحدهما أنها أغلال يوم القيامة قاله الأكثرون والثاني أنها الأعمال التي هي أغلال قاله الزجاج

(٣٠٤/٤)

ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

أحدها أنهانزلت في كفار مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بذلك قاله ابن عباس

والثاني في مشركي العرب قاله قتادة

والثالث في النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك قاله مقاتل

وفي السيئة والحسنة قولان

أحدهما بالعذاب قبل العافية قاله ابن عباس ومقاتل

والثاني بالشر قبل الخير قاله قتادة

فأما المثلات فقرأ الجمهور بفتح الميم وقرأ عثمان وأبو رزين وأبو مجلز وسعيد بن جبير وقتادة والحسن وابن أبي عبلة برفع الميم

ثم في معناها قولان

أحدهما أنها العقوبات قاله ابن عباس وقال الزجاج المعنى قد تقدم

(٣٠٥/٤)

من العذاب ما هو مثله وما فيه نكال لو أنهم اتعظوا وقال ابن الأنباري المثلة العقوبة التي تبقي في المعاقب شينا بتغيير بعض خلقه من قولهم مثل فلان بفلان إذا شان خلقه بقطع أنفه أو أذنه أو سمل عينيه أو نحو ذلك

والثاني أن المثلات الأمثال التي ضربها الله عز و جل لهم قاله مجاهد وأبو عبيدة

قوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال ابن عباس لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا وإنه لشديد العقاب للمصرين على الشرك وقال مقاتل لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب وإنه لشديد العقاب إذا عذب

فصل

وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به النساء ٤٨ والمحققون على أنها محكمة

قوله تعالى لولا أنزل عليه آية من ربه لولا بمعنى هلا والآية التي طلبوها مثل عصا موسى وناقة صالح ولم يقنعوا بما رأوا فقال الله تعالى إنما أنت منذر أي مخوف عذاب الله وليس لك من الآيات شيء

وفي قوله لكل قوم هاد ستة أقوال

أحدها أن المراد بالهادي الله عز و جل رواه العوفي عنب ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي فيكون المعنى إنما إليك الإنذار والله الهادي

والثاني أن الهادي الداعي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

والثالث أن الهادي النبي صلى الله عليه و سلم قاله الحسن وعطاء وقتادة وابن زيد فالمعنى ولكل قوم نبي ينذرهم

والرابع أن الهادي رسول الله صلى الله عليه و سلم أيضا قاله عكرمة وأبو الضحى والمعنى أنت منذر وأنت هاد

والخامس أن الهادي العمل قاله أبو العالية

والسادس أن الهادي القائد إلى الخير أو إلى الشر قاله أبو صالح عن ابن عباس

وقد روى المفسرون من طرق ليس فيها ما يثبت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لمانزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه و سلم يده على صدره فقال أنا المنذر وأومأ بيده إلى منكب علي فقال أنت الهادي يا علي بك يهتدى من بعدي قال المصنف وهذا من موضوعات الرافضة

ثم إن الله تعالى أخبرهم عن قدرته ردا على منكري البعث فقال الله يعلم ما تحمل كل أنثى أي من علقة أو مضغة أو زائد أو ناقص أو ذكر أو أنثى أو واحد أو اثنين أو أكثر وما تغيض الأرحام أي وما تنقص وما تزداد وفيه أربعة أقوال

أحدها ما تغيض بالوضع لأقل من تسعة أشهر وما تزداد بالوضع لأكثر من تسعة أشهر رواه الضحاك عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير والضحاك ومقاتل وابن قتيبة والزجاج

والثاني وما تغيض بالسقط الناقص وما تزداد بالولد التام رواه العوفي عن ابن عباس وعن الحسن كالقولين

والثالث وما تغيض بإراقة الدم في الحمل حتى يتضاءل الولد وما تزداد إذا أمسكت الدم فيعظم الولد قاله مجاهد

والرابع ما تغيض الأرحام من ولدته من قبل وما تزداد من تلده من بعد روي عن قتادة والسدي

قوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار أي بقدر قال أبو عبيدة هو مفعال من القدر قال ابن عباس علم كل شيء فقدره تقديرا

قوله تعالى عالم الغيب والشهادة قد شرحنا ذلك في الأنعام ٦ و الكبير بمعنى العظيم ومعناه يعود إلى كبر قدره واستحقاقه صفات العلو فهو أكبر من كل كبير لأن كل كبير يصغر بالإضافة إلى عظمته ويقال الكبير الذي كبر عن مشابهة المخلوقين

فأما المتعال فقرأ ابن كثير المتعالي بياء في الوصل والوقف وكذلك

(٣٠٨/٤)

روى عبد الوارث عن أبي عمرو واثبتها في الوقف دون الوصل ابن شنبوذ عن قنبل والباقون بغير ياء في الحالين والمتعالي هو المتنزه عن صفات المخلوقين قال الخطابي وقد يكون بمعنى العالي فوق خلقه وروي عن الحسن أنه قال المتعالي عما يقول المشركون سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار

قوله تعالى سواء منكم قال ابن الأنباري ناب سواء عن مستو والمعنى مستو منكم من اسر القول أي أخفاه وكتمه ومن جهر به أعلنه وأظهره والمعنى أن السر والجهر سواء عنده

قوله تعالى ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار فيه قولان

أحدهما أن المستخفي هو المستتر المتواري في ظلمة الليل والسارب بالنهار الظاهر المتصرف في

حوائجة يقال سربت الإبل تسرب إذا مضت في الأرض ظاهرة وأنشدوا ... أرى كل قوم قاربوا قيد فحلهم ... ونحن خلعنا قيده فهو سارب

(٣٠٩/٤)

أي ذاهب ومعنى الكلام أن الظاهر والخفي عنده سواء هذا قول الأكثرين وروى العوفي عن ابن عباس ومن هو مستخف قال صاحب ريبة بالليل فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم
والثاني أن المستخفي بالليل الظاهر والسارب بالنهار المستتر يقال انسرب الوحش إذا دخل في كناسه وهذا قول الأخفش وذكره قطرب أيضا واحتج له ابن جرير بقولهم خفيت الشيء إذا أظهرته ومنه أكاد أخفيها طه ١٥ بفتح الألف أي أظهرها قال وإنما قيل للمتوارى سارب لأنه صار في السرب مستخفيا
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال
قوله تعالى له معقبات في هاء له أربعة أقوال
أحدها أنها ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس
والثاني إلى الملك من ملوك الدنيا رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس
والثالث إلى الإنسان قاله الزجاج
والرابع إلى الله تعالى ذكره ابن جرير وأبو سليمان الدمشقي
وفي المعقبات قولان
أحدهما أنها الملائكة رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال مجاهد والحسن وقتادة في آخرين قال الزجاج والمعنى للإنسان ملائكة يعتقبون يأتي بعضهم بعقب بعض وقال أكثر المفسرين هم الحفظة اثنان بالنهار

(٣١٠/٤)

واثنان بالليل إذا مضى فريق خلف بعده فريق ويجتمعون عند صلاة المغرب والفجر وقال قوم منهم ابن زيد هذه الآية خاصة في رسول الله صلى الله عليه و سلم عزم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس على قتله فمنعه الله منهما وأنزل هذه الآية
والقول الثاني أن المعقبات حراس الملوك الذين يتعاقبون الحرس وهذا مروي عن ابن عباس وعكرمة
وقال الضحاك هم السلاطين المشركون المحترسون من الله تعالى
وفي قوله يحفظونه من أمر الله سبعة أقوال

أحدها يحرسونه من أمر الله ولا يقدرون هذا على قول من قال هي في المشركين المحترسين من أمر الله والثاني أن المعنى حفظهم له من أمر الله قاله ابن عباس وابن جبير فيكون تقدير الكلام هذا الحفظ مما أمرهم الله به

والثالث يحفظونه بأمر الله قاله الحسن ومجاهد وعكرمة قال اللغويون والباء تقوم مقام من وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض

والرابع يحفظونه من الجن قاله مجاهد والنخعي وقال كعب لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذا لتخطفتكم الجن وقال مجاهد ما من عبد إلا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فإذا أراده شيء قال وراءك وراءك إلا شيء قد قضي له أن يصيبه وقال أبو مجلز جاء رجل من مراد إلى علي عليه السلام فقال احترس فإن ناسا من مراد يريدون قتلك فقال إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وإن الأجل جنة حصينة

والخامس أن في الكلام تقديما وتأخيرا والمعنى له معقبات من أمر الله يحفظونه قاله أبو صالح والفراء والسادس يحفظونه لأمر الله فيه حتى يسلموه إلى ما قدر له ذكره أبو سليمان الدمشقي واستدل بما روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال يحفظونه من أمر الله حتى إذا جاء القدر خلوا عنه وقال عكرمة يحفظونه لأمر الله

والسابع يحفظون عليه الحسنات والسيئات قاله ابن جريج قال الأخفش وإنما أنث المعقبات لكثرة ذلك منها نحو النسابة والعلامة ثم ذكر في قوله يحفظونه لأن المعنى مذكر

قوله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم أي لايسلبهم نعمه حتى يغيروا ما بأنفسهم فيعملوا بمعاصيه قال مقاتل ويعني بذلك كفار مكة

قوله تعالى وإذا أراد الله بقوم سوءا فيه قولان

أحدهما أنه العذاب والثاني البلاء

قوله تعالى فلا مرد له أي لا يرده شيء ولا تنفعه المعقبات

وما لهم من دونه يعني من دون الله من وال أي من ولي يدفع عنهم العذاب والبلاء هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال

قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فيه أربعة أقوال

أحدها خوفا للمسافر وطمعا للمقيم قاله أبو صالح عن ابن عباس قال قتادة فالمسافر خاف أذاه ومشقته والمقيم يرجو منفعته

والثاني خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث رواه عطاء عن ابن عباس وبه قال الحسن

والثالث خوفا للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعا لمن يرجو الانتفاع به ذكره الزجاج

والرابع خوفا من العقاب وطمعا في الثواب ذكره الماوردي وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد يقول إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض

قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال أي ويخلق السحاب الثقال بالماء قال الفراء السحاب وإن كان لفظه واحدا فإنه جمع واحدته سحابة جعل نعته على الجمع كما قال متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان الرحمن ٧٦ ولم يقل أخضر ولا حسن ويسبح الرعد بحمده والملئكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال

قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده فيه قولان

أحدهما أنه إسم الملك الذي يزجر السحاب وصوته تسبيحه قاله مقاتل

والثاني أنه الصوت المسموع وإنما خص الرعد بالتسبيح لأنه من أعظم الأصوات قال ابن الأنباري وإخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز كما يقول القائل قد غمني كلامك

قوله تعالى والملائكة من خيفته في هاء الكناية قولان

أحدهما أنها ترجع إلى الله عز و جل وهو الأظهر قال ابن عباس يخافون الله وليس كخوف ابن آدم لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله شيء

والثاني أنها ترجع إلى الرعد ذكره الماوردي

قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال

أحدها أنها نزلت في أربد بن قيس وعامر ابن الطفيل أتيا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يريدان الفتك به فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأما أربد فأرسل الله عليه صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته وأما عامر فأصابته غدة فهلك فأنزل الله تعالى هذه الآية هذا قول الأكثرين منهم ابن جريج وأربد هو أخو لبيد بن ربيعة لأمه

والثاني أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال حدثني يا محمد عن إلهك أياقوت هو اذهب هو فنزلت على السائل صاعقة فأحرقته ونزلت هذه الآية قاله علي عليه السلام قال مجاهد وكان يهوديا وقال أنس بن مالك بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بعض فراعنة العرب يدعوه إلى الله تعالى فقال للرسول وما الله أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس فرجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبره فقال ارجع إليه فادعه فرجع فأعاد عليه الكلام إلى أن رجع إليه ثالثة فبينما هما يتراجعان الكلام إذ بعث الله سحابة حيال رأسه فرعدت ووقعت منها صاعقة فذهبت بقحف راسه ونزلت هذه الآية

والثالث أنها في رجل أنكر القرآن وكذب رسول الله صلى الله عليه و سلم فأرسل الله عليه صاعقة فأهلكته ونزلت هذه الآية قاله قتادة

قوله تعالى وهم يجادلون في الله فيه قولان

أحدهما يكذبون بعظمة الله قاله ابن عباس

والثاني يخاصمون في الله حيث قال قائلهم أهو من ذهب أم من فضة على ما تقدم بيانه

قوله تعالى وهو شديد المحال فيه خمسة أقوال

أحدها شديد الأخذ قاله علي عليه السلام

والثاني شديد المكر شديد العداوة رواه الضحاك عن ابن عباس

والثالث شديد العقوبة قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال مجاهد في رواية عنه شديد الانتقام وقال أبو عبيدة شديد العقوبة والمكر والنكال وأنشد للأعشى ... فرع نبع يهتز في غصن المجد ... غزير الندى شديد المحال ...

إن يعاقب يكن غراما وإن يغط ... جزيلا فإنه لا يبالي ...

وقال ابن قتيبة شديد المكر واليد وأصل المحال الحيلة

والرابع شديد القوة قاله مجاهد قال الزجاج يقال ما حلته محالا إذا قاويته حتى تبين له أيكما الأشد والمحل في اللغة الشدة

والخامس شديدالحقد قاله الحسن البصري فيما سمعناه عنه مسندا من طرق وقد رواه عنه جماعة من المفسرين منهم ابن الأنباري والنقاش ولا يجوز هذا في صفات الله تعالى قال النقاش هذا قول منكر

عند أهل الخبر والنظر في اللغة لا يجوز أن تكون هذه صفة من صفات الله عز و جل والذي أختاره في هذا ما قاله علي عليه السلام شديد الأخذ يعني أنه إذا أخذ الكافر والظالم لم يفلته من عقوباته

(٣١٦/٤)

له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال

قوله تعالى له دعوة الحق فيه قولان

أحدهما أنها كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله قاله علي وابن عباس والجمهور فالمعنى له من خلقه الدعوة الحق فأضيفت الدعوة إلى الحق لاختلاف اللفظين

والثاني أن الله عز و جل هو الحق فمن دعاه دعا الحق قاله الحسن

قوله تعالى والذين يدعون من دونه يعني الأصنام يدعونها آلهة قال أبو عبيدة المعنى والذين يدعون غيره من دونه

قوله تعالى لا يستجيبون لهم أي لا يجيبونهم

قوله تعالى إلا كباسط كفيه إلى الماء فيه خمسة أقوال

أحدها أنه العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه قاله علي عليه السلام وعطاء

والثاني أنه الرجل العطشان قد وضع كفيه في الماء وهو لا يرفعهما رواه العوفي عن ابن عباس

والثالث أنه العطشان يرى خياله في الماء من بعيد فهو يريد أن يتناوله فلا يقدر عليه رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس

والرابع أنه الرجل يدعو الماءبلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه أبدا قاله مجاهد

والخامس أنه الباسط كفيه ليقبض على الماء حتى يؤديه إلى فيه لا يتم

(٣١٧/٤)

له ذلك والعرب تقول من طلب مالا يجد فهو القابض على الماء وأنشدوا ... وإني وإياكم وشوقا إليكم ... كقابض ماء لم تسقه أنامله ...

أي لم تحمله والوسق الحمل وقال آخر ... فأصبحت مما كان بيني وبينها ... من الود مثل القابض الماء باليد ...

هذا قول أبي عبيدة وابن قتيبة

قوله تعالى وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فيه قولان
أحدهما وما دعاء الكافرين ربهم إلى في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله رواه الضحاك عن ابن عباس
والثاني وما عبادة الكافرين الأصنام إلا في خسران وباطل قاله مقاتل ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال
قوله تعالى ولله يسجد من في السموات أي من الملائكة ومن في الأرض من المؤمنين طوعا وكرها
وفي معنى سجود الساجدين كرها ثلاثة اقوال
أحدها أنه سجود من دخل في الإسلام بالسيف قاله ابن زيد
والثاني أنه سجود ظل الكافر قاله مقاتل

(٣١٨/٤)

والثالث أن سجود الكاره تذلله وانقياده لما يريده الله منه من عافية ومرض وغنى وفقر
قوله تعالى وظلالهم أي وتسجد ظلال الساجدين طوعا وكرها وسجودها تمايلها من جانب إلى جانب وانقيادها للتسخير بالطول والقصر قال ابن الأنباري قال اللغويون الظل ما كان بالغدوات قبل انبساط الشمس والفيء ما كان بعد انصراف الشمس وإنما سمى فيئا لأنه فاء أي رجع إلى الحال التي كان عليها قبل ان تنبسط الشمس وما كان سوى ذلك فهو ظل نحو ظل الإنسان وظل الجدار وظل الثوب وظل الشجرة قال حميد ابن ثور ... فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من برد العشي تذوق ...
وقال لبيد
بينما الظل ظليل مونق ... طلعت شمس عليه فأضمحل ...
وقال آخر ... أيا أثلات القاع من بطن توضح ... حنيني إلى أظلالكن طويل ...
وقيل إن الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد الله وقد شرحنا معنى الغدو والآصال في الأعراف ٧

(٣١٩/٤)

قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار

قوله تعالى قل من رب السموات والأرض قل الله إنما جاء السؤال والجواب من جهة لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء فلما لم ينكروا كان كأنهم أجابوا ثم ألزمهم الحجة بقوله قل أفاتخذتم من دونه أولياء يعني الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم ثم ضرب مثلا للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله قل هل يستوي الأعمى والبصير يعني المشرك والمؤمن أم هل تستوي الظلمات والنور وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم تستوي بالتاء وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يستوي بالياء قال أبو علي التأنيث حسن لأنه فعل مؤنث والتذكير سائغ لأنه تأنيث غير حقيقي ويعني الظلمات والنور الشرك والإيمان أم جعلوا الله شركاء قال ابن الأنباري معناه أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه خلق الله بخلق هؤلاء وهذا استفهام إنكار والمعنى ليس الأمر على هذا بل إذا فكروا علموا أن الله هو المنفرد بالخلق وغيره لا يخلق شيئا قوله تعالى قل الله خالق كل شيء قال الزجاج قل ذلك وبينه بما أخبرت به من الدلالة في هذه السورة مما يدل على أنه خالق كل شيء وقد ذكرنا في يوسف ٣٩ معنى الواحد القهار

(٣٢٠/٤)

أنزلنا من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأويهم جهنم وبئس المهاد قوله تعالى أنزل من السماء ماء يعني المطر فسالت أودية وهي جمع واد وهو كل منفرج بين جبلين يجتمع إليه ماء المطر فيسيل بقدرها أي بمبلغ ما تحمل فإن صغر الوادي قل الماء وإن هو اتسع كثر وقرأ الحسن وابن جبير وابو العالية وايوب وابن يعمر وأبو حاتم عن يعقوب بقدرها باسكان الدال وقوله فسالت أودية توسع في الكلام والمعنى سالت مياهها فحذف المضاف وكذلك قوله بقدرها أي بقدر مياهها فاحتمل السيل زبدا رابيا أي عاليا فوق الماء فهذا مثل ضربه الله عز و جل ثم ضرب مثلا آخر فقال ومما توقدون عليه في النار قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم توقدون عليه بالتاس وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالياء قال أبو علي من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله أفاتخذتم ويجوز أن يكون خطابا عاما للكافة ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدم في قوله أم جعلوا لله شركاء

(٣٢١/٤)

ويعني بقوله ومما توقدون عليه ما يدخل إلى النار فيذاب من الجواهر ابتغاء حلية يعني الذهب والفضة أو متاع يعني الحديد والصفر والنحاس والرصاص تتخذ منه الأواني والأشياء التي ينتفع بها زبد مثله أي له زبد إذا أذيب مثل زبد السيل فهذا مثل آخر

وفيما ضرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال

أحدها أنه القرآن شبه نزوله من السماء بالماء وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك والعقل والجهل فيستكن فيها فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكه وكفره فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وكخبث الحديد لا ينتفع به

والثاني أنه الحق والباطل فالحق شبه بالماء الباقي الصافي والباطل مشبه بالزبد الذاهب فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحق كذلك الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال فإن الله سيبطله

والثالث أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفع به ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد

قوله تعالى كذلك أي كما ذكر هذا يضرب الله مثل الحق والباطل وقال أبو عبيدة كذلك يمثل الله الحق ويمثل الباطل

فأما الجفاء فقال ابن قتيبة هو ما رمى به الوادي إلى جنباته يقال أجفأت القدر بزبدها إذا ألقته عنها قال ابن فارس الجفاء ما نفاه السيل ومنه اشتقاق الجفاء وقال ابن الأنباري جفاء أي باليا متفرقا قال ابن عباس إذا مس الزبد لم يكن شيئا

قوله تعالى وأما ما ينفع الناس من الماء والجواهر التي زال زبدها فيمكث في الأرض فينتفع به كذلك يبقى الحق لأهلهقوله تعالى للذين استجابوا لربهم يعني المؤمنين والذين لم يستجيبوا له يعني الكفار قال أبو عبيدة استجبت لك واستجبتك سواء وهو بمعنى أجبت

وفي الحسنى ثلاثة اقوال

أحدها أنها الجنة قاله ابن عباس والجمهور والثاني أنها الحياة والرزق قاله مجاهد والثالث كل خير من الجنة فما دونها قاله أبو عبيدة

قوله تعالى لا فتدوا به اي لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب ولا يقبل منهم وفي سوء الحساب ثلاثة أقوال

أحدها أنها المناقشة بالأعمال رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس وقال النخعي هو أن يحاسب بذنبه كله

فلا يغفر له منه شيء
والثاني أن لا تقبل منهم حسنة ولا يتجاوز لهم عن سيئة
والثالث أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب
قوله تعالى أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى قال ابن عباس نزلت في حمزة وأبي جهل إنما يتذكر أي إنما يتعظ ذوو العقول والتذكر الاتعاظ

(٣٢٣/٤)

الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب
قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله في هذا العهد قولان
أحدهما أنه ما عاهدهم عليه حين استخرجهم من ظهر آدم
والثاني ما أمرهم به وفرضه عليهم وفي الذي أمر الله به عز و جل أن يوصل ثلاثة أقوال قد نسبناها إلى قائلها في أول سورة البقرة ٢٧ وقد ذكرنا سوء الحساب آنفا والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
قوله تعالى والذين صبروا أي على ما أمروا به ابتغاء وجه ربهم أي طلبا لرضاه وأقاموا الصلاة أتموها وأنفقوا مما رزقناهم من الأموال في طاعة الله قال ابن عباس يريد بالصلاة الصلوات الخمس وبالإنفاق الزكاة
قوله تعالى ويدرؤون أي يدفعون بالحسنة السيئة وفي المراد بهما خمسة أقوال
أحدها يدفعون بالعمل الصالح الشر من العمل قاله ابن عباس وفي الثاني يدفعون بالمعروف المنكر قاله سعيد بن جبير والثالث بالعفو الظلم قاله

(٣٢٤/٤)

جويبر والرابع بالحلم السفه كأنهم إذا سفه عليهم حلموا قاله ابن قتيبة
والخامس بالتوبة الذنب قاله ابن كيسان

قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار قال ابن عباس يريد عقباهم الجنة أي تصير الجنة آخر أمرهم
قوله تعالى ومن صلح وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام ومعنى صلح آمن وذلك أن الله تعالى ألحق المؤمن أهله المؤمنين إكراما له لتقر عينه بهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب قال ابن عباس بالتحية من الله والتحفة والهدايا
قوله تعالى سلام عليكم قال الزجاج أضمر القول هاهنا لأن في الكلام دليلا عليه وفي هذا السلام قولان
أحدهما أنه التحية المعروفة يدخل الملك فيسلم وينصرف قال ابن الأنباري وفي قول المسلم سلام عليكم قولان أحدهما أن السلام الله عز و جل والمعنى الله عليكم أي على حفظكم والثاني أن المعنى السلامة عليكم فالسلام جمع سلامة
والثاني أن معناه إنما سلمكم الله تعالى من أهوال القيامة وشرها بصبركم في الدنيا
وفيما صبروا عليه خمسة أقوال
أحدها أنه أمر الله قاله سعيد بن جبير والثاني فضول الدنيا قاله الحسن والثالث الدين والرابع الفقر رويا عن أبي عمران الجوني والخامس أنه فقد المحبوب قاله ابن زيد

(٣٢٥/٤)

والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله قد سبق تفسيره في سورة البقرة ٢٧ وقال مقاتل نزلت في كفار أهل الكتاب
قوله تعالى أولئك لهم اللعنة أي عليهم الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متاع
قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء أي يوسع على من يشاء ويقدر أي يضيق وفرحوا بالحياة الدنيا قال ابن عباس يريد مشركي مكة فرحوا بما نالوا من الدنيا فطغوا وكذبوا الرسل
قوله تعالى وما الحياة الدنيا في الآخرة أي بالقياس إليها إلا متاع أي كالشيء الذي يتمتع به ثم يفنى
ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب
قوله تعالى ويقول الذين كفروا نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل آيات الأنبياء قل إن الله يضل من يشاء أي يرده عن الهدى كما ردكم بعدما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها ويهدي

إليه من أناب أي رجع إلى الحق وإنما يرجع إلى الحق من شاء الله رجوعه فكأنه قال ويهدي من يشاء الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب

قوله تعالى الذين آمنوا هذا بلد من قوله أناب والمعنى يهدي الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله في هذا الذكر قولان

أحدهما أنه القرآن والثاني ذكر الله على الإطلاق

وفي معنى هذه الطمأنينة قولان

أحدهما أنها الحب له والأنس به والثاني السكون إليه من غير شك بخلاف الذين إذا ذكر الله اشمأزت قلوبهم

قوله تعالى ألا بذكر الله قال الزجاج ألا حرف تنبيه وابتداء والمعنى تطمئن القلوب التي هي قلوب المؤمنين لأن الكافر غير مطمئن القلب

قوله تعالى طوبى لهم فيه ثمانية أقوال

قوله تعالى طوبى لهم فيه ثمانية أقوال

أحدها أنه اسم شجرة في الجنة روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أن رجلا قال يا رسول الله ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وقال أبو هريرة طوبى شجرة في الجنة يقول الله عز و جل لها تفتقي لعبدي عما شاء فتتفتق له عن

الخيل بسروجها ولجمها وعن الإبل بأزمتها وعما شاء من الكسوة وقال شهر بن حوشب طوبى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها أغصانها من وراء سور الجنة وهذا مذهب عطية وشمر بن عطية ومغيث بن سمي وأبي صالح

والثاني أنه اسم الجنة بالحبشية رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال المصنف وقرأت على شيخنا أبي منصور عن سعيد بن مسجوح قال طوبى اسم الجنة بالهندية وممن ذهب إلى أنه اسم الجنة عكرمة وعن مجاهد كالقولين

والثالث أن معنى طوبى لهم فرح وقرة عين لهم رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

والرابع أن معناه نعمى لهم قاله عكرمة في رواية وفي رواية أخرى عنه نعم مالهم

والخامس غبطة لهم قاله سعيد بن جبير والضحاك
والسادس أن معناه خير لهم قاله النخعي في رواية وفي أخرى عنه قال الخير والكرامة اللذان أعطاهم الله وروى معمر عن قتادة قال يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وهي كلمة عربية
والسابع حسنى لهم رواه سعيد عن قتادة عن الحسن
والثامن أن المعنى العيش الطيب لهم و طوبى عند النحويين فعلى من الطيب هذا قول الزجاج وقال ابن الأنباري تأويلها الحال

(٣٢٨/٤)

المستطابة والخلة المستلذة وأصلها طيبى فصارت الياء واوا لسكونها وانضمام ما قبلها كما صارت في موقن والأصل فيه ميقن لأنه مأخوذ من اليقين فغلبت الضمة فيه الياء فجعلتها واوا
قوله تعالى وحسن مآب المآب المرجع والمنقلب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب
قوله تعالى كذلك أرسلناك أي كما أرسنا الأنبياء قبلك
قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن في سبب نزولها ثلاثة أقوال
أحدها أن النبي صلى الله عليه و سلم لما قال لكفار قريش اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت هذه الآية وقيل لهم إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي هذا قول الضحاك عن ابن عباس
والثاني أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية كتب علي عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة فنزلت هذه الآية قاله قتادة وابن جريج ومقاتل
والثالث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يوما في الحجر يدعو وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول يا رحمن فولى مدبرا إلى المشركين فقال إن محمدا كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت هذه الآية ذكره علي بن أحمد النيسابوري
قوله تعالى وإليه متاب قال أبو عبيدة هو مصدر تبت إليه

(٣٢٩/٤)

ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين

كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب
قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم لو وسعت لنا أودية مكة بالقرآن وسرت جبالها فاحترثناها وأحييت من مات منا فنزلت هذه الآية رواه العوفي عن ابن عباس وقال الزبير بن العوام قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه و سلم ادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهارا فنزرع أو يحيى لنا موتانا فنكلمهم أو يصير هذه الصخرة ذهبا فتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فقد كان للأنبياء آيات فنزلت هذه الآية ونزل قوله ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون الاسراء ٥٩ ومعنى قوله أو قطعت به الأرض أي شققت فجعلت أنهارا أو كلم به الموتى أي أحيوا حتى كلموا
واختلفوا في جواب لو على قولين
أحدهما أنه محذوف وفي تقدير الكلام قولان أحدهما أن تقديره لكان هذا القرآن ذكره الفراء وابن قتيبة قال قتادة لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم لفعل بقرآنكم والثاني أن تقديره لو كان هذا كله لما آمنوا

(٣٣٠/٤)

ودليله قوله تعالى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة إلى آخر الآية الأنعام ١١١ قاله الزجاج
والثاني أن جواب لو مقدم والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو أنزلنا عليهم ما سالوا ذكره الفراء أيضا
قوله تعالى بل لله الأمر جميعا أي لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا وإذا لم يشأ لم ينفع ما اقترحوا من الآيات ثم أكد ذلك بقوله أفلم ييأس الذين آمنوا وفيه أربعة أقوال
أحدها أفلم يتبين رواه العوفي عن ابن عباس وروى عنه عكرمة أنه كان يقرؤها كذلك ويقول أظن الكاتب كتبها وهو ناعس وهذا قول مجاهد وعكرمة وأبي مالك ومقاتل
والثاني أفلم يعلم رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وقتادة وابن زيد وقال ابن قتيبة ويقال هي لغة للنخع ييأس بمعنى يعلم قال الشاعر ... أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ...
وإنما وقع اليأس في مكان العلم لأن في علمك الشيء وتيقنك به يأسك من غيره

(٣٣١/٤)

والثالث أن المعنى قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا واحدا ولو شاء الله لهدى الناس جميعا قاله أبو العالية والرابع أفلم ييأس الذين آمنوا أن يؤمن هؤلاء المشركون قاله الكسائي وقال الزجاج المعنى عندي أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله بأنهم لا يؤمنون لأنه لو شاء لهدى الناس جميعا

قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا فيهم قولان

أحدهما أنهم جميع الكفار قاله ابن السائب والثاني كفار مكة قاله مقاتل

فأما القارعة فقال الزجاج هي في اللغة النازلة الشديدة تنزل بأمر عظيم

وفي المراد بها هاهنا قولان

أحدهما أنها عذاب من السماء رواه العوفي عن ابن عباس

والثاني السرايا والطلائع التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله عكرمة

وفي قوله أو تحل قريبا من دارهم قولان

أحدهما أنه رسول الله صلى الله عليه و سلم فالمعنى أو تحل أنت يا محمد رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة

والثاني أنها القارعة قاله الحسن

وفي قوله حتى يأتي وعد الله قولان

أحدهما فتح مكة قاله ابن عباس ومقاتل والثاني القيامة قاله الحسن أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر

من القول بل زين للذين كفروامكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله في له من هاد

قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت يعني نفسه عز و جل ومعنى القيام هاهنا التولي لأمور خلقه والتدبير لأرزاقهم وآجالهم وإحصاء أعمالهم للجزاء والمعنى أفمن هو مجازي كل نفس بما كسبت يثيبها إذا أحسنت ويأخذها بما جنت كمن ليس بهذه الصفة من الأصنام قال الفراء فترك جوابه لأن المعنى معلوم وقد بينه بعد هذا بقوله وجعلوا لله شركاء كأنه قيل كشركائهم

قوله تعالى قل سموهم أي بما يستحقونه من الصفات وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يسمى الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ولو سموهم بشيء من هذا لكذبوا

قوله تعالى أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض هذا استفهام منقطع مما قبله والمعنى فإن سموهم بصفات الله فقل لهم أتنبئونه أي أتخبرونه بشريك له في الأرض وهو لا يعلم لنفسه شريكا ولو كان لعلمه

قوله تعالى أم بظاهر من القول فيه ثلاثة أقوال

أحدهما أم بظن من القول قاله مجاهد والثاني بباطل قاله قتادة والثالث بكلام لا أصل له ولا حقيقة
قوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر
قوله تعالى وصدوا عن السبيل قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بفتح الصاد ومثله في حم المؤمن غافر ٣٧ وقرأ

عاصم وحمزة والكسائي وصدوا بالضم فيهما فمن فتح أراد صدوا المسلمين إما عن الإيمان أو عن البيت الحرام ومن ضم أراد صدهم الله عن سبيل الهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق
قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو القتل والأسر والسقم فهو لهم في الدنيا عذاب وللمؤمنين كفارة ولعذاب الآخرة أشق أي أشد وما لهم من الله من واق أي مانع يقيهم عذابه مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار
قوله تعالى مثل الجنة أي صفتها أن الأنهار تجري من تحتها هذا قول الجمهور وقال ثعلب خبر المثل مضمر قبله والمعنى فيما نصف لكم مثل الجنة وفيما نقصه عليكم خبر الجنة أكلها دائم قال الحسن يريد أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا وظلها لأنه لا يزول ولا تنسخه الشمس
قوله تعالى تلك عقبى الذين اتقوا أي عاقبة أمرهم المصير إليها والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب
قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب فيه ثلاثة أقوال

أحدها أنهم مسلمو اليهود قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال مقاتل هم عبد الله بن سلام وأصحابه
والثاني أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله قتادة
والثالث مؤمنو أهل الكتابين من اليهود والنصارى ذكره الماوردي والذي أنزل إليه القرآن فرح به المسلمون وصدقوه وفرح به مؤمنو أهل الكتاب لأنه صدق ما عندهم وقيل إن عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما نزل ذكره فرحوا وكفر المشركون به فنزلت هذه الآية
فأما الأحزاب فهم الكفار الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمعاداة وفيهم أربعة

أقوال
أحدها أنهم اليهود والنصارى قاله قتادة والثاني أنهم اليهود والنصارى والمجوس قاله ابن زيد والثالث بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزى قاله مقاتل والرابع كفار قريش ذكره الماوردي
وفي بعضه الذي أنكروه ثلاثة أقوال
أحدها أنه ذكر الرحمن والبعث ومحمد صلى الله عليه و سلم قاله مقاتل
والثاني أنهم عرفوا بعثة الرسول في كتبهم وأنكروا نبوته
والثالث أنهم عرفوا صدقه وأنكروا تصديقه ذكرهما الماوردي وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق
قوله تعالى وكذلك أنزلناه أي وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء

بلغاتهم أنزلنا عليك القرآن حكما عربيا قال ابن عباس يريد ما فيه من الفرائض وقال أبو عبيدة دينا عربيا
قوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم فيه قولان
أحدهما في صلاتك إلى بيت المقدس بعد ما جاءك من العلم أن قبلتك الكعبة قاله ابن السائب
والثاني في قبول ما دعوك إليه من ملة آبائك قاله مقاتل
قوله تعالى مالك من الله من ولي أي مالك من عذاب الله من قريب ينفعك ولا واق يقيك ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب
قوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية سبب نزولها أن اليهود عيروا رسول الله صلى الله عليه و سلم بكثرة التزويج وقالوا لو كان نبيا كما يزعم شغلته النبوة عن تزويج النساء فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية أن الرسل قبلك كانوا بشرا لهم أزواج يعني النساء وذرية يعني الأولاد وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله أي بأمره وهذا جواب للذين اقترحوا عليه الآيات
قوله تعالى لكل أجل كتاب فيه ثلاثة أقوال
أحدها لكل أجل من آجال الخلق كتاب عند الله قاله الحسن
والثاني أنه من المقدم والمؤخر والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل قاله الضحاك والفراء

والثالث لكل أجل قدره الله عز و جل ولكل أمر قضاه كتاب أثبت فيه ولا تكون آية ولا غيرها إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب هذا معنى قول ابن جرير يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب

قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويثبت ساكنة الثاء خفيفة الباء وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت مشددة الباء مفتوحة الثاء قال أبو علي المعنى ويثبته فاستغنى بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني

واختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال

أحدهما أنه عام في الرزق والأجل والسعادة والشقاوة وهذا مذهب عمر وابن مسعود وأبي وائل والضحاك وابن جريج

والثاني أنه الناسخ والمنسوخ فيمحو المنسوخ ويثبت الناسخ روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وقتادة والقرظي وابن زيد وقال ابن قتيبة يمحو الله ما يشاء أي ينسخ من القرآن ما يشاء ويثبت أي يدعه ثابتا لا ينسخه وهو المحكم

والثالث أنه يمحو ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ودليل هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث حذيفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول إذامضت على النطفة خمس وأربعون ليلة يقول الملك الموكل أذكر أم أنثى فيقضي

الله تعالى ويكتب الملك فيقول أشقى أم سعيد فيقضي الله ويكتب الملك فيقول عمله وأجله فيقضي الله ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها

والرابع يمحو ما يشاء ويثبت إلا الشقاوة والسعادة لا يغيران قاله مجاهد

والخامس يمحو من جاء أجله ويثبت من لم يجئ أجله قاله الحسن

والسادس يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها روي عن سعيد بن جبير

والسابع يمحو ما يشاء بالتوبة ويثبت مكانها حسنات قاله عكرمة

والثامن يمحو من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت ما فيه ثواب وعقاب قاله الضحاك وأبو صالح وقال ابن السائب القول كله يكتب حتى إذا كان في يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قولك أكلت شربت دخلت خرجت ونحوه وهو صادق ويثبت ما فيه الثواب والعقاب

قوله تعالى وعنده أم الكتاب قال الزجاج أصل الكتاب قال المفسرون

(٣٣٨/٤)

وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال إن الله تعالى في ثلاث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب

قوله تعالى وإما نرينك بعض الذي نعدهم أي من العذاب وأنت حي أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فليس عليك إلا أن تبلغ وعلينا الحساب قال مقاتل يعني الجزاء وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس أن قوله فإنما عليك البلاغ نسخ بآية السيف وفرض الجهاد وبه قال قتادة أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

قوله تعالى أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها فيه خمسة أقوال

(٣٣٩/٤)

أحدها أنه ما يفتح الله على نبيه من الأرض رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال الحسن والضحاك قال مقاتل أولم يروا يعني كفار مكة أنا نأتي الأرض يعني أرض مكة ننقصها من أطرافها يعني ما حولها

والثاني أنها القرية تخرب حتى تبقى الأبيات في ناحيتها رواه عكرمة عن ابن عباس وبه قال عكرمة

والثالث أنه نقص أهلها وبركتها رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وقال الشعبي نقص الأنفس والثمرات

والرابع أنه ذهاب فقهائها وخيار أهلها رواه عطاء عن ابن عباس

والخامس أنه موت أهلها قاله مجاهد وعطاء وقتادة

قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه قال ابن قتيبة لا يتقعبه أحد بتغيير ولا نقض وقد شرحنا معنى سرعة الحساب في سورة البقرة ٢٠٢ وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار

قوله تعالى وقد مكر الذين من قبلهم يعني كفار الأمم الخالية

(٣٤٠/٤)

مكروا بأنبيائهم يقصدون قتلهم كمامكرت قريش برسول الله صلى الله عليه و سلم ليقتلوه فلله المكر جميعا يعني أن مكر الماكرين مخلوق له ولا يضر إلا بإرادته وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم وتسكين له يعلم ماتكسب كل نفس من خير وشر ولا يقع ضرر إلا بإذنه وسيعلم الكافر قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وسيعلم الكافر قال ابن عباس يعني أبا جهل وقال الزجاج الكافر هاهنا اسم جنس وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي الكفار على الجمع

قوله تعالى لمن عقبى الدار أي لمن الجنة آخر الأمر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

قوله تعالى ويقول الذين كفروا فيهم قولان

أحدهما أنهم اليهود والنصارى والثاني كفار قريش قل كفى بالله شهيدا اي شاهدا بيني وبينكم بما أظهر من الآيات وابان من الدلالات على نبوتي

قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب فيه سبعة أقوال

أحدها أنهم علماء اليهود والنصارى رواه العوفي عن ابن عباس

والثاني أنه عبد الله بن سلام قاله الحسن ومجاهد وعكرمة وابن زيد وابن السائب ومقاتل

والثالث أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري قاله قتادة

(٤/٣٤١)

والرابع أنه جبريل عليه السلام قاله سعيد بن جبير

والخامس أنه علي بن أبي طالب قاله ابن الحنفية

والسادس أنه بنيامين قاله شمر

والسابع أنه الله تعالى روي عن الحسن ومجاهد واختاره الزجاج واحتج له بقراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب وهي قراءة ابن السميفع وابن أبي عبلة ومجاهد وأبي حيوة ورواية ابن أبي سريج عن الكسائي ومن بكسر الميم عنده بكسر الدال علم بضم الميم وكسر اللام وفتح الميم الكتاب بالرفع وقرأ الحسن ومن بكسر الميم عنده بكسر الدال علم بكسر العين وضم الميم الكتاب مضاف كأنه قال أنزل من علم الله عز و جل

(٤/٣٤٢)

سورة إبراهيم عليه السلام

وهي مكية من غير خلاف علمناه بينهم إلا ما روي عن ابن عباس وقتاده أنهما قالا سوى آيتين منها وهما قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا والتي بعدها إبراهيم ٢٨ ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد

قوله تعالى آلر قد سبق بيانه يونس ١ وقوله كتاب قال الزجاج المعنى هذا كتاب والكتاب القرآن

وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال

أحدها أن الظلمات الكفر والنور الإيمان رواه العوفي عن ابن عباس

والثاني أن الظلمات الضلالة والنور الهدى قاله مجاهد وقتادة

(٣٤٣/٤)

والثالث أن الظلمات الشك والنور اليقين ذكره الماوردي

وفي قوله بإذن ربهم ثلاثة أقوال

أحدها بأمر ربهم قاله مقاتل والثاني بتوفيق ربهم قاله أبو سليمان والثالث أنه الإذن نفسه فالمعنى بما أذن لك من تعليمهم قاله الزجاج قال ثم بين ما النور فقال إلى صراط العزيز الحميد قال ابن الأنباري وهذا مثل قول العرب جلست إلى زيد إلى العاقل الفاضل وإنما تعاد إلى بمعنى التعظيم للأمر قال الشاعر ... إذا خدرت رجلي تذكرت من لها ... فناديت لبني باسمها ودعوت ... دعوت التي لو أن نفسي تطيعني ... لألقيتها من حبها وقضيت ... فأعاد دعوت لتفخيم الأمر

قوله تعالى الله الذي له ما في السموات قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي الحميد الله على البدل وقرأ نافع وابن عامر وأبان والمفضل الحميد الله رفعا على الاستئناف وقد سبق بيان ألفاظ الآية الذين يستحبون الحيوة الدنيا على ا لآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء

(٣٤٤/٤)

ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من

ربكم عظيم

قوله تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا أي يؤثرونها على الآخرة قال ابن عباس يأخذون ما تعجل لهم منها تهاونا بأمر الآخرة

قوله تعالى ويصدون عن سبيل أي يمنعون الناس من الدخول في دينه ويبغونها عوجا قد شرحناه في آل عمران ٩٩

قوله تعالى أولئك في ضلال أي في ذهاب عن الحق بعيد من الصواب

قوله تعالى إلا بلسان قومه أي بلغتهم قال ابن الأنباري ومعنى اللغة عند العرب الكلام المنطوق به وهو مأخوذ من قولهم لما الطائر يلغو إذا صوت في الغلس وقرأ أبو رجاء وأبو المتوكل والجحدري إلا بلسن قومه برفع اللام والسين من غير ألف وقرأ أبو الجوزاء وأبو عمران بلسن قومه بكسر اللام وسكون السين من غير ألف

قوله تعالى ليبين لهم أي الذي أرسل به فيفهمونه عنه وهذا نزل لأن قريشا قالوا ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي

قوله تعالى أن أخرج قومك قال الزجاج أن مفسر والمعنى قلنا له أخرج قومك وقد سبق بيان الظلمات والنور البقرة ٢٥٧

وفي قوله وذكرهم بأيام الله ثلاثة أقوال

أحدها أنها نعم الله رواه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه و سلم وبه قال مجاهد وقتادة وابن قتيبة

والثاني أنها وقائع الله في الأمم قبلهم قاله ابن زيد وابن السائب ومقاتل

والثالث أنها أيام نعم الله عليهم وأيام نقمه ممن كفر من قوم نوح وعاد وثمود قاله الزجاج

قوله تعالى إن في ذلك يعني التذكير لآيات لكل صبار على طاعة الله وعن معصيته شكور لأنعمه والصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وإنما خصه بالآيات لانتفاعه بها وما بعد هذا مشروح في سورة البقرة ٤٩ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما ارسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض

يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدينا سبلنا ولنصبرن على ما أذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد

قوله تعالى وإذ تأذن ربكم مذكور في الأعراف ١٦٧

وفي قوله لئن شكرتم لأزيدنكم ثلاثة اقوال

أحدها لئن شكرتم نعمي لأزيدنكم من طاعتي قاله الحسن

والثاني لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي قاله الربيع

والثالث لئن وحدتموني لأزيدنكم خيرا في الدنيا قاله مقاتل

وفي قوله ولئن كفرتم قولان

أحدهما أنه كفر بالتوحيد والثاني كفران النعم

قوله تعالى فإن الله لغني حميد أي غني عن خلقه محمود في أفعاله لأنه إما متفضل بفعله أو عادل

(٣٤٧/٤)

قوله تعالى لا يعلمهم إلا الله قال ابن الأنباري أي لا يحصي عددهم إلا هو على أن الله تعالى أهلك أمما من العرب وغيرها فانقطعت أخبارهم وعفت آثارهم فليس يعلمهم أحد إلا الله

قوله تعالى فردوا أيديهم في أفواههم فيه سبعة أقوال

أحدها أنهم عضوا أصابعهم غيظا قاله ابن مسعود وابن زيد وقال ابن تيبة في هاهنا بمعنى إلى ومعنى الكلام عضوا عليها حنقا وغيظا كما قال الشاعر ... يردون في فيه عشر الحسود ...

يعني أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر ونحوه قول الهذلي ... قد افنى أنامله أزمه ... فأضحى يعض علي الوظيفا ...

يقول قد أكل أصابعه حتى أفناها بالعض فأضحى يعض علي وظيف بالذارع

والثاني أنهم كانوا إذا جاءهم الرسول فقال إني رسول قالوا له اسكت واشاروا بأصابعهم إلى أفواه أنفسهم ردا عليه وتكذيبا رواه أبو صالح عن ابن عباس

(٣٤٨/٤)

والثالث أنهم لماسمعوا كتاب الله عجوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم رواه العوفي عن ابن عباس
والرابع أنهم وضعوا أيديهم على أفواه الرسل ردا لقولهم قاله الحسن
والخامس أنهم كذبوهم بأفواههم وردوا عليهم قولهم قاله مجاهد وقتادة
والسادس أنه مثل ومعناه أنهم كفوا عما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال رد فلان يده إلى فمه أي أمسك فلم يجب قاله أبو عبيدة
والسابع ردوا مالوا قبلوه لكان نعما وايادي من الله فتكون الأيدي بمعنى الأيادي و في بمعنى الباء والمعنى ردوا الأيادي بأفواههم ذكره الفراء وقال قد وجدنا من العرب من يجعل في موضع الباء فيقول أدخلك الله بالجنة يريد في الجنة وأنشدني بعضهم ... وأرغب فيها عن لقيط ورهطه ... ولكنني عن سنبس لست أرغب ...
فقال ارغب فيها يعني بنتا له يريد أرغب بها وسنبس قبيلة
قوله تعالى وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به اي على زعمكم أنكم أرسلتم لا أنهم أقروا بإرسالهم وباقي الآية قد سبق تفسيره هود ٦٢ قالت رسلهم أفي الله شك هذا استفهام إنكار والمعنى لا شك في الله أي في

توحيده يدعوكم بالرسل والكتب ليغفر لكم ذنوبكم قال أبو عبيدة من زائدة كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين الحاقة ٤٧ قال أبو ذؤيب ... جزيتك ضعف الحب لما شكوته ... وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي ...
أي أحد وقوله ويؤخركم إلى أجل مسمى وهو الموت والمعنى لا يعاجلكم بالعذاب قالوا للرسل إن أنتم أي ما أنتم إلا بشر مثلنا أي ليس لكم علينا فضل والسلطان الحجة قالت الرسل إن نحن إلا بشر مثلكم فاعترفوا لهم بذلك ولكن الله يمن على من يشاء يعنون بالنبوة والرسالة وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله أي ليس ذلك من قبل أنفسنا
قوله تعالى وقد هدانا سبلنا فيه قولان
أحدهما بين لنا رشدنا والثاني عرفنا طريق التوكل وإنما قص هذه وأمثاله على نبينا ص – ليقندي بمن قبله في الصبر وليعلم ما جرى لهم
قوله تعالى لنهلكن الظالمين يعني الكافرين بالرسل وقوله تعالى من بعدهم أي بعد هلاكهم ذلك الإسكان لمن خاف مقامي قال ابن عباس خاف مقامه بين يدي قال الفراء العرب قد تضيف أفعالها إلى

أنفسها وإلى ما أوقعت عليه فتقول قد ندمت على ضربي إياك وندمت على ضربك فهذا من ذاك ومثله وتجعلون رزقكم الواقعة ٨٢ أي رزقي إياكم

(٣٥٠/٤)

قوله تعالى وخاف وعيد أثبت ياء وعيدي في الحالين يعقوب وتابعه ورش في الوصل
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ
قوله تعالى واستفتحوا يعني استنصروا وقرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وحميد وابن محيص واستفتحوا بكسر التاء على الأمر وفي المشار إليهم قولان
أحدهما أنهم الرسل قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة
والثاني أنهم الكفار واستفتاحهم سؤالهم العذاب كقولهم ربنا عجل لنا قطنا ص ١٦ وقولهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية الانفال ٣٢ هذا قول ابن زيد
قوله تعالى وخاب كل جبار عنيد قال ابن السائب خسر عند الدعاء وقال مقاتل خسر عند نزول العذاب وقال أبو سليمان الدمشقي يئس من الإجابة وقد شرحنا معنى الجبار والعنيد في هود ٥٩ قوله تعالى من ورائه جهنم فيه قولان
أحدهما أنه بمعنى القدام قال ابن عباس يريد أمامه جهنم وقال أبو عبيدة من ورائه أي قدامه وأمامه يقال الموت من ورائك وأنشد

(٣٥١/٤)

أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي ... وقومي تميم والفلاة ورائيا ...
والثاني أنها بمعنى بعد قال ابن الأنباري من ورائه أي من بعد يأسه فدل خاب على اليأس فكنى عنه وحملت وراء على معنى بعد كما قال النابغة ... حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب ...
أراد ليس بعد الله مذهب قال الزجاج والوراء يكون بمعنى الخلف والقدام لأن ما بين يديك وما قدامك إذا توارى عنك فقد صار وراءك قال الشاعر ... أليس ورائي إن تراخت منيتي ... لزوم العصا تحنى عليها الأصابع ...
قال وليس الوراء من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة وسئل ثعلب لم قيل الوراء للأمام فقال الوراء

اسم لما توارى عن عينك سواء أكان أمامك أو خلفك وقال الفراء إنما يجوز هذا في المواقيت من الأيام والليالي والدهر تقول وراءك برد شديد وبين يديك برد شديد ولا يجوز أن تقول للرجل وهو بين يديك هو وراءك ولا للرجل وراءك هو بين يديك

قوله تعالى ويسقي من ماء صديد قال عكرمة ومجاهد واللغويون الصديد القيح والدم قاله قتادة وهو ما يخرج من بين جلد الكافر ولحمه

(٣٥٢/٤)

وقال القرظي هو غسالة أهل النار وذلك مايسيل من فروج الزناة وقال ابن قتيبة المعنى يسقى الصديد مكان الماء قال ويجوز أن يكون على التشبيه أي مايسقي ماء كأنه صديد

قوله تعالى يتجرعه والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة لا في مرة واحدة وذلك لشدة كراهته له وأنما يكرهه على شربه

قوله تعالى ولا يكاد يسيغه قال الزجاج لا يقدر على ابتلاعه تقول ساغ لي الشيء وأسغته وروى أبو أمامة عن رسول الله ص – أنه قال يقرب إليه فيكرهه فاذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره

قوله تعالى ويأتيه الموت أي هم الموت وكربه وألمه من كل مكان وفيه ثلاثة أقوال

أحدها من كل شعرة في جسده رواه عطاء عن ابن عباس وقال سفيان الثوري من كل عرق وقال ابن جريج تتعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فتموت ولا ترجع إلى مكانها فتجد راحة

(٣٥٣/٤)

والثاني من كل جهة من فوقه وتحته وعن يمينه وشماله وخلفه وقدامه قاله ابن عباس أيضا

والثالث أنها البلايا التي تصيب الكافر في النار سماها موتا قاله الأخفش

قوله تعالى وما هو بميت أي موتا تنقطع معه الحياة ومن ورائه أي من بعد هذا العذاب قال ابن السائب من بعد الصديد عذاب غليظ وقال إبراهيم التيمي بعد الخلود في النار والغليظ الشديد

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد

قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد قال الفراء أضاف المثل إليهم وإنما المثل للأعمال فالمعنى مثل أعمال الذين كفروا ومثله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجهوهم مسودة الزمر ٦٠

أي ترى وجوههم وجعل العصوف تابعا لليوم في إعرابه وإنما العصوف للريح وذلك جائز على جهتين احدهما أن العصوف وإن كان للريح فان اليوم يوصف به لأن الريح فيه تكون فجاز أن تقول يوم عاصف كما تقول يوم بارد ويوم حار

والوجه الآخر أن تريد في يوم عاصف الريح فتحذف الريح لأنها قد ذكرت في أول الكلام كما قال الشاعر ... ويضحك عرفان الدروع جلودنا ... إذا كان يوم مظلم الشمس كاسف

(٣٥٤/٤)

يريد كاسف الشمس وروي عن سيبويه أنه قال في هذه الآية إضمار والمعنى ومما نقص عليك مثل الذين كفروا ثم ابتدأ فقال أعمالهم كرماد وقرأ النخعي وابن يعمر والجحدري في يوم عاصف بغير تنوين اليوم

قال المفسرون ومعنى الآية أن كل ما يتقرب به المشركون يحبط ولا ينتفعون به كالرماد الذي سفته الريح فلا يقدر على شيء منه فهم لا يقدرون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الآخرة أي لايجدون ثوابه ذلك هو الضلال البعيد من النجاة ألم ترى أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قوله تعالى ألم ترى فيه قولان

أحدهما أن معناه ألم تخبر قاله ابن السائب

والثاني ألم تعلم قاله مقاتل وأبو عبيدة

قوله تعالى خلق السموات والأرض بالحق قال المفسرون أي لم يخلقهن عبثا وإنما خلقهن لأمر عظيم إن يشأ يذهبكم قال ابن عباس يريد يميتكم يا معشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع وهذا خطاب لأهل مكة

قوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز أي بممتنع متعذر

وبرزوا لله جميعا فقال الضعفؤا للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدنا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص

(٣٥٥/٤)

قوله تعالى وبرزوا لله جميعا لفظه لفظ الماضي ومعناه المستقبل والمعنى خرجوا من قبورهم يوم البعث واجتمع التابع والمتبوع فقال الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم المتبوعون إنا كنا لكم تبعا قال الزجاج هو جمع تابع يقال تابع وتبع مثل غائب وغيب والمعنى تبعناكم فيما دعوتمونا إليه

قوله تعالى فهل أنتم مغنون عنا أي دافعون عنا من عذاب الله من شيء قال القادة لو هدانا الله أي لو أرشدنا في الدنيا لأرشدناكم يريدون أن الله أضلنا فدعوناكم إلى الضلال سواء علينا أجزعنا أم صبرنا قال ابن زيد إن أهل النار قال بعضهم لبعض تعالوا نبكي ونضرع فانما أدرك أهل الجنة الجنة ببكائهم وتضرعهم فبكوا وتضرعوا فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا تعالوا نصبر فانما أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر فصبروا صبرا لم ير مثله قط فلم ينفعهم ذلك فعندها قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وروى مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال جزعوا مائة سنة وصبروا مائة سنة وقال مقاتل جزعوا خمس مائة عام وصبروا خمس مائة عام وقد شرحنا معنى المحيص في سورة النساء ١٢١

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلومني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم وأدخل